

جمهورية مصر العربية
وزارة الدفاع
هيئة البحوث العسكرية

صفحات مضيئة من تاريخ مصر العسكرى

حرب الاستنزاف

يونيو ١٩٦٧ - أغسطس ١٩٧٠

الهيئة المصرية العامة للكتاب



جمهورية مصر العربية
وزارة الدفاع
هيئة البحوث العسكرية

صفحات مضيئة
من
تاريخ مصر العسكرى

حرب الاستنزاف

يونيو ١٩٦٧ - أغسطس ١٩٧٠



اصدار الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٨

الغلاف للفنان/ د. جمال قطب
الإخراج والتنفيذ/ أميمة على شحاته



﴿قــاتلـوهم يعــذبـهم اللـه بأيـديـكم ويـخــزهم
وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين﴾

صدق الله العظيم

إهداء

إلى أرواح شهدائنا الأبرار... فى حرب الاستنزاف إلى جنودنا... وضباطنا... وقادتنا... اللذين اشتركوا فى هذه الحرب وبذلوا كل جهد وعرق ودم فى سبيل الإعداد والاستعداد لتحرير الأرض.

إلى كل مصرى.. ساهم بجهده وعرقه ودمه.. بل وبروحه فى مساندة قواته المسلحة فى هذه الحرب.

إلى قيادتنا السياسية والعسكرية وإلى أفراد قواتنا المسلحة..... إلى كل هؤلاء... وهؤلاء...

تتشرف هيئة البحوث العسكرية للقوات المسلحة أن تهدى هذا الكتاب تسجيلا لكل مادار فى حرب الاستنزاف بكل الحق والعدل وراحة الضمير وتسجيلا لصلابة الرجال وإيمانهم بوطنهم وهدفهم ومسئولياتهم... وهم من صدق القول بوصفهم بأنهم...

«خير أجناد الأرض»

الفهرس

مقدمـــــة

صدر هذا الكتاب ليلقى ضوءاً ساطعاً على مرحلة هامة من مراحل الصراع المصرى الإسرائيلى فى فترة من أصعب وأشق فترات الصراع بين الطرفين أتت مباشرة بعد نكسة يونيو٦٧ لتوضح بجلاء وحق أنه مع كل ما أصاب القوات المسلحة المصرية والشعب المصرى من ألم وحسرة وانكسار لما انتهت إليه حرب يونيو ٦٧ ·· إلا أن الروح المصرية الصميمة رفضت الهزيمة وتشبثت بالصمود وآمنت بضرورة إعادة البناء والإعداد لجولة قادمة لابد لها أن تأتى ولكن بعد أن تكون القوات المسلحة قد أعدت واستعدت لها بعزم وتصميم من رجالها وقادتها وبمؤازرة كاملة من الشعب المصرى العظيم.

وهكذا مرت هذه المرحلة من مراحل الصراع بين الصمود وإعادة البناء والإعداد· ثم مع تقدم واشتداد البنيان وازدياد القدرات والامكانيات بدأ تراشق النيران وبدأ الدفاع النشط كما بدأ عبور محدود إلى الضفة الشرقية لاستطلاع العدو ومعرفة كل شئ عنه.

وشيئا فشيئاً اشتعلت الجبهة بالنيران وظهر إلى الوجود نوع جديد من أنواع الحروب بالمنطقة وهو ما أطلق عليه ·· حرب الاستنزاف لم تعبأ القوات خلالها بأى خسائر تحدث لها · وما يسقط منها من شهداء وما يصاب منها بجروح فى سبيل استمرار تطعيم القوات ، وفى سبيل إرهاق العدو والضغط المستمر عليه وتبادل الخسائر معه وإزعاجه والتأثيرعلى معنوياته حتى لجأ إلى حليفته الدائمة يستنجد بها للتدخل لإيقاف النار على الجبهة.

ولما توقفت النيران ·· لم تتوقف عجلة الاستعداد للقوات المصرية واستمر البناء وتزايد القدرات ونمو الكفاءات والتركيز على التدريب على مهام العمليات لجميع الأفرع الرئيسية للقوات برية وبحرية وجوية ودفاع جوى وأيضا لجميع الأسلحة المعاونة والإدارية. والفنية

الكل يستعد ويعمل فى صمت وفى تنسيق وتنظيم رائع طبقا لتخطيط مصرى صميم حتى أتى اليوم الموعود والكل مستعد والكل قد تطعم للمعركة والكل قد اعتاد النيران والمواجهات.. والروح المعنوية فى السماء والإيمان يملئ النفس والثقة كاملة فى السلاح وفى القادة وفى القيادات وفوق كل ذلك الثقة فى الله سبحانه وتعالى الذى لا يضيع أجر من أحسن عملا ، ولكل هذا اقتحمت القوات المصرية في السادس من أكتوبر ٧٣ – وبعد مرحلة جهد وعرق ودم استمرت ست سنوات – اقتحمت أصعب مانع مائى واجتاحت أقوى خط دفاعى بنى فى العالم وكبدت القوات الإسرائيلية أكبر خسائر منيت بها فى تاريخها ووطدت القوات المصرية أقدامها وأرست قواعدها راسخة شرق القناة وأتاحت للقيادة السياسية المناخ والوضع القوى الذى تستند إليه فى صراعها السياسى لاسترداد باقى الأرض كل الأرض وهو ما تم والحمد لله.

فشكراً لحرب الاستنزاف، و شكراً لكل من ساهم فيها بروحه ودمه وعرقه وجهده فقد كانت بحق حرباً ضروساً ولكنها كانت البوتقة التى انصهرت فيها القوات وتشكلت لتصبح على النحو الذى حقق لها النصر وما النصر إلا من عند الله.

والسلام عليكم ورحمة الله

الباب الأول

الموقف العسكري والسياسي بعد حرب يونيو ٦٧

الفصل الأول

الموقف العسكري على الجبهة الداخلية

الفصل الثاني

المتغيرات السياسية على المستوى القومي والعالمي

الفصـــــل الأول

الموقف العسكرى على الجبهة الداخلية

الموقف العسكرى :

عندما أعلنت مصر التعبئة العامة فى الخامس عشر من مايو ١٩٦٧ –ودفعت بقواتها المسلحة تباعاً إلى مسرح عملياتها الرئيسى فى سيناء وعلى حدودها الشرقية مع إسرائيل – انتفضت مشاعر الجماهير المصرية العربية وبعثت فى نفوسهم غاية الأمل والتعلق بخيوط النصر وارتفعت بهم الى آفاق بعيدة من أحلام تبثها فيهم وسائل الاعلام القومى الموجه تصور لهم صورة براقة وردية عن القدرات السياسية والعسكرية للعرب وأنه آن الأوان لدحر العدو القابع فى قلب المنطقة العربية وأنه آن الأوان لانتزاعه منها وإلقائه بعيداً خارجها ٠

ولكن وسائل الاعلام القومى فى ذلك الوقت نسيت أو تناست الضعف الخطير الذى كانت عليه الدول العربية فى إدارة الأزمات على جميع مستوياتها ، وغفلت تماماً عن القصورالواضح فى العلاقة بين القيادات السياسية والعسكرية فضلاً عن عدم وضوح الرؤيا وتحديد الهدف الحقيقى من هذه التظاهرات السياسية العسكرية ٠

وعندما انتصرت إسرائيل على جيوش مصر والأردن وسوريا فى تلك الجولة الثالثة من جولات الصراع العربى الإسرائيلى أعلن قادة إسرائيل أنها الحرب التى أنهت كل الحروب بين العرب وإسرائيل ذلك أن الجيش الإسرائيلى - الذى لا يقهر - قد حسم الموقف تماماً ولعشرات السنين المقبلة ثم أعلن الجنرال موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى خلال تلك الجولة عن رقم تليفونه بتل أبيب لمن يريد من الزعماء العرب أن يطلب الاستسلام ٠

وعم الفرح الشارع الإسرائيلى فقد قضت قواتها المسلحة على القدرة العسكرية العربية ووصلت إلى حافة قناة السويس وإلى ضفاف نهر الأردن وإلى مرتفعات الجولان ودفعت بالقوات العربية بعيداً بعيداً عن حدودها الطبيعية وسيطرت على مساحات شاسعة من الأرض

العربية توازى ثلاثة أمثال مساحتها الأصلية وأصبحت إسرائيل فى مأمن تام من أى هجمات أو تهديدات عربية ٠

وعلى الجانب الآخر بالنسبة للعرب عامة والمصريين خاصة كانت الصدمة قاسية والنتيجة مريرة والأوضاع مهينة. ولكن فى وسط هذا الكم الهائل من اليأس انطلقت الإرادة المصرية تعلن رفضها للهزيمه وتصميمها على إزالة آثارالعدوان مهما كانت التضحيات وكان إيمان الجميع بأن رجال القوات المسلحة المصرية لم يتح لهم الصراع المتكافئ فى تلك الجولة فكانوا أحد ضحاياها وليس أحد أسبابها ٠

وكان لزاماً على مصر أن تواجه قدرها وأن تبدأ فوراً فى ترسيخ قواعد وأسس ومبادئ سياسية وعسكرية سليمة لتقود مسيرتها الشاقة المقبلة عليها والإعداد لجولة عسكرية اخرى لابديل عنها من أجل استعادة الأرض والكرامة وأصبح من الضرورى إعادة البناء العسكرى مع الصمود الراسخ فى الأوضاع الجديدة كخطوة أولى نحو الهدف الأسمى ٠

وكانت المهمة شاقة والطريق طويل وصعب لما أصبح عليه موقف القوات المسلحة وما أصابها من خسائر فى الأفراد بلغت نحو ١٥٠٠٠ ما بين شهيد وأسير ومفقود علاوة على الآلاف من الجرحى والمصابين ٠٠وكذلك ما أصابها من خسائر فى المعدات والتى كانت أساساً من القصف الجوى المعادى أثناء الانسحاب العشوائى ، وقد قدر حجم هذه الخسائر بما يوازى ٨٠ ٪ من حجم معدات القوات المنسحبة من سيناء وبما يوازى ٥٥٪ من الحجم العام لمعدات القوات المسلحة ككل علاوة على عدم توافر سلاح جوى يدافع عن سماء مصر إذا ما حاول العدو الجوى الاعتداء على المدن المصرية ٠

ولم تكن الخسائر تشمل الأسلحة والمعدات والأفراد فقط بل كانت تشمل فى المقام الأول تفكك التشكيلات والوحدات مما يتطلب إعادة تنظيم شامل لها فضلاً عن الجهود الكبيرة المطلوبة لرفع المعنويات وإعادة الانضباط ٠

وهكذا لم تكن هناك قوة مسلحة بالمعنى المعروف قادرة على الهجوم أو حتى الدفاع بالاضافة إلى حالة الإحباط الشديد والانخفاض الحاد فى المعنويات ٠

ومع هذه الصورة القاتمة سرعان ما استوعبت القوات المسلحة الصدمة وانفجر من داخلها كبرياؤها وعزيمتها وتصميمها على لمّ الشتات وإعادة البناء وبأسرع ما يمكن على الأقل للصمود فى المرحلة الحالية واستعداداً لإيقاف أى تطوير قد يحدث على جبهة القتال وأى توسع تالى قد يحاول العدو أن يضيفه إلى مكاسبه ٠

وسرعان ما عملت القوات على الضفة الغربية للقنال بتجميع كل الامكانيات الباقية لديها وإن كانت ضئيلة هزيلة ولكن يجب تجميعها وتشكيلها فى نوايات لوحدات تدافع عن الضفة الغربية للقناة •

وكان على هذه القوات أن تدافع على طول القناة من السويس جنوباً حتى بور سعيد شمالاً وهى فى أشد الحالات النفسية قسوة وهى ترى عدوها التقليدى يتيه زهواً وغطرسة على الضفة الشرقية للقناة ولا يتوقف عن حركاته الاستفزازية للأفراد المصريين على الضفة الغربية حتى أن أحد القادة الإسرائيليين فى منطقة الشط أرسل رسالة إلى القائد المصرى أمامه - عن طريق أحد الجنود المنسحبين غرباً .يبلغه فيها بأن دباباته تثير أعصاب جنوده وينذره بأنه إن لم يسحبها قبل آخر ضوء فإنه سوف يدمرها له ، ولم يكن عدد هذه الدبابات يزيد على أصابع اليد الواحدة . كما بدأ التجهيز الهندسى من الصفر لتجهيز المواقع الدفاعية وتحصينها وزيادة درجة وقايتها باستمرار ، وكانت المطالب من مواد التجهيز الهندسى وخاصة مواد التحصينات (أغطية الخنادق - أغطية الذخيرة - الملاجئ بأنواعها) تتزايد بصفة مستمرة . ما اشتدت حاجة القوات إلى الألغام وشكايرالرمل حيث كانت هى الوسيلة الرئيسية لتجهيز مواقع المشاة والمدفعية والدفاع الجوى ومركبات القتال الأخرى •

استمرت قواتنا فى تجهيز مواقعها الدفاعية غرب قناة السويس مع اهتمامها بتجهيز مواقع تبادلية تتنقل بينها بصفة دائمة حتى لا يتمكن العدو الإسرائيلى من تحديد أوضاع قواتنا وخاصة وحدات المدفعية والدفاع الجوى •

وفى نفس الوقت بدأت القيادة العامة للقوات المسلحة فى دراسة أسباب الهزيمة فى جولة يونيو ٦٧ والدروس المستفادة منها حتى تصبح على بينة تامة منها عند إعادة بنائها لقواتها المسلحة وإعدادها للجولة التالية بل وإعداد الدولة كلها للحرب •

واتضح بجلاء أن ظروف عدم استقرار القيادة السياسية للدولة وقيادة القوات المسلحة ينعكس بشدة على نتائج الإعداد السياسى وتهيئة الشعب والقوات المسلحة للحرب – وأن النتائج المؤلمة التى أدت إليها الجولة الثالثة كانت انعكاساً للصراع السياسى والعسكرى على المستويات العليا فى الدولة وبالتالى فرض الهزيمة على المستويين السياسى والعسكرى .

وكان على القيادة العسكرية أن تدرس بدقة وعمق نقاط القوة لدى العدو للعمل على كسرها أو على الأقل تحييدها وأيضا نقاط الضعف لديه ونفس الشئ بالنسبة لقواتنا باستغلال نقاط القوة وعلاج نقاط الضعف .

ولما كان الصراع فى المنطقة لايخص دولة واحدة من الدول لذا يجب التنسيق سواء عسكرياً أو سياسياً مع الدول الشريكة والصديقة وخاصة بين دول المواجهة لإجبار العدو المشترك على العمل مع أكثر من جهة واحدة فى وقت واحد لتشتيت جهوده وقدراته العسكرية .

وأخيراً وليس آخراً ضرورة تفرغ قيادة القوات المسلحة إلى مهامها الرئيسية فى الإشراف على إعداد وتدريب قواتها ووضع الاستراتيجية المناسبة لاستخدامها مع تطويرالقوات المسلحة وزيادة قدراتها تدريجياً وبالتالى التخطيط السليم المرن لاستخدامها وتطويره أولاً بأول طبقاً لزيادة القدرات ورفع الكفاءات .

وبمجرد تغيير قادة القوات المسلحة من القائد العام لها وقادة الأفرع الرئيسية ورؤساء الهيئات وضحت أسباب الهزيمة فى جولة يونيو ١٩٦٧ والدروس المستفادة منها كأساس لإعداد القوات المسلحة بالتنسيق مع القيادة السياسية فى سبيل تحقيق هدف واضح محدد كان فى هذه المرحلة الدقيقة هى الصمود أولا : ثم إعادة البناء والإعداد مع استمرارالصمود حتى يمكن التحول إلى مرحلة تالية تنشط فيها القوات وتزداد قواتها وكفاءتها حتى يحين الوقت المناسب لها لكى تضرب ضربتها لتحقيق الهدف الأسمى بتحرير الأرض كل الأرض السليبة .

الموقف على الجبهة الداخلية :

أما بالنسبة لشعب مصر والذى كان يعيش أمجاد ثورته ويستعيد فى تلك اللحظات بعضاً من خطاب رئيسه وزعيمه / جمال عبد الناصر بمناسبة عيد الوحدة فى ٢٢ فبراير ١٩٦٧ معدداً انجازات الثورة فى الخمسة عشر سنة الماضية من عام ١٩٥٢إلى عام ١٩٦٧ موضحاً ارتفاع الميزانية العامة للدولة من ٢٠٠ مليون جنيه إلى ١١٠٠مليون جنيه وأرتفاع الدخل القومى من ٨٠٠ مليون جنيه إلى ٢٠٠٠ مليون جنيه وزيادة الناتج القومى من ١٨٠٠ مليون جنيه إلى ٣٧٠٠ مليون جنيه مع ارتفاع تعداد مصر من ٢٠ مليون نسمة إلى ٣٠ مليون نسمة مؤكداً على مسئولية الدولة فى إيجاد عمل لكل شاب على أرض مصر مع توضيح أن العمالة فى مصر قد زادت خلال الخمسة عشر سنة الماضية من ٣,٥

مليون عامل إلى ٧,٥ مليون عامل وأن المساحة المنزرعة فى أرض مصر قد زادت بمقدار ٧٠٠ ألف فدان كما انطلق صوت جمال عبد الناصر ليعدد ماقامت به الثورة من مشروعات قومية لصالح الشعب وأهمها بناء السد العالى وتحويل الاقتصاد إلى اقتصاد وطنى خالص بنسبة ١٠٠٪ ٠

وكان الشعب أيضا لا يزال يتذكر بعض من كلمات رئيسه فى أواخر مايو ١٩٦٧ وهو يتحدث عن القوات المسلحة المصرية واستعدادها لرد أى عدوان تقوم به إسرائيل ضد مصر أو توجهه ضد سوريا أن الطائرات المصرية مستعدة لمواجهة أى نوايا عدوانية قد تتم من أساطيل حلفاء إسرائيل فى البحر المتوسط أو الأحمر ٠

وفى ظل هذه الذكريات والآمال اندلعت شرارة الحرب فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ ليشتعل معها حماس الجماهير المصرية وهى تستمع إلى وسائل الاعلام تعلن نهاية طائرات العدو أمام نيران قواتنا الجوية والدفاع الجوى وانطلاق قواتنا البرية فى تدميرأرتال العدوالمهاجم وتحقق النصر تلو النصر.. ولكن سرعان ما فوجئ الشعب بانقطاع كل خطوط اعلامه الواهية لتسقط معها آماله ويتحول إلى الاعلام الخارجى ليقف على الحقيقة المرة والهزيمة الساحقة لقواتة المسلحة ولقياداته السياسية والعسكرية وتتضح أمامه كل ملامح الحقيقة المؤلمة التى أطلق عليها لفظ النكسة ٠

وأمام هذه الحقائق المؤلمة والآمال المنهارة لجماهير شعب مصرانطلق صوت رئيسها وزعيمها عبر وسائل الاعلام يعلن تنحيه عن جميع مناصبه السياسية وتحمله كامل المسئولية عما حدث ولكن سرعان ما انتفض الشعب المصرى يومى التاسع والعاشر من يونيو رافضاً الهزيمة ومطالباً قيادته السياسية أن تبقى فى موقعها والشعب معها مستعداً لكل التضحيات فى سبيل الثأر من الهزيمة واسترداد الأرض والكرامه ٠

لقد فقد الشعب المصرى جزءاً من أرضه وشاهد عدوه على الضفة الشرقية للقناة يزهو ويفاخر ٠٠ واستمع إلى الاذاعات الأجنبيه ومن خلالها تعرف على قليل من الحقائق وكثير من الأكاذيب واستعراض القوة حيث كان الشغل الشاغل للقادة الإسرائيليين هو الخروج إلى وسائل الاعلام ليحكوا بطولات لم تحدث ويرفعوا من شأنهم وشأن إسرائيل ، ويستهينون بالجيوش العربية ٠٠ وبرغم كل ذلك لم يفقد الشعب كبرياءه القومى ولم يفقد ثقته فى قواته المسلحة برغم العتاب المرالذى وجه إليها نتيجة لتقصير لم تتسبب فيه ٠

ولقد كانت هزيمة يونيو ١٩٦٧ نتاج أخطاء سياسية وعسكرية ضخمة ولم يكن هناك مستوى واحد يمكن تحديد المسئولية عن الهزيمة تجاهه وقد كانت القيادة السياسية لها اهتمام قومي من الدرجة الأولى أدى إلى خلافات حادة مع القوى الكبرى المهيمنة والتى كانت تنتهز الفرصة لاقتناص الديك الرومى (وهو اللفظ الدارج للرئيس عبدالناصر فى أروقة الإدارة الامريكية) وكان الصراع مع القوى الخارجية فى سبيل الهدف القومى يأخذ الكثير من وقت الرجل ومن جهود وإمكانيات مصرحيث كانت القوات المصرية تستنزف فى اليمن والحرص على التأييد المادى والمعنوى شرقاً وغرباً ٠

وأدى انشغال الرئيس إلى منح سلطات واسعة لنائبه المشير عبد الحكيم عامر الذى استغل هذه السلطات فى الانفراد بالسيطرة على الجيش وجهات عديدة أخرى من الدولة ومن هنا نشأت مراكز القوى وتكالب المريدون ليشغلوا المناصب العليا بلا تأهيل أو علم ، حيث تصاعد شعار مريب وقتها هو أهل الثقة خير من أهل الخبرة واعتبر النقد - أياً كان - هو نوع من الخروج عن الشرعية يؤدى بقائله إلى المحاكمة أو الاعتقال بلا محاكمة.

ومن هنا فعندما بدأت بوادرالأزمة على الحدود السورية /الإسرائيلية ارتكبت القيادة العسكرية ستة أخطاء متتاليه فى خلال أسبوعين فقط كانت هى حجر الزاوية فى الهزيمة.

الخطأ الاول :

فى الاندفاع وراء المعلومات الواردة دون التأكد من حقيقتها وتقديرالموقف الذى يضع مصلحة مصر فى المقام الأول وكانت هذه المعلومات هى حشود العدو على الجبهة السورية الذى ثبت أنها خداع ٠

الخطأ الثانى :

فى الاعتماد على دعم لم يتحقق والذى أساء فهمه السيد شمس بدران من وزير الدفاع السوفيتى أثناء وداعه فى مطار موسكو ولما وصل إلى مصر نقل - خطأ - إلى قيادتها أن الدعم والتأييد السوفيتى للموقف المصرى كاملاً علماً بأنهم فى المباحثات الرسمية نصحوا بعدم الاستمرار فى الأزمة ٠

الخطأ الثـــالـث :

الذى ينبع من نظرية أهل الثقة وأهل الخبرة ـ حيث تم استبدال معظم قادة تشكيلات القوات المسلحة قبل الحرب بأيام معدودة بقادة آخرين أقل كفاءة ولايعلمون عن وحداتهم الجديدة إلا القليل.. ولكنهم بتوع المشيرعامر ـ وشمس بدران ٠

الخـطأ الرابــع :

الانفراد بقرار السلطة العسكرية ، وانعدام ديمقراطية القرار على المستوى الاستراتيجى حيث انفرد المشير عامر بفكره عن تحديد اتجاه هجوم العدو المنتظر ورفض أن يستمع لأى آراء أخرى .. هذا السبب قضى على الخطة الدفاعيـة السابق تأكيدها فى سيناء ، وارهقت الوحدات المقاتلة فى الذهاب والمجيء إلى مواقع جديدة تتغير بصفة شبه يومية ، دون الوصول إلى قرار أو تصور لشكل الحرب القادمة – وشعر العدو بالقرار المصرى – وعمل هيكلياً – على تأكيده وقام الهجوم الفعلى من اتجاه مغاير تماماً ٠

الخطأ الخامس :

انفصام القيادات على المستويات العليا ٠٠ حيث لم يأخذ المشير عامر بتقدير الرئيس جمال عبد الناصر عندما أبلغ القيادة العامة فى مؤتمر يوم ٢ يونيو باحتمال الهجوم الإسرائيلى يوم ٥ يونيو ٠٠ بل ان تقييد نيران الدفاع الجوى ، ووجود قادة التشكيلات الميدانية بالكامل فى أحد مطارات سيناء لاستقبال المشـــير ترتب عليه النجاح المطلق للضربة الجوية الإسرائيلية ٠

الخطأالسادس :

خطأ تاريخى ، هو أن صورة حرب ١٩٥٦ كانت مسيطرة على عقل القائد العام وكان تقديره أنها مقياس لكل حرب ٠٠ لذلك فإن قرار الانسحاب كان شيئا عادياً يصدره بدون ألم.. أو بدون أن يتحقق ـ كقائد عام ـ أن التشكيلات أدت واجبها العسكرى أولا.

وهكذا فإن حرب يونيو١٩٦٧ انتهت بهزيمة للعرب وأثمرت عن نتائج قاسية للوطن العربى متمثلة فى احتلال إسرائيل لأراضى عربية بلغت حوالى ثلاثة أمثال مساحتها ومنها سيناء المصرية بمساحة حوالى ٦١ ألف كيلومترمربع ووصلت إلى خط بطول الضفة الشرقية لقناة السويس من جنوب بورفؤاد شمالاً حتى شرق السويس جنوباً وأيضا من شرق خليج

السويس حتى مدخل العقبة بمسافة طولية حوالى ٥٠٠كم فضلاً عن احتلالها للضفة الغربية لنهر الاردن وقطاع غزة ، وهضبة الجولان .

ولقد كانت هذه الأرض العربية الشاسعة تشكل لإسرائيل حلماً لم تكن تحلم به فى يوم من الأيام وسرعان ما رسمت سياستها واستراتيجيتها المقبلة على أساس أربعة نقاط ٠٠ أولها هى التمسك بالأرض التى احتلتها على أساس أنها أراض توارثية تحقق نبوءات أنبياء بنى إسرائيل التى بشروا بها منذ عشرات القرون ، وثانيها هى فرض الأمرالواقع على الأوضاع الجديدة ، وتغيير المعالم الديموجرافية للأراضى المحتلة تمهيداً لضمها إلى الأراضى الإسرائيلية وثالثها اقناع العالم بأن العرب قد أصبحوا جثة هامدة لا رجاء منها أو فيها وأن إسرائيل هى وحدها القادرة على حماية مصالح الغرب فى المنطقه وأن الوضع الجديد يمثل ميزة للغرب وليس لإسرائيل وحدها حيث يمكنها من التحرك بصورة أفضل لحماية المصالح الغربية وأخيراً استمرار التأثير النفسى العنيف على العرب وتذكيرهم دائماً بالهزيمة مع الأستعداد لرد أى محاولات قد يقومون بها ، كما أسفرت هذه الحرب عن العديد من المتغيرات السياسية سواء على المستوى الإقليمى أوالعالمى .

الفصـــل الثـانى

المتغيرات السياسية على المستويين العالمى والاقليمى

الجهود السياسية العربية

لقد بدأ الجهد السياسى المصرى والعربى منذ انتهاء حرب يونيو لمواجهة الموقف المتدهورالذى نشأ نتيجة لتلك الحرب ، فقد احتلت إسرائيل أراض عربية جديدة تعادل ثلاثة أمثال مساحتها فظهرت على حقيقتها كقوة إستعمارية تعتمد على تفوقها العسكرى فى احتلال مزيد من الأراضى العربية وتشريد حوالى مليون فلسطينى من أراضيهم ٠

كان العمل السياسى العربى له أهمية خاصة فى ذلك الوقت لأن العمل العسكرى لم يكن متاحاً وخلال عام ١٩٦٧ وقع حدثان سياسيان هامان ، أحدهما على المستوى العربى وهو «مؤتمرالقمة العربى فى الخرطوم » والثانى على المستوى الدولى وهو صدور القرار ٢٤٢ عن مجلس الأمن ، وكان لهما تأثيراً مباشراً فى تطور العمل الوطنى والقومى فى المراحل التالية من الصراع ٠

وجاء أغسطس ١٩٦٧ حيث عقد مؤتمرالقمة العربى فى الخرطوم ، وكان علامة بارزة على طريق تعاون الدول العربية لإزالة آثار العدوان ، فقد تقرر فى هذا المؤتمر تقديم دعم اقتصادى لمصر والأردن قدره ١٣٥ مليون جنيه استرلينى يخصص منها ٩٥ مليوناً لمصر تعويضاً مما خسرته من عوائد قناة السويس بعد إغلاق القناة وتعويضاً عن خسائر بترول سيناء ، وتخصص للأردن ٤٠ مليوناً لمواجهة التزاماتها ٠

ومن الناحية السياسية أوضح الرئيس عبد الناصر وجهة نظره فى الموقف قائلاً[١] يجب أن نضع فى حسابنا نقطتين أساسيتين عندما نتعرض لموضوع العمل السياسى

(١) محمود رياض «وزير خارجية مصر» ، مذكرات محمود رياض ، ص ص ١٣١ – ١٣٢ ٠

لإزالة آثار العدوان وهما الإعداد العسكرى والصمود الاقتصادى، ولاشك أن القرارالذى اتخذ فى الجلسة السابقة والخاص بالدعم الاقتصادى سيساعدنا كثيراً على الصمود ، ويجب علينا أن نضع فى حساباتنا أيضا أن هناك اتفاقا بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى على حل القضية بالصيغة التى عبر عنها المشروع الذى كان مطروحاً على الجمعية العامة ، والذى ارتكز على نقطتين رئيسيتين هما : إنهاء حالة الحرب ، انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة وأرجو أن يكون واضحاً لدينا جميعاً أننا عندما نتكلم عن العمل السياسى ، فإن ذلك لايعنى أننا سنأخذ فقط ، بل سنعطى أيضا وهنا يجب أن نبحث ما سوف نعطيه ، وبمعنى آخر ما الذى نستطيع أن نعطيه ، إن الموقف العالمى الآن يختلف تماماً عما كان عام ١٩٥٦ ، ففى ذلك العام اتفقت أمريكا والاتحاد السوفيتى على حق إسرائيل فى الوجود ، كما اتفق الاثنان أيضا على إنهاء حالة الحرب ٠

وفى خط موازٍ للاستعدادات العسكرية ، كان عبدالناصر يبحث عن امكانيات التوصل إلى تسوية سلمية على رغم أن آماله فى التوصل إلى مثل هذه التسوية كانت ضعيفة منذ البداية ، فقد برزت خلال المفاوضات التى أدت إلى الموافقة على قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ فى نوفمبر ١٩٦٧ نقاط عدة ملفتة للنظر ، منها أن آرثر جولدبرج المندوب الأمريكى بالأمم المتحدة قدم إلى محمود رياض وزير خارجية مصر تأكيدات على أن الكلمات التى تضمنها القرار تعنى أن على إسرائيل أن تنسحب من جميع الأراضى التى احتلتها أثناء الحرب على شرط أن نكون مستعدين للموافقة على إنهاء حالة الحرب ، وثانيها .. أنه على س تماماً من هذه التأكيدات ، فإن سير الأحداث أوضح أن هناك تفاهماً ضمنياً بين ولايات المتحدة وإسرائيل على إرغام العرب على المفاوضات المباشرة مع إسرائيل ، ثم أن مطامع إسرائيل بالنسبة لبعض الأراضى المحتلة كانت أمراً مقبولاً من أمريكا ، وقد اعترف جوزيف سيسكو « وكيل وزارة الخارجية الأمريكية » بذلك ضمناً فى إحدى برقياته التى بعث بها إلى محمود رياض وقال فيها : « إنكم لاتستطيعون أن تصروا على جميع الأراضى وتتوقعوا أن تحصلوا على السلام » ٠

كان واضحاً منذ البداية أن الأراضى التى كانت إسرائيل تنوى اغتصابها تشمل جنوب سيناء والقدس وبعض مناطق من الضفة الغربية ومرتفعات الجولان ٠

كان عبد الناصر يتشكك دائما بالنسبة إلى القرار٢٤٢ وقد قال فى أحد اجتماعاته مع كبار قادة القوات المسلحة يوم ٢٥نوفمبر١٩٦٧ [1] ، دعونى أقل لكم بعض الحقائق فاذا نظرتم إلى ما يفعله الإسرائيليون فى المناطق المحتلة سيتضح لكم كل الوضوح أنهم لا يعتزمون الجلاء عن هذه المناطق إلا إذا أرغموا على ذلك وأرجوكم أن تتذكروا ما سبق أن قلته : إن ما أخذ بالقوة لايسترد بغيرالقوة ، وليس هذا بلاغة قول لكنى أعنيه تماماً ثم اسمعوا هذا : لقد طلبت من الاتحاد السوفيتى أن يزودنا بمعدات العبور ، وقلت إنى أريدها كقرض أو صفقة ، والواقع أننى لو كنت مكان ليفى اشكول أوموشى ديان لفعلت مثل ما يفعلان ، إنهما يريدان التوسع ، وهما يظنان أن الفرصة مواتية لهما للتوسع بل إنى أرى أنهما لايستطيعان الانسحاب حتى لو أرادا ذلك لأنهما غذيا شعبهما بآمال واسعه ووعود كثيرة ومايقولونه الآن سيتحول لامحالة إلى سياسة رسمية وسيجدان نفسيهما ملتزمين بها وهكذا فلستم بحاجة إلى توجيه أى اهتمام لأى شئ يمكن أن أقوله فى البحث عن الحل السلمى ،

مؤتمر جلاسبورو بين القطبين العظميين

لقد كان قرار وقف إطلاق النار فى حرب يونيو ١٩٦٧ قراراً فريداً فى نوعه حيث أعترضت الولايات المتحدة على أن يقترن بعودة القوات المتحاربة إلى الخطوط التى بدأت منها الحرب وبعد ذلك ولمدة ستة أشهر ونصف كان هناك صراع يدورفى أروقة الأمم المتحدة وفى المحافل الدولية ومن خلال مؤتمرات دولية ثنائية ورباعية ومن خلال اتصالات عربية مكثفة.. لإصدار قرار متوازن تستند عليه مصر والدول العربية لانسحاب إسرائيل من الأراضى التى احتلتها حتى صدرالقرار ٢٤٢ والتى صدرت العديد من التفسيرات لإجهاضه فى نفس لحظة إعلانه وكانت تجربة المعاناه التى تحملتها مصر والدول العربية خلال سعيها لإصدار هذا القرار وقراءتها لمختلف الاتجاهات العالمية نحو سياساتها تجاه المنطقة تدل دلالة واضحة أن العمل السياسى بمفرده ٠٠ لن يؤدى بأى حال لاستعادة الأرض ٠

وكانت نتائج مؤتمر جلاسبورو بين القوتين العظميين والذى انعقد قبل مرور شهر واحد على إيقاف النيران وحضره الرئيس كوسيجن عن الاتحاد السوفيتى والرئيس جونسون رئيس الولايات المتحدة والذى اتخذ خلاله قراراً خاصاً بالشرق الأوسط يقضى بأن تعمل الولايات المتحدة على أن تنسحب إسرائيل من الأراضى العربية ، وأن يعمل الاتحاد السوفيتى على

(١) محمود رياض ، مذكرات محمود رياض ، ص ١٦٨ ٠

إقناع العرب بإنهاء حالة الحرب مع إسرائيل والاعتراف بها ويدل هذا القرار على اتفاقهما على تسكين الأوضاع في الشرق الأوسط وهو الهدف الرئيسي الذي كانت تعمل إسرائيل على تحقيقه لفرض الأمر الواقع وتغيير ديموجرافية المنطقة مع مرورالزمن كما كان يخالف كل أهداف العرب التي عقدت آمالها على مساندة الاتحاد السوفيتي لها ٠

كان الاتحاد السوفيتي يحاول الانكماش على نفسه في الوقت التي كانت فيه الولايات المتحدة تحاول بسط نفوذها، وقد أوضح عبد الناصر ذلك في حديثه مع الرئيس الجزائري هواري بومدين بالقول (١) الأمريكان يطالبوننا بتنازلات والغريب أن الذي يضغط علينا في هذه التنازلات هو وزيرالخارجيه السوفيتي .. إن موقف الروس بالنسبة لنا موقف أساسي فإذا لم نحصل منهم على حاجتنا من السلاح فمعنى ذلك أنه لن تكون هناك معركة.. وأنا أقول علينا أن نتحمل ظروفهم وتفكيرهم ولانيأس من إخراجهم من حالة الجمود التي تقيدهم الآن

والواقع أن الرئيس عبد الناصر لم يرفض جهود الحل السلمي بل إنه فوض الاتحاد السوفيتي على القيام بكل ما يراه مناسباً في هذا المضمار وأن يجري اتصالاته مع كل الأطراف ووضع شرطين أساسين لهذا التحرك (٢) ٠

الشرط الأول:

ألا يطلب منا أحد أن نتفاوض مع إسرائيل بينما هي تحتل أراضينا لأن ذلك يعني الاذعان لشروطها مقدماً برهن الأراضي التي تحتلها.

الشرط الثاني:

ألا يطلب منا أحد أن نتنازل عن أرض عربية لأن ذلك يعني أن العدو حقق أهدافه ٠

والشئ المحير أن الاتحاد السوفيتي التزم بقرارات جلاسبورو تماما بينما لم تضعها الولايات المتحدة في اعتبارها ، حيث كان هناك إصرار من الاتحاد السوفيتي على عدم إمداد مصر بأكثر من احتياجاتها الدفاعية وفي تنفيذه لهذه السياسة أخذ يراوغ ثم يعقد صفقات

---

(١) محمد حسنين هيكل ، الانفجار ، مؤسسة الأهرام ، ص ٨٩٦ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٩٣٧ ٠

لتهدئة المواقف ثم يماطل فى تنفيذها وكأنه ينفذ سياسة عدم الانحياز بين العرب وإسرائيل وكان لابد طوال هذه الفترة من إيجاد وسيلة لتحفيز الاتحاد السوفيتى نفسه لإجابة مطالب مصر من السلاح وتوضيح الصورة أمامه بأن مصالح الاتحاد السوفيتى نفسه فى المنطقة معرضة للانهيار .. إن لم يتخذ موقفاً قريباً لما تحققه الولايات المتحدة لحليفتها إسرائيل وكان إقناعه يتطلب دائما اتخاذ إجراءات ساخنة تعكس صلابة الجبهة المصرية .

الموقف الأمريكى:

يمكن القول بصفة عامة أن تنفيذ السياسات الأمريكية فى منطقة الشرق الأوسط قد صادف عدداً من المشاكل ، نجمت بصفة أساسية عن موقف الولايات المتحدة المساند لإسرائيل. فبرغم كونها دولة عظمى لها التزامات ومصالح فى كل مناطق العالم .. وخصوصاً منطقة الشرق الأوسط إلا أنها كانت تنحاز تماماً لنصرة إسرائيل وضد مصالح العرب عموماً ومصر بصفة خاصة ومن ثم تعاظمت خيبة الأمل العربى فى الولايات المتحدة وسياساتها ، وبالرغم من ذلك ونتيجة للنجاحات التى حققتها إسرائيل فى حرب يونيو فقد أصبح للولايات المتحدة اليد الأولى فى المنطقة بل ونجحت فى تحقيق أهدافها الاستراتيجية التى خططت لها منذ أعوام وفشلت خلال فترة الخمسينات وبداية الستينات فى تحقيقها ومن أهم تلك الأهداف :

عودة مصر إلى داخل حدودها والقضاء على زعامة مصر وجمال عبد الناصر وإضعاف قدرته فى الضغط على بعض النظم العربية التى وقفت فى تلك الفترة بجانب الولايات المتحدة .

* إصابة حركة عدم الانحياز بضربة قاصمة ، وتحجيم دور بعض الدول ومنها مصر.

* إعتبار إسرائيل الحليف الرئيسى للولايات المتحدة بل وأصبحت الدولة التى يمكن للولايات المتحدة أن تعتمد عليها فى تحقيق أهدافها ومصالحها بالمنطقة.

* أصبحت الولايات المتحدة هى صاحبة الحل فى مشكلة الصراع العربى الإسرائيلى .

* إحداث خلل فى التوازن العسكرى لصالح إسرائيل وتحقيق التفوق المطلق لها على جيرانها العرب مع استمرار دعمها بالأسلحة الحديثة والمتطورة .

* بدأت الولايات المتحدة تقصرنشاطها على مواجهة التواجد السوفيتى بالمنطقة وفى تحقيق أمن إسرائيل، والواقع أن هذه السياسة بدأت تتعارض كلية مع مصالح العرب بل لقد أدت هذه السياسة إلى تعزيز النفوذ السوفيتى فى المنطقة بدلاً من الحد منه.

وبالرغم من الاختلافات الواضحة بين السياسات العربية وسياسة الولايات المتحدة إلا أن الاتصالات بينها وبين مصر لم تنقطع وبذلت مصر الكثير من المحاولات لتحييد موقفها إلا أن السياسة الأمريكية كانت مضادة تماماً لذلك ، حيث استمر انحيازها الكامل لجانب إسرائيل سواء من وجهة نظر انتخابية أو لتصفية حسابات شخصية وكانت النتائج المرئيه هى أن الولايات المتحدة كانت تسعى دائماً لعرقلة جميع الجهود السياسية ، بل كانت تصر على أن يكون حل المشكلة هو حل أمريكى يتوافق مع المصالح الأمريكية ومع مصالح إسرائيل وقد كان هذا العامل باستمرار يغلق الطريق أمام الحلول السلمية ويفرض على مصر أن يكون الحل عسكرياً بل إن عبدالناصر قد عبر عن ذلك أثناء مقابلته المبعوث الأمريكى جوزيف سيسكو بقوله (١) «بدون ضغط أمريكى محسوس وبدون ضغط عسكرى عربى مؤثر فإن أحداً لايقدر على إقناع إسرائيل بالتعقل وأنه لو كان فى مكان زعماء إسرائيل لكان ذلك موقفه، إذا لماذا ينسحبون طواعية إذ لم يكن عليهم ضغط سياسى لمن يملك فرصة الضغط أو ضغط عسكرى لمن يقدر على التضحيات.

الموقف السوفيتى:

لقد استخدمت السياسة السوفيتية المؤيدة للعرب فى الشرق الأوسط ضمن غايات أخرى إلى تغيرالوضع القائم بالمنطقة بما يحقق مصالحها خاصة بعد تدهور العلاقات العربية الأمريكية وأصبحت كل من مصر وسوريا تعتمد كلية على التأييد الدبلوماسى والعسكرى السوفيتى.

وعلى الصعيد العسكرى فقد استطاع الاتحاد السوفيتى أن يدعم من وجوده العسكرى الكبير فى كل من البحر المتوسط والبحر الأحمر والمحيط الهندى ، بل واستطاع أن يوسع

---

(١) محمد حسنين هيكل ، عواصف الحرب وعواصف السلام ، الجزء الثاني ، ص ١٦٤ .

دائرة نفوذه فى اليمن الجنوبى وتحويله إلى دولة اشتراكية • وجاهدت السياسات السوفيتية فى مضاعفة المنافع المجتباه من وراء الأخطاء التى ارتكبها العرب ، فحصل على تسهيلات عسكرية كبيرة فى كل من مصر وسوريا وزاد من حجم مستشاريه ونفوذها بهما .

كل هذه العوامل وغيرها .. ساعدت بطبيعة الحال على دعم المصالح السوفيتية الاستراتيجية والايدلوجية وزادت من قدرات الاتحاد السوفيتى بالمنطقة فانتشرت المراكز الثقافية السوفيتية وزاد دعمها للأحزاب الشيوعية .

وبالرغم من مناظرة السوفيت للقضايا العربية ، إلا أنهم مع ذلك اتفقوا مع الولايات المتحدة على تجميد الأوضاع فى المنطقة إلى حالة أطلق عليها .. اللاسلم واللاحرب بحيث يمكن لهم أن يمارسوا مزيداً من التدخل فى الشرق الأوسط ، وفى ضوء هذه السياسة .. تجنب الاتحاد السوفيتى أى مواجهة مع الولايات المتحدة تتعارض مع مصالح أى منهما بالمنطقة وفى نفس الوقت تؤيد دولة إسرائيل ووجودها ولايريدون لها هزيمة من العرب ، ومن هنا كان إمدادها للدول العربية بنوعيات وحجم الأسلحة بما لايخل بهذا المبدأ، كذلك كان الاتحاد السوفيتى يجد نجاحاً به فى استمرار حالة التوتر بين العرب وإسرائيل حيث يتيح له ذلك تحقيق أهدافه الاستراتيجية بالمنطقة من أجل دعم نفوذه وزيادة حجم تواجده العسكرى بها.

الموقف الإسرائيلى

الواقع أن احتلال إسرائيل للأراضى العربية قد حقق لها أحلامها التوسعية بل وحقق لها أهم جوانب أمنها – من وجهة نظرها – إذ توافرت لها حدود طبيعية وعمق استراتيجى كاف إلى حد كبير ، وكذلك أنتعش اقتصادها نتيجة لاستغلال الموارد العربية بالأراضى المحتلة ، ووسعت دائرة حركتها التجارية مع الدول الأفريقية والآسيوية ، وازدادت معدلات الهجرة لإسرائيل وتضاعفت لها المساعدات الاقتصادية والعسكرية من الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن أصبحت حليفاً كاملاً للولايات المتحدة تساندها فى تحقيق أهدافها ومصالحها بالمنطقة.

وواقع الأمر أن حرب يونيو ١٩٦٧ قد أحدثت تغيرات جذرية فى الوضع الجيواستراتيجى الإسرائيلى وصحب ذلك تغييرات فى استراتيجيتها وسياستها ، وتفاعلت هذه الاستراتيجية الجديدة مع الموقف السياسى طيلة الأعوام التى تلت حرب يونيو ١٩٦٧ وتبلورت فى نظرية جديدة تقوم على أساس الاستمرار فى احتلال الأراضى العربية وردع العرب ومنعهم من تحريرها .

وفى هذا الشأن قال ايجال آلون : « إن إسرائيل لاتسطيع أن تبقى إلى مالانهاية انتظاراً لرسم حدود آمنة · فمع استمرار التهديدات العربية فإنه من حق إسرائيل أن تقيم مستوطنات ومواقع آمنة فى مناطق الحدود وفى المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية من أجل تحقيق أمن إسرائيل » .

وواقع الأمرفإن الخطوط الجديدة التى وصلت إليها إسرائيل بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ استطاعت أن تحقق لها مزايا عديدة ، باعتبارها خطوط استراتيجية هامة وموانع طبيعية تحقق لها الأمن فى مواجهة أية أعمال تعرضية استراتيجية من جانب العرب. وفى ضوء تلك الأوضاع ، رفضت إسرائيل جميع الحلول السلمية بعد أن شعرت بمزايا النصر، ومن ثم بدأت تلوح باستخدام قوتها العسكرية من أجل ردع أى جانب عربى يقف ضد تحقيق أهدافها ، معنوياً وعسكرياً ، وأطلقت فى العالم دعاية ذكية بأن العرب وفى مقدمتهم مصر لن تقوم لهم قائمة ، ومن ثم أغلقت الأبواب أمام أى حل سلمى وبرمجت السياسة الإسرائيلية ردودها على كل شئ باللاءات التى يستحيل معها الالتقاء عند أى نقطة على طريق تحقيق السلام ، وكان هذا الموقف الإسرائيلى يتم بالتنسيق مع الولايات المتحدة وبتشجيع منها ، وقد صاحب ذلك كله حملة إعلامية غير مسبوقة من أجل النيل من نفسية المواطن العربى المصرى ، بل وقد أثبتت المواقف المتعددة من القادة الإسرائيليين وموقفهم من القرار (٢٤٢) ومباحثات مبعوث الأمم المتحدة / الدكتور «يارنج» إن الصلف الإسرائيلى غير قابل للنقاش، وأن الاقتراب منه هو نوع من الاستسلام وليس خطوة فى اتجاه السلام، وأن قواعد اللعبة كما تضعها إسرائيل ، حيث بذلت قصارى جهدها فى تثبيت الاوضاع القائمة حينئذ حتى ينسى العالم هذه القضية ، وبالتالى تستطيع أن تحقق أهدافها بتوسيع رقعة إسرائيل .

وهكذا قامت إسرائيل بسد الأبواب أمام أى حل سلمى .. ومن ثم فرضت الحرب حتميتها ولم يبق أمام العرب إلا طريق الصراع المسلح لهدم نظرية الأمن الإسرائيلى التى تعتمد على الردع النفسى والمادى .

الموقف العربى

أساءت حرب يونيو١٩٦٧ للجانب العربى ، فخيم اليأس عليهم لاكتشافهم عجزهم العسكرى فى تلك الحرب واتضح لهم أهمية وضرورة توحيد جهدهم والعودة إلى العمل الجماعى ، وكانت نقطة البداية هى تحديد أهداف النضال فى المرحلة التالية والتى تتمثل فى تنقية الخلافات العربية واتخاذ الخطوات لدعم الإعداد العسكرى من أجل ازالة آثار عدوان

يونيو ١٩٦٧ .. كان هذا المؤتمر نجاحاً سياسياً عظيماً لعبدالناصر وحقق مؤتمر الخرطوم في اغسطس ٦٧ نجاحاً لم يكن متوقعا ، فقد تم فيه الوصول إلى وضع نهاية لحرب اليمن ، كما اتفق على أن تقدم الدول المنتجة للبترول دعماً للدول التى تعرضت للعدوان، والواقع أن العديد من الدول العربية قد تأثرت أوضاعها الاقتصادية بعد الحرب حيث امتدت إلى اليمن الجنوبى بسبب توقف الملاحة فى قناة السويس وإلى الأردن حيث خسرت مناطقها الإنتاجية بالضفة الغربية وإلى مصربسبب فقدها لموارد سيناء ومنها البترول وتوقف دخل قناة السويس والسياحة ، هذا بالاضافة إلى تزايد حجم الهجرات الفلسطينية .

لقد أدت الحرب إلى تقليص العمق الاستراتيجي العربى فى الوقت الذى هيأت فيه لإسرائيل أفضل موقف دفاعى ، وبالرغم مما لحق بالعالم العربى من خسائر مادية وعسكرية واقتصادية وسياسية إلا أنه أصبح هناك اقتناع عربى برفض نتائج حرب يونيو ١٩٦٧ ، وأن المواجهة العسكرية أمر ضرورى من أجل تحرير الأرض، وأصبح هناك اقتناع عربى بأن حرباً جديدة بين العرب وإسرائيل هى مسألة حتمية ، وأن استراتيجية عربية موحدة لتحقيق هذا الهدف يجب أن ترسم فى إطار عربى ، تضع العالم العربى فى بوتقة واحدة من أجل حركة المصير المشترك.

الموقف المصرى

أثرت حرب يونيو ١٩٦٧ على مصر وعلى زعامتها ودورها فى المنطقة ، كما تأثرت أوضاعها الاقتصادية بشكل كبير ، وتوقفت عملية التنمية خاصة بعد توجيه الجزء الأكبر من إيراداتها من أجل إعداد الدولة للحرب ومنها بناء القوات المسلحة ، وبدأت تبرز مشاكل التضخم وعجز الميزان التجارى وتزايد حجم الديون الخارجية.

وبدأت مصر تعتمد كلية على الاتحاد السوفيتى من أجل إعادة بناء قواتها المسلحة ومن ثم تزايد النفوذ السوفيتى فى مصر ، كما أبرزت الأوضاع الاستراتيجية العسكرية الجديدة .. مع وجود القوات الإسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة ، برزالعديد من المصاعب أمام المخطط العسكرى المصرى ، فعبور قناة السويس بحجم كبير من القوات والأسلحة والمعدات .. يعتبر أمراً فى غاية الصعوبة مع وجود هذا المانع الضخم ، وكذلك فان إعادة بناء القوات المسلحة ليس أمراً سهلاً خاصة وأن أولى ركائز هذا البناء هو إعادة الثقة للمقاتل المصرى ورفع معنوياته وكذلك بين الشعب وقواته المسلحة باعتبار أن الشعب المصرى يمثل

حائط الصمود لهذا الجيش، وكان ولابد من الإسراع فى بناء خط دفاعى على الضفة الغربية للقناة ، بحيث يصبح ركيزة أساسية للدفاع عن مصر ثم الانطلاق منه نحو تحرير الأرض ، وفى نفس الوقت كان لابد من مواجهة الصلف الإسرائيلى وعدم تمكنه من أن يتحقق له استقرار دائم على الأرض التى احتلها ، ومن هنا برزت فكرة تنشيط الجبهة واستنزاف قواه المادية والعسكرية والمعنوية بتدمير قواته وإلحاق أكبر قدر من الخسائر البشرية به ، وبالتالى دفع ثمن بقاء احتلاله للأرض.

وفى بداية عام ١٩٦٨ كان عبد الناصر يركز تركيزاً تاماً فى السياسة على ثلاثة جوانب: القوات المسلحة – العلاقات المصرية السوفيتية – العلاقات العربية.

كان عبد الناصر يحس أن العالم العربى يعيش فى حالة تمزق منذ حرب يونيو١٩٦٧ ومن ثم كان لابد من التحرك على المستوى العربى من أجل توحيد المواقف ورسم السياسات المشتركة ، وإحداث طفرة كبيرة فى التعاون والارتباط الوثيق بالدول العربية جميعاً ، فالصراع العربى الإسرائيلى لايسمح أن تكون مصر هى الطرف الوحيد فيه ، ولا دول المواجهة فقط حيث يجب أن تشترك جميع الدول العربية كل حسب قدرتها اشتراكاً مباشـــراً فى هذا الصراع.

لقد تبلورت الاستراتيجية المصرية فى تلك المرحلة فى إطار :

الصمود العسكرى بسرعة بهدف منع إسرائيل من استغلال نجاحها العسكرى، وبانتهاء صمود يمكن التحول إلى مرحلة أخرى من الدفاع النشط لتنشيط الجبهة.

السير مع المقترحات السياسية والدبلوماسية طالما أنها تسعى إلى انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية التى استولت عليها فى يونيو ١٩٦٧ وتحقيق أهداف الشعب الفلسطينى ، وفى نفس الوقت إقناع العالم بصفة عامة والاتحاد السوفيتى بصفة خاصة أننا لا نريد الحرب من أجل الحرب ، وإنما لإعادة الأراضى والسيادة المغتصبة .

إن استرداد الأرض لا يتم إلا بالقوة مثل ما أخذ بالقوة ، والقوة تحتاج إلى سلاح متطور حديث ، وإلى تنظيم وتدريب جيد ومتواصل ، وأن واجب مصر أن تعمل بكل قوة من أجل تحرير أراضيها ، وهذا ما يؤكد أهمية التفرغ الكامل للقوات المسلحة لواجبها المقدس فى الدفاع عن تراب مصر وتحرير الأرض المحتلة والدفاع عن الحقوق القومية لأمتنا العربية.

إن الجبهة الداخلية فى مصر يجب أن تحمى ظهر القوات المسلحة وتقدم الدعم المادى والمساندة المعنوية لها ومن خلال تعبئة هذه الجبهة فى شتى المجالات من أجل معركة تحرير الأرض وإزالة آثار العدوان.

إن تحقيق وحدة التضامن العربى وحشد الطاقات العربية ضد العدو المشترك هو أمر يؤكده واقع التاريخ والمصير المشترك ، ومن ثم تعبئة الشعوب العربية وإمكانياتها لصالح المعركة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً .

الباب الثانى

مرحلة إعادة البناء والصمود

الفصل الثالث

إعادة البناء

الفصل الرابع

الصمود وأعمال القوات البرية

الفصل الخامس

أعمال الأفرع الرئيسية

القسم الأول: أعمال القوات البحرية
القسم الثانى: أعمال القوات الجوية
القسم الثالث: أعمال قوات الدفاع الجوى

الفصل السادس

أعمال المهندسين على الجانبين

الفصـــل الثالــث

إعـــادة البنـــاء

مقدمـــة :

كان من المستطاع أن يحقق القرار (٢٤٢) الصادر من مجلس الأمن فى نوفمبر ١٩٦٧ تسوية مقبولة لمشكلة الشرق الأوسط ، وأن يرسى دعائم سلام عادل فى المنطقة لو صدقت نوايا إسرائيل ، ولكن إسرائيل عملت بكل ما فى وسعها من الجهد إلى عرقلة تنفيذ القرار وتجميده ، واتضح من الوهلة الأولى بعد صدور القرار . اتخاذها لموقف متعنت يقوم على رفض الانسحاب من الأراضى المحتلة قبل التوصل إلى حل يرضيها ، كما رفضت إعطاء أى تأكيد حول استعدادها لتنفيذ قرار مجلس الأمن . وبذلك تأكدت مصر أن إسرائيل لاتريد السلام ولكنها تريد أن تفرض إرادتها على العرب وهى فى مركز قوة باحتلالها الأرض العربية ، وأنه لا أمل فى تخليها طواعية عن هذه الأرض أو عن أطماعها التوسعية إلا إذا أدركت ولمست أن ما تدفعه من ثمن لا يتناسب مع ما تحتفظ به من مكاسب .

ولم يكن الموقف العسكرى الإسرائيلى فى ذلك الوقت موقفاً صلباً بل كانت تعتريه الكثير من نقاط الضعف خاصة فى بنائه الدفاعى ، الأمر الذى يسمح للقوات المصرية بأن ترفع من تكاليف النصر العسكرى الذى حققته وتحوله إلى عبء ضخم يقع على كاهلها .

ولذا قررت مصر فى سبتمبر ١٩٦٨ التحول إلى استراتيجية جديدة والانتقال بالجبهة من مرحلة الصمود إلى مرحلة جديدة من المواجهة العسكرية أطلق عليها «مرحلة الدفاع النشط» وهذه الاستراتيجية هى استراتيجية لصراع طويل الأمد يهدف إلى اجبار إسرائيل على تبديد طاقتها واستهلاك مواردها وخلق إقناع مؤكد لديها بان ثمن الإصرار على العدوان هو ثمن فادح لا تحتمله ، وإشعارها بمدى الخطأ الفاحش الذى وقعت فيه عندما رسمت لنفسها دوراً أكبر من حقيقته.

وفى نطاق هذه النظرية فإنه ليس لزاماً للصراع أن يكون بهدف تحقيق انتصارات عسكرية مدوية ولكن بالمحافظة على استمرار الصراع وتصاعده المنظم.

يتزايد ثقله وعبئه على الجانب المعادى شيئاً فشيئاً معتمداً على فرض ظروف قاسيه عليه باستخدام وسائل محدودة ولكن بأساليب تتسم بالمهارة والمرونة مع استمرار العمل وتزايد ضغوطه المعنوية التى تؤثر على عناصر القوة العسكرية.

هكذا كانت الأوضاع عندما بدأت مصر فى تنشيط القتال على جبهة قناة السويس من أجل فرض أمر واقع يؤدى إلى رفع معنويات القوات المسلحة والشعب وإبقاء المشكلة حية على الساحة العالمية والإقليمية ، ومن أجل دعم التضامن الحربى ، ومن أجل إقناع الجانب السوفيتى باستمرار دعمه العسكرى لمصر.

من العسير على شعب مثل الشعب الإسرائيلى استيعاب ما حدث.. فمنذ معركة المائة ساعة أخذ اليهود داخل إسرائيل يتساءلون وكأنهم يعيشون فى جو غريب لتتابع الأحداث بسرعة مذهلة وهم ساهرون حول بوابة (مندلبوم) إلى الساعات المتأخرة من الليل حيث كانت الحدود بين الأردن وإسرائيل إلى اليوم السابع من شهر يونيو ١٩٦٧ : لقد كسبنا الحرب .. ألا يتعين علينا التغلب على أهم موقف نقابله وهو انتزاع السلام الذى أنكره العرب على إسرائيل منذ اليوم الأول من قيامها ؟! وعلى الصعيد الآخر فقد كان لزاماً على مصر أن تواجه قدرها .. وأن تبدأ فوراً فى تعديل أوضاعها مع ترسيخ قواعد وأسس ومبادىء سياسية وعسكرية سليمة لتقود مسيرتها الشاقة والمقبلة عليها .. فبدأت فور توقف القتال فى يونيو ١٩٦٧ بإعادة بناء القوات المسلحه .. وإعداد الجبهة الداخلية استعداداً لمعركة عسكرية مقبلة لا بديل عنها من أجل استعادة الأرض والكرامة من واقع تفهمها بأن احتمالات التوصل إلى حل سياسى كان أمراً مستبعداً فى ظل موقف أمريكى منحاز تماما لإسرائيل .. ومساندتها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً بلاحدود .. هذا بالإضافة إلى موقف إسرائيلى رافض ومتعنت ومتمسك بالأراضى المحتلة فى كل من سيناء والجولان والضفة الغربية باعتبارها حدود آمنة؛ لذلك أصبح من الضرورة إعادة البناء العسكرى وصمود راسخ كخطوة أولى ضرورية نحو تصحيح المسيرة العربية .

الأهداف والمبررات التى دفعت بالقيادة السياسية والعسكرية نحو انتهاج استراتيجية الصمود :

ركزت اتجاهات السياسة الخارجية المصرية فى عدم تقبل الهزيمة العسكرية مع مسايرة المقترحات السياسية طالما أنها تسعى إلى الانسحاب الإسرائيلى من الأراضى العربية المحتلة فى يونيو ٦٧ وتحقيق مطالب وأهداف الشعب الفلسطينى.

فى نفس الوقت اعتنق الرئيس / جمال عبد الناصر مبدأ :

إن ما أخذ بالقوة لايسترد بغيرالقوة، وأن هذه القوة تحتاج إلى سلاح وعتاد حديث بالإضافة إلى التنظيم والتدريب الجيد والمتواصل .. مع ضرورة لم الشمل والتنسيق والتعاون مع الدول العربية ٠٠ حيث أن الصراع العربى / الإسرائيلى لايعنى أن تنفرد به مصر حتى ولو كان معها دول المواجهة الأمرالذى يتطلب ضرورة توحيد القرارات السياسية العربية .

ومن هنا جاءت الحاجة أيضاً إلى دعم الاتحاد السوفيتى والتعاون معه (ومع دول الكتلة الشرقية) . . وأن من الضرورى تقديم الدعم السريع والمتطور لإعادة بناء القوات المسلحة مع السماح للخبراء السوفيت بالمشاركة فى تدريب القوات والتى روعى فى إعادة تنظيمها أن تكون من ذوى المستوى الثقافى الذى يسمح لها بسرعة الاستيعاب لتكنولوجيا الصراع المسلح الحديث.

لقد كانت خسائرنا فى حرب الأيام الستة فى القوات المسلحة تمثل أكثر من ٨٠ ٪ فى نفس الوقت الذى تمكنت فيه القوات الإسرائيلية من رفع قدراتها فى هذا المجال عن طريق الترسانة الأمريكية . . وبالقطع فسوف تستغل تفوقها الحالى فى ممارسة العدوان من موقع القوة الأمر الذى يفرض على قواتنا الاكتفاء برد الفعل (مؤقتا) ولفترة زمنية لن نسمح لها بأن تطول؛ مما يتطلب سرعة استعادة مقدرتنا حتى يمكن التصاعد تدريجياً بالعمل العسكرى ضدها .

بدأت عجلة العمل تتحرك داخل القوات المسلحة . . وكان لسرعة الدعم العربى والسوفيتى أثره الكبير فى تحقيق الصمود السياسى والعسكرى ٠٠ فمثلاً قدمت دولة الجزائر الشقيق عدد ٤٠ طائرة مقاتلة قاذفة ميج ١٧ وعدداً من الدبابات، وسارع الاتحاد

السوفيتى بإمداد مصر بالأسلحة والمعدات المتطورة تعويضا لبعض خسائر القوات المسلحة، كما سارعت كل من ألمانيا الشرقية وبولندا ويوغوسلافيا بإرسال طائرات مقاتلة قاذفة ميج ١٧ وأسلحة ومعدات مدفعية مضادة للطائرات وأجهزة لاسلكية وعربات نقل ٠

فـى ٢١ يونيـو ٦٧ وصـل الرئيـس بودجورنى ومـارشـال الاتحـاد السوفيـتى زخاروف رئيس هيئة أركان حرب القوات السوفيتية حيث بدأت محادثات قمة مع الرئيس / عبدالناصر تم فيها تحديد معالم جديدة لعلاقات قوية . . واتفق الجانبان على ضرورة إزالة آثار العدوان مع استمرار الدعم العسكرى بالأسلحة والمعدات الحديثة مع اشتراك الاتحاد السوفيتى بالمستشارين والخبراء على أن تكون الأسبقية لكل من القوات الجوية وقوات الدفاع الجوى ٠٠ ووافقت مصر على زيادة قطع الأسطول السوفيتى فى شرق البحر الأبيض المتوسط مع الاستعداد لإعطائه تسهيلات فى موانىء البحر المتوسط حتى يمكن إيجاد توازن بحرى مع الأسطول السادس الامريكى والذى تعتبره إسرائيل احتياطى استراتيجى لقواتها هذا فى الوقت الذى طلبت فيه مصر طائرات مقاتلة قاذفة بعيدة المدى بهدف الردع فى العمق الإسرائيلى إذا اعتدت علينا مرة أخرى .

كمـا بـرز الدورالحيـوى للرئيـس اليوغـسلافى جوزيف بروز تيتـو خـلال شـهر أغسطس من نفس العام ١٩٦٧ فى زيارة لكل من مصر وسوريا وأيضا فى مساعيه لدى ولايات المتحدة والرئيس الأمريكى ليندون جونسون سعياً وراء حصول العرب على ;ارعادل من مجلس الأمن ٠٠ هذا بالإضافة إلى الدعم العسكرى اليوغوسلافى عقب نكسة ١٩٦٠ مباشرة وبالذات فيما يختص بالمدفعية المضادة للطائرات مع قبول مرور الجسر الجوى السوفيتى عبر أجواء يوغوسلافيا إلى كل من مصر وسوريا .

وهكذا فإن الجهود لم تهدأ قليلا إلا بعد أن نجحت قواتنا فى تجهيز خط الدفاع الأول غرب قناة السويس .

إعـــادة البـــناء :

لقد كان الخبراء العسكريون فى جميع أنحاء العالم وفيهم الخبيرالفرنسى الشهير جنرال أندريه بوفر يقدرون مرحلة البناء والتدريب والإعداد بما لايقل عن جيل كامل .. بينما قدرته الدعاية الإسرائيلية بجيلين على الأقل وذلك قبل أن تقوم للقوات العسكرية العربية قائمة وتكتمل لهم مقومات قوة حربية يعتد بها، إلا أن الإرادة الشعبية

المصرية التى لا تقهرها الخسائر العسكرية .. هى التى حولت ذلك كله إلى إيجابية متلاحقة بأسلوب فاق كل تصور.

فمن خلال ظروف سياسية وعسكرية معقدة بدأنا فى إعادة تنظيم الجبهة الداخلية وإعادة بناء القوات المسلحة :

بالنسبة للبناء السياسى :

* شكلت وزارة جديدة برئاسة الرئيس / جمال عبدالناصر .
* عدلت الميزانية ليكون اقتصاد الدولة اقتصاد حرب .
* تغييرالأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى العربى .
* وضع التخطيط السياسى المناسب لتصفية آثارالعدوان .
* مصالحة ولم الشمل العربى .

وكانت الأحداث تفرض علينا فى مرحلة البناء السياسى الآتى :

فى المجال الداخلى والاقتصادى :

أهمية تماسك الجبهة الداخلية حتى يمكن للبناء العسكرى أن يتم وهو يستند على صلابة هذه الجبهة .

إن تحقيق النصركانت له متطلبات تفرض على الجميع التضحية لمواجهة ظروف الحرب والتى تقتضى زيادة الإنفاق لأغراض الدفاع والأمن القومى .

وقد ساهم الشعب بجميع فئاته وبرضاه فى سبيل إعداد وتدعيم ميزانية الحرب.

فى المجال الخارجى (فى مرحلة العمل السياسى) :

العمل على تدعيم العمل العربى الموحد •• وقد استطاع النشاط الدبلوماسى العربى أن يؤكد وجوده فى مواجهة الدعاية الصهيونية والاستعمارية .

الحرص على النتائج الايجابية التى تتحقق من خلال مناقشة الأزمة فى المنظمات الدولية •• وقد ركز الاعلام العربى وقتئذ نشاطه فى هذه المرحلة حتى أمكن كسب المزيد

من الأصدقاء فى المجال الدولى وأصبح الجانب العربى يشكل جبهة قوية خاصة بعد جهود دول عدم الانحيازالتى دعمت الموقف العربى بجهودها الدبلوماسية المستمرة ، هذا بالاضافة للمساندة السوفيتية ومن دول الكتلة الشرقية .

ولقد كان لتكثيف النشاط الدبلوماسى العربى آثاره البعيدة إلى الدرجة التى دفعت بالعديد من الدول التى تربطها بالغرب والولايات المتحدة علاقات طيبة إلى تقدير الموقف العربى والوقوف بجانبها فى المحافل الدولية مثل اليونان وفرنسا ، وتركيا ، وباكستان ، واسبانيا هذا إلى جانب الدول الأفريقية التى تحولت إلى تأييد الحق العربى .

البناء العسكرى :

فى ظل هذه الأوضاع كان من الضرورى استعواض خسائر النكسة بمعدات وأسلحة أكثر تقدماً ٠٠ والارتقاء بالتنظيم والتسليح والتدريب وتجهيز المسرح حتى يمكن إحداث التوازن رغم الصعوبات التى عانيناها فى مجال صفقات التسليح من الاتحاد السوفيتى (والتى كانت تتمثل فى البطء والمراوغة نتيجة لتقاربها فيما بعد من الولايات المتحدة الامريكية وتطبيقاً لقرارات معاهدة جالاسبورو بينهما) .

ولقد مرت عملية البناء وإعادة التنظيم بالعديد من المراحل الشاقة والتى كانت جميعها تنفذ من خلال إدارة معارك دفاعية طاحنة تصاعدت حدتها بنهاية حرب الاستنزاف وعلى مدى ٢٤ ساعة يوميا (ليلاً ونهاراً) .

بناء المقاتل (البناء المعنوى) :

كان أول قرار يصدره الرئيس / عبدالناصر (بعد عدوله عن التنحى) هو تغيير القيادات العليا للقوات المسلحة .. وذلك بتعين الفريق/ محمد فوزى قائداً عاماً والفريق عبدالمنعم رياض/ رئيساً للأركان .. بالاضافة إلى إجراء تعديلات فى المناصب العسكرية المختلفة شملت قادة الافرع الرئيسية ورؤساء الهيئات والإدارات وأجهزة القيادة العامة والتشكيلات والوحدات المقاتلة .

وكانت إعادة البناء للمقاتل من أكثر الأمور مشقة .. فاعتمد فى ذلك أولاً على البناءالنفسى والمعنوى ٠٠ فقد آمنت القيادات الجديدة والتى تولت المسئولية بعد حرب يونيو

١٩٦٧ إيماناً راسخا بأن القوة تكمن فى أصالة شعبها ٠٠ لذلك كان من الضرورى فى بادئ الأمر إزالة الآثار الناجمة عن معاناة المقاتلين من جراء هزيمة لا يستحقونها ورفع معنوياتهم واستعادة ثقتهم بالنفس والقادة والسلاح وتطويره مع تسليح الفرد المقاتل بالعزم والإصرار وقوة الإيمان وبعدالة القضية كمقدمات حيوية لرفع الكفاءة القتالية والتى ستتيح لهم حتما أفضل أداء لتحقيق النصر كهدف نهائى. ولقد سارت عملية بناء الفرد المقاتل على أساس الإيمان بأن الرجل وليس السلاح هو الذى يأتى بالنصر فى النهاية ٠٠ وهذا النصر يجب أن تنمو بذوره فى قلوب الرجال من جميع الرتب وأن القضاء على أسباب الهزيمة وآثارها داخل صفوف القوات المسلحة كان هو الهدف الأول .

وعلى هذا الأساس كانت مهمة إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة والأفرع والأقسام التابعة لها والتى دفعت لتكون ضمن التركيب التنظيمى فى التشكيلات والإدارات وأفرع القوات المسلحة المختلفة .

وبدأت قوافل التوعية بما لديها من إمكانيات مادية وعلمية تؤدى مهامها على الوجه الأكمل مؤكدة على أن الإيمان الدينى الذى لايتعارض مع حرية الفكر وجهاد البشر نحو حياة أفضل ، ومركزة على التصدى للشائعات الإسرائيلية التى كانت تروجها إذاعتها فى ذلك الوقت والتى كانت تستهدف المزيد من الإحباط لدى المقاتل والشعب المصرى ٠

كما بدأ فى التوسع فى تجنيد حملة المؤهلات العليا والمتوسطة لكى تتمكن من سرعة الاستيعاب والفهم والتدريب على الأسلحة الحديثة وتكنولوجيا الحرب المتطورة فى البر والبحر والجو وعلى مستوى جميع التخصصات الفنية والادارية الأخرى .. مع إرساء قواعد متطورة للفكر العسكرى المصرى بعيدا عن العقائد الشرقية أو الغربية بل بما يتلائم مع فكرنا وأرضنا وامكانياتنا .

وكان التعايش واللقاءات المستمرة مع القادة والجنود وبحث مشاكلهم والعمل على حلها مع توخى العدالة فى الصواب والعقاب والواجبات والحقوق وتفهم الجميع بأن إرادة القتال فى الوحدة تتوقف على العلاقات الاجتماعية والانسانية التى تسود الأفراد.. وان الوحدة العسكرية بمعناها الصحيح ما هى إلا رابطة بين مجموعة من الأفراد تجمعهم تحت كل الظروف وأمام كل الأخطار فى عمل موحد متناسق ومتكامل بحيث يمكنها (أى الوحدة) بتسليحها الذاتى القيام بواجب قتالى لتحقيق الهدف المطلوب وهو النصر ٠

كما سارالعمل على سرعة تماسك الشعب والقيادة السياسية مع قواتها المسلحة وإعداد شباب الجامعات عسكرياً مع إصدار قانون منظمات الدفاع الشعبى فى عام ١٩٦٨ للدفاع عن الأهداف الحيوية للدولة وحمايتها •

كما أخذت القوات المسلحة على عاتقها مد هذه المنظمات بالسلاح والذخيرة والمعدات والأفراد لتدريبهم لتحقيق مهامها الوطنية • وهكذا أعيد بناء الفرد المقاتل حتى حقق فى قتاله الناجح فى معارك الصمود والاستنزاف المتواصلة أعظم الانجازات واستعادته للثقة ورفع كفاءته وقدرته على القتال وبجانب بناء الفرد بدأ بناء القوات المسلحة وإعدادها للجولة التالية:

حفلت الفترة من يونيو ٦٧ وحتى أكتوبر ٧٣ والتى تزيد على ٧٥ شهراً بالتركيز على التدريب والإعداد للقوات للجولة القادمة وكانت هذه الحقبة الزمنية القاسية هى بالفعل البوتقة الحقيقية لكثير من التجارب والمنطلق الهام لإرساء قواعد متطورة للفكر العسكرى المصرى الصحيح والذى خرج إلى حيزالتنفيذ فى السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ .

كانت عجلة التدريب الشاق فى القوات المسلحة مستمرة على خط المواجهة وفى الخلف وفى عمق الدولة على أراضى مشابهة لمسرح الحرب القادمة، وأجريت المشروعات التدريبية والتجارب المكثفة على اقتحام الموانع المائية وتدميرالنقاط القوية والمواقع الحصينة هذا بالإضافة إلى الرمايات الليلية والنهارية بالذخيرة الحية ومشروعات مراكز القيادة على كافة المستويات والتدريب التخصصى المركز لكافة التخصصات والصنوف •

ولقد أمضت قواتنا المسلحة بكافة أجهزتها وتشكيلاتها ووحداتها السنوات بذلت خلالها العرق كما بذلت فيها الدماء والأرواح إلى أن أصبحت النتائج التدريبية بدرجة ممتازة خاصة فيما يتعلق بضرب أرقام قياسية فى رفع درجات الاستعداد القتالى .

ولقد أفادت هذه الأنشطة التدريبية الايجابية فى إزالة الكثير من الآثار الروتينية وأمراض الاكتئاب النفسى التى انتابت البعض والتى كانت مترتبة على سنوات حرب الخنادق •• فاستعدنا القدرة على الحركة وامتلكنا إمكانيات المقاومة المادية عبر مسيرة شاقة وعسيرة جعلتنا بعد أشهر قليلة من النكسة نقف رجالاً أقوياء ونزداد قوة وقدرة مع كل يوم ونقترب بذلك خطوات من إمكانيات تصحيح آثار الهزيمة وتجاوز سلبياتها .

وكان من أعظم ما حققناه من تطورفى التدريب هو الواقعية وضرورة التصميم الدائم على حرية الفكر والابداع والمبادأة بغير عزلة عن تجارب التطور الأخرى الغنية بالأفكار .. وتحقق الفهم المتبادل والمعرفة الكاملة لقدرات كل فرد.

وامتزجت العلاقة الانسانية بحب القائد والثقة فيه . . . فهو العقل المدبر للوحدة والمنسق لأعمالها وقيادتها إلى النصر وأنه بالحفاظ عليها هو فى الواقع يحافظ على نفسه وبالتالى على كل وحدته .

ومن هـنا وضع فى الاعتبار أساس تدريبى دائم يتعلق بالقيادة الناجحة (وهى من أصعب الأمور) بحيث تبنى على الوعى الكامل بالأفراد وإمكانياتهم والكفاءة العلمية والقدرة العسكرية على القيادة والقدوة الحسنة٠

على أن الرعاية المعنوية تكاد تكون هى حجرالزاوية فى القيادة لبناء الجندى ٠ فهى من أهم مقومات الكفاءة القتالية للوحدة ٠٠ وقد فطنت إلى ذلك القيادات الجديدة فى القوات المسلحة وركزت على هذا الجانب الهام اهتمامها الكامل خاصة أثناء إدارة المشروعات التدريبية لمعركة عسكرية مقبلة لا بديل عنها من أجل استعادة الأرض والكرامة من واقع تفهمها بأن احتمالات التوصل إلى حل سياسى كان أمراً مستبعداً ٠

ضمانات تنشيط الجبهة :

ورغم الضغوط السياسية على مصر والتى تستهدف قبول حل منفرد مع إسرائيل والتفاوض المباشر معها إلا أن اتجاه الرئيس عبدالناصركان يتركز فى جمع قوات العرب للمعركة الشاملة والقادمة مع إسرائيل ٠٠ وكانت باكورة هذا الاتجاه ما ظهر فى مؤتمر الخرطوم فى أواخر شهر أغسطس ١٩٦٧ من توصيات وقرارات إيجابية جسدت فكرة التضامن العربى من أجل الصمود والاستعداد للمواجهة فى الوقت الذى كانت فيه إسرائيل تقوم بشن حرب نفسية ضد مصر والعرب وقواتهم المسلحة ٠

لذلك ساد اجتماع الرئيس عبدالناصر بالقيادات العسكرية يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٦٧ فى اعقاب قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ مفهوم واحد وهوأن الحل السياسى للمشكلة بكل تعقيداتها يكاد يكون درباً من دروب المستحيل ، وأن الحرب هى الوسيلة الوحيدة لإقناع إسرائيل والولايات المتحدة بالتخلى عن الشروط المجحفة التى تلوحان بها .. ونجاح

هذه الحرب ستجعل إسرائيل تقف فى منتصف الطريق لايجاد حل مناسب للأزمة، وكانت رؤية الرئيس عبدالناصر كما حددها للقيادات العسكرية تتلخص فى الآتى :-

* ضرورة تنشيط العمل العسكرى فى المرحلة المقبلة حتى يشعر العالم بأن مشكلة الشرق الأوسط لاتزال ساخنة لا يجب التوقف على خطوط وقف النار الحالية بصورة جامدة حتى لايتصورها العالم أنها خطوط هدنة جديدة ·

* من الضرورى تغييرصورة الجيش المصرى الذى وجهت إليه حملة نفسية قاسية بعد نكسة يونيو ١٩٦٧ ·

* وقد طلب الرئيس عبدالناصر من القيادة العسكرية فى هذا الاجتماع بحث إمكانية تنشيط العمل العسكرى على الجبهة.

وطبقا للأسـلوب العلمى الذى اتبعته القوات المسلحة فى هذه المرحلة والذى كان يؤكد عليه باستمرار الفريق عبدالمنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة تم تقدير الموقف من ناحية التوقيت ، وحجم المهام واتساع مسرح العمليات ، واجراءات تأمين الشعب فى الداخل والدورالعربى المساند للموقف المصرى ، والاجراءات العسكرية الأخرى ·

وقد خلصت التقديرات بنتائج محددة كالآتى:

من ناحية التوقيت : فقد كان واضحا ضرورة أن يرتبط بتحقيق نسبة مقبولة من كفاءة القتالية بمختلف عناصرها وهذه النسبة لا يمكن تحقيقها قبل منتصف عـام ١٩٦٨ (اذا استمرت برامـج الإعـداد وتنفيـذ عقـود الإمداد بالسلاح وبالمعدات المخططة) وبناء على ذلك فقد تم تقسيم المرحلة إلى عدة مراحل زمنية لكل منها مهامها واجراءاتها وكان أولها فترة الصمود التى بدأت منذ العاشر من يونيـو ١٩٦٧ واتفق على أن تنتهى بنهاية صيف عام ١٩٦٨ وتكون المهام الرئيسية خلالها هى استكمال البنية الأساسية لتأمين الدولة من الداخل واستكمال الكفاءة القتالية للقوات المسلحة والتخطيط للعمليات التعرضية يعقبها مرحلة دفاع نشط حدد لها فترة ستة شهور تبدأ من صيف ١٩٦٨ وتنتهى مع نهاية شتاء ١٩٦٩ وهى تعتبر كمرحلة انتقالية ما بين الصمود والعمل التعرضى ثـم تأتـى مرحلة العمـل التعرضى (التى أطلق عليها الاستنزاف) وتبدأ مع ربيع ١٩٦٩ ، وأخيراً مـرحلة العمل الإيجابى ، وتحدد طبقاً للموقف وتطور الظروف السياسية والعسكرية ·

حجم المهام : وقد تحدد بأنها يجب أن تكون محدودة ومتدرجة ولا ينصح فيها بالاندفاع تجنباً لأية نكسات ويجب التركيز منذ البداية على تعظيم أوجه التفوق المصرى تجاه نقط الضعف الإسرائيلية ثم تتدرج المهام بحيث تخوض القوات المسلحة أعمال قتال شرسة ضد الجانب الآخر.

مسرح العمليات : وكان القرار أن يقتصر فى المراحل الأولى على المسرحين البرى والبحرى لتجنب مواجهه الطيران الإسرائيلى المتفوق ، ثم تتصاعد العمليات الجوية بالتدريج بعد ذلك.

إجراءات تأمين الشعب فى الداخل : وهى إجراءات تتطلب جهودا واضحة ، وإجراءات تنسيق مع جميع الجهات الرسمية فى الدولة وصدر القانون رقم ٤ / ٦٨ بشأن إعداد الدولة للحرب ، وتأمين الشعب فى الداخل وتنظيم التحصينات ومراكز الإنقاذ وتحديد مهام الجهات المختلفة فى التأمين .

وصدر قرار إنشاء منظمات الدفاع الشعبى وأعقب ذلك إلغاء القوانين المنظمة للحرس الوطنى ، وجهاز الإعداد العسكرى للشباب (الفتوة سابقا) وتحويل كل مخصصاتها لرفع الكفاءة القتالية لجيش الدفاع الشعبى على مستوى المحافظات.

الدور العربى وكانت المجهودات تبذل فى اتجاهين متوازيين :

إنشاء قيادة عسكرية للجبهة الشرقية وقد نجحت الجهود فعلا مع نوايا إنشاء هذه الجبهة . وعقد أول مؤتمر لرؤساء أركان حرب دول المواجهة فى القاهرة فى ٢٦ / ٨ / ١٩٦٨ ، وتم تحديد الإطار العام لهذه الجبهة خلال اجتماعات مستمرة لمدة يومين ورفعت تقاريرإلى وزراء الدفاع الذين اجتمعوا فى القاهرة فى ٨ ، ٩ يناير ١٩٦٩ وصدقوا على قرارات رؤساء الأركان ، كماتم تحديد سلطات هذه القيادة وتم رفع قرارها (ورغم كل تلك الاجراءات فلم تقم لهذه القيادة أى قائمه حتى الآن) أما دول المواجهة الذين حضروا الاجتماعات فتكونت من مصر وسوريا والعراق والاردن والسودان وقد اجريت محاولات لضم السعودية والكويت (ولم تتم) .

الاتجاه الثانى هو التنسيق الثنائى أو الجماعى فى سبيل نصرة القضية واستمرار الدعم واستغلال الإمكانيات المتاحة للضغط فى مواقف محددة وقد كانت الدول العربية

بالكامل مستعدة لتقديم العون – طبقاً لإمكانياتها ولم تنقطع إجراءات التنسيق فى يوم ما – بل أن بعض الدول العربية كانت قلقة أكثر من اللازم وكانت تحضر وفود رسميه منها دورياً للاطمئنان على الموقف – ومن هذه الزيارات على سبيل المثال – كانت زيارة الوفد العسكرى الكويتى برئاسة وزير الدفاع الشيخ سعد عبدالله الجابر فى الفتره من ٤ – ١٠ مايو ١٩٦٩ والذى حمل أسئلة محددة يطلب الاستفسار عنها وكانت هذه الأسئلة شبه متكررة من كل الوفود العربية وملخصها الآتى :

* بعد مضى سنتين من حرب يونيو هل عامل الزمن فى مصلحتنا أم مصلحة إسرائيل علما بأن إسرائيل يمكنها تصنيع أسلحة غير تقليدية – ما هو موقف القوات الجوية فى مصر نظراً لأهمية هذا السلاح ؟

* ماهو موقف الإمداد بالسلاح الروسى. وهل الاتحاد السوفيتى يفى بتعهداته من التسليح؟

* هل هناك خطة مصرية لاستعادة الارض ؟

وقطعا فإن القاهرة كان فيها الردود التى تصنع الطمأنينة فى قلوب الأشقاء العرب شاكرة لهم اهتماماتهم .

الاجراءات العسكرية ، حيث تسارعت الجهود فى إعادة تنظيم القوات المسلحة بعد ، استردت جزءا من عافيتها مع نهاية عام ١٩٦٧ وتم التركيز على التدريب القتالى المركز، .د الانتهاء من إعداد الكوادر المتخصصة وصدرت قرارات تنظيمية رئيسية – منها إنشاء جيشين ميدانيين (الجيش الثانى والثالث) بدلا من المنطقة العسكرية الشرقية ، وإنشاء قوات الدفاع الجوى كفرع رئيسى من أفرع القوات المسلحة وتجهيز مسرح العمليات ضمن خطط دفاعية جديدة متطورة وتحديد سلطات الاشتباك بالنيران بعد أن ظلت مركزية لمدة حوالى سبعة أشهر (فقد اتخذ الرئيس عبدالناصر قراره بمنع استفزاز العدو فى اجتماعه بالقيادات العسكرية يوم ١١ يونيو ٦٧) .

فى نفس الوقت بدأ التخطيط للأعمال التعرضية النشطة طبقا لمعايير محددة ، وفى سرية تامة . مع اختيارالعناصر المنفذة ، وتدريبها فى مناطق بعيدة عن القوات لضمان السرية واستيعاب القوات للمهام التى ستنفذها .

الفصـــل الرابــع

الصمود وأعمال القوات البرية من يونيو ٦٧ ـ إلى سبتمبر ١٩٦٧

عـــــام :

كانت الروح المعنوية للشعب المصرى يتفاقم تأثيرها من الهزيمة وكان انخفاض هذه الروح تنعكس بالسلب مباشرة على القوات المسلحة .. واشتعلت المظاهرات فى فبراير ١٩٦٨ عقب صدور أحكام قيادات الطيران.. ثم تكررت فى الخريف من نفس العام وكانت عمليات تهجير سكان مدن القناة نتيجة للقصف العشوائى الجوى والمدفعى المعادى من أهم عمليات الأمن الداخلى الذى اهتمت به القيادة السياسية وأجهزة الدولة وتحملها كل من شعب مدن وقرى القناه وباقى شعب مصر فى محافظات الوادى والذى رحب باستضافة عشرات الألوف منهم، ولعل ذلك قد أحدث بعض الخلل فى التركيبة السكانية مازلنا نعانى آثارها حتى الآن.

التخطيط من أجل الصمود

استند التخطيط الاستراتيجى للقوات المسلحة على تحقيق الهدف الذى حددته القيادة السياسية وهو (إزالة آثار العدوان) وتحدد إطار العمل العسكرى بدقة تجنبا لاى نكسات أخرى مع تقييد سلطات الاشتباك مع القوات الإسرائيلية فى بادئ الأمر، وبتنامى وتماسك الدفاعات نبدأ فى تسخين الجبهة حتى لا تتصور إسرائيل ان خطوط إيقاف النيران الحالية قد تجمدت لتصبح خطوط هدنة أخرى .

على أن تنشيط العمل العسكرى على الجبهة فى ذلك الوقت رغم بدايته المحدودة إلا أنه كان بمثابة التطعيم بالنيران للقوات المصرية لكسر حاجز الرهبة بعد هزيمة يونيو ٦٧، كما أنه سيكون بمثابة الشرارة لشحذ مشاعر الشعوب العربية نحو جبهة القتال وتذكيرهم

بأن المعركة لم تنتهى بعد، وأن ذلك من شأنه فى النهاية إعادة الصورة الحقيقية للقوات المصرية بعد أن شوهتها كل من الدعاية الإسرائيلية والأمريكية .

كما كان من الضرورى أيضا إعادة بناء وتنظيم وتسليح القوات المسلحة وتجهيز المسرح لتنفيذ مهامها الجديدة مع إجراء المزيد من التنسيق العسكرى العربى بهدف إقامة الجبهة الشرقية.

وهكذا شهدت الأشهر الثلاثة التالية للنكسة العديد من الإجراءات للتمهيد والاستعداد للجولة المقبلة .. سواء كانت هذه الإجراءات عسكرية لإحداث توازن على جبهة القتال.. أو إجراءات اخرى : سياسية / اقتصادية / اجتماعية ... الخ وفى الإطار العام لإعداد الدولة للحرب .

هذا وقد تم إنجاز هذا التخطيط الاستراتيجى على التوازى مع مراحل البناء ومن خلال تنفيذ ثلاث مراحل دفاعية.

المرحلة الأولى : وهى الصمود :

(واستغرقت المدة من شهر يونيو ٦٧ الى شهر اغسطس ٦٨ حوالى ١٤ شهرا) وقد تحدد الهدف منها لتحقيق مهمتين رئيسيتين بحيث يجرى تنفيذهما على التوازى فى توقيت واحد:

المهمة الأولى : وكانت تتعلق بعملية إعادة البناء

المهمة الثانية : وتتحرك إجراءات تنفيذها مع حركة البناء .. وتتلخص فى سرعة تحقيق القدرة الدفاعية على الضفة المواجهة : تمتد جنوبا من الساحل الغربى لخليج السويس ثم الضفة الغربية للقناة وشمالا حتى بورسعيد وبمواجهة وصلت لأكثر من ١٧٥ كم وبعمق للمنطقة الخلفية بحوالى ٧٠ كم من الخط الأول لجبهة القتال.

وكانت الخطة على جبهة القناة ترمى بداية الى كبت الجماح وضبط الأعصاب بمعنى أن يكون رد الفعل محليا حتى لا يتسع نطاق العمليات ونحن فى بداية هذه المرحلة الحرجة من لم شتات وبناء وإعادة تنظيم .

ثم يتحول الدفاع تدريجيا كلما ازدادت مقدرة القوات على القيام بعمليات مضادة إيجابية، ثم بعد ذلك الى دفاع نشط وأعمال ردع منسقة بالنيران وفى مناطق مؤثرة .

وعلى الجانب الآخر : من الضفة الشرقية للقناة بدأت القوات الإسرائيلية تتخذ دفاعاتها مرتكزة على الساتر الترابى المرتفع نسبيا فى ذلك الوقت (كناتج حفر قناة السويس قديما) مكونة عليه خطا دفاعيا مؤقتا تحتله مجموعة من وحدات فرعية وعناصر استطلاع وملاحظة وعلى القمم المسيطرة على القناة (شرقها وغربها) محتفظة باحتياطيات خفيفة الحركة على أنساق متتالية متدرجة فى القوة إلى الشرق وعلى محاور الاقتراب الرئيسى.

أما بالنسبة لقواتنا فحتى يمكن تحقيق سيطرة حازمة لأعمال قتال القوات خلال هذه المرحلة والمراحل القتالية التالية .. قسمت الجبهة إلى أربعة تشكيلات (قيادات) تعبوية يتبع كل منها مباشرة للقيادة العامة وهى :

قيادة وقوات الجيش الثانى الميدانى وتحددت مسئوليتها فى النطاق غرب القناة من منتصف البحيرات المرة جنوبا إلى بورسعيد شمالا وتمتد حدودها الخلفية غربا لتشمل محافظات الشرقية والدقهلية إضافة إلى محافظتى الاسماعيلية وبورسعيد كما كان يعمل فى نطاق هذا الجيش قيادة تعبوية أخرى هى : قيادة منطقة القناة التعبوية .

قيادة وقوات الجيش الثالث الميدانى: وتحددت مسئوليتها فى النطاق من جبل الجلاله البحرية جنوبا وعلى الساحل الغربى لخليج السويس ثم الضفة الغربية للقناة ومحافظة السويس وحتى منتصف البحيرات المرة شمالا وتمتد الحدود الخلفية حتى منطقة الروبيكى والحدود الشرقية للمنطقة العسكرية المركزية .

قيادة وقوات منطقة البحر الأحمر العسكرية: وتحدد مسئوليتها فى النطاق من جنوب مجموعة جبال الجلاله البحرية وجنوبا حتى الساحل الغربى لخليج السويس والبحر الأحمر حتى جنوب القصير وغربا على محاور التقدم من حلوان والمعادى وبعض مدن الوجه القبلى.

هذا بالإضافة إلى نقط التمركز والقواعد البحرية فى كل من : بورسعيد والسويس والغردقة وسفاجا وكذا القواعد الجوية والمطارات المتقدمة .

وحتى تكتمل معركة الأسلحة المشتركة وفى إطار التأمين والحماية من الطيران المعادى بدء فى تكوين قوة جديدة عملاقة وهى **قيادة وقوات الدفاع الجوى.**

تطور أعمال القتال خلال مرحلة الصمود :

اشتملت هذه المرحلة بصفة عامة على الأعمال التالية :

* الرد بالنيران على تراشقات مدفعية وهاونات ودبابات القوات الإسرائيلية .

* تخطيط وتنفيذ قصفات نيرانية مدبرة بالمدفعية والصواريخ لتدمير تجميعات القوا ، الإسرائيلية ومناطقها الإدارية ومراكز قياداتها على الضفة الشرقية للقناة وحرمانها ، (تنفيذ أعمال التجهيزات الهندسية وإجراء التحصينات الدفاعية شرقا .

* تصدى قواتنا الجوية للنشاط الجوى المعادى تحت قيد أساسى (فى بادىء الأمر) وهو ع م عبورها لخط قناة السويس شرقاً (هذا باستثناء ضربات قواتنا الجوية يومى ١٤ ، ١٥ يو ر ١٩٦٧ وكما سيتم إيضاح ذلك فى سياق التسجيل لهذه المرحلة) .

* البدء فى دفع داوريات استطلاع صغيرة لمراقبة واكتشاف النشاط العسكرى المعــادى ع ر الضــفة الشرقية للقنــاة ليلا على أن تعود إلى الغرب قبل أول ضوء اليــوم التــالى.

* تكثيف حقول الألغام الدفاعية والبحرية على الساحل الغربى لخليج السويس خاصة منط ؛ العين السخنة والشاطىء الغربى للقناة والبحيرات وحتى بورسعيد شمالاً .

البدء فى تأمين ونجدة الأهداف الحيوية على خط الجبهة وفى عمق الدولة .

، وأخيراً البدء فى تهجير معظم أهالى مدن وقرى القناة إلى محافظات العمق خاصة بـ . تكثيف النيران المعادية ضدها .

هذا وقد أمكن فك وتحميل المعدات والآلات الرئيسية لمصانع مــدن القنـــاة (خاص ؛ مصانع البتــرول بمنطقــة الزيتيه ومصانع السماد بمدينة السويس) ونقلها إلى مصا ، العمق.

عــلى أن أشــهر وأقــوى العمــليات الحربية خــلال هــذه المــرحــ . الحرجة (مرحــلة الصمــود) عــلى المستوى المحــلى والعــربى والعــالمى كــانت عبا ، عــن أربــعة معــارك هـــى :

* **معركة رأس العش** : فى الأول من شهر يوليو ٦٧ وقد أدت هذه المعركة رغم محدودتها إلى إحساس جميع المقاتلين بإمكانية المواجهة وتحقيق النصر ضد القوات الإسرائيلية . . . خاصة وأن نجاح قواتنا المحدودة فى هذه المعركة وبسالتها كانت ضد قوات معادية متفوقة تساندها القوات الجوية الإسرائيلية مما أثار مشاعر المقاتلين على طول خط الجبهة حمية وحماسا واستعدادا للمواجهة المنتظرة .

* **الثانية كانت معارك قواتنا الجوية** : ففى خلال يومى ١٤ ، ١٥ يوليو ٦٧ قامت قواتنا الجوية بطلعات جوية تكبدت فيها القوات الإسرائيلية بسيناء خسائر فادحة أجبرت بعض منها على الفرار فى اتجاه الشرق والشمال الشرقى .

ومن هنا زادت الثقة لدى المقاتلين فى قواتهم الجوية بعد مشاهدتهم لها وهى تؤدى مهامها بنجاح وهى تصعد إلى سماء المعركة وتعود بعد ذلك إلى قواعدها سالمة .

* **الثالثة معارك المدفعية** : وكان الاشتباك الكبير الذى ركزت فيه قواتنا بمدفعياتها وأسلحتها البرية الأخرى فى قطاع شرق الاسماعيلية يوم ٢٠ سبتمبر ٦٧ والذى تمكنت فيه من تدمير وإصابة عدد غير قليل من الدبابات الإسرائيلية ومركباتها ومعداتها . حيث أذاعت وكالات الأنباء وقتئذ أن حجم خسائر القوات الإسرائيلية : وصل إلى عدد ٩ دبابة مدمرة بخلاف الاصابات فى الدبابات الأخرى وعدد ٢ عربة لاسلكى وعربة مدفعية صواريخ، وعدد ٢٥ قتيلا ، عدد ٣٠٠ جريح منهم ضابطين برتبة كبيرة .

* الرابعة : **إغراق المدمرة البحرية الإسرائيلية إيلات شمال شرق بورسعيد فى ٢١ أكتوبر من نفس العام ٦٧** والتى أحدثت ثورة فى أول استخدام للصواريخ سطح / سطح.. فكانت خسارة فادحة للقوات البحرية الإسرائيلية خاصة وأن هذه المدمرة كانت تشكل ثلث القوات البحرية الإسرائيلية فى ذلك الوقت.. كما كانت خسائرها كبيرة فى الأرواح الأمر الذى دفعها لاستئذان مصر عن طريق الأمم المتحدة فى البحث عن قتلاها والغرقى فى منطقة التدمير شمال بورسعيد.. واستمرت فى عمليات البحث والإنقاذ لأكثر من ٤٨ ساعة بعد أن وافقت مصر على ذلك.. (جانب من فروسية المصريين فى الحروب) .

خلاصة لهذه المعارك والتى شملت الأفرع الرئيسية الثلاث لقواتنا المسلحة هدأت الأنفس وانبعثت عوامل الثقة فى النفس والقادة والسلاح.. بالإضافة إلى

المردود الكبير والهائل على معنويات الشعب المصرى والعربى وعلى المستوى العالمى والمردود السلبى والإحباط على المستوى الإسرائيلى.. حيث أثبتت هذه الملاحم (فى ذلك الوقت بالذات) أن القوات المسلحة المصرية ليست بالجثة الهامدة كما كانت تدعى إسرائيل .

الدفاع الإيجابى والمواجهة خلال مرحلة الصمود :

ومع تطور العمليات الحربية فى هذه المرحلة ونمو الكفاءة القتالية للقوات تسليحا وتدريبا وارتفاع المعنويات ورسوخ إرادة القتال .. بدأت عمليات إيجابية وتصاعدت العمليات الدفاعية التعرضية .. فمن أجل توفير أكبر قدر من المعلومات الدقيقة عن القوات الإسرائيلية المتمركزة شرق القناة بدأت قواتنا فى دفع الداوريات شرقا .. وكانت هذه الداوريات يتم دفعها ليلا وفى صمت فى قوارب مطاطية صغيرة أو سباحة وتعود قبل أول ضوء اليوم التالى .

وبعد نجاح هذه الداوريات وازدياد الثقة تم تطويرها إلى داوريات خلف الخطوط لتعود بعد عدة أيام قد تصل لأكثر من عشرة أيام ومعها حصيلة من المعلومات الدقيقة والوثائق الهامة ونماذج من أسلحة ومعدات العدو .. إضافة إلى الأعمال الإيجابية لمجموعات خلف الخطوط الأخرى والتى تم دفعها بهدف إحداث أكبر الخسائر فى القوات الإسرائيلية والتعرض لخطوط مواصلاتها وإزعاجها وإرباك القيادات .. الخ.

ومع استكمال الخطوط الدفاعية وتماسكها فى نطاقات عميقة غرب القناة تكونت احتياطيات الجبهة خفيفة الحركة ..و كانت الخطط النيرانية تعتمد على المدفعية بعيارتها المختلفة والتى أدخلت أيضا ضمن التركيب التنظيمى لجميع المستويات بدء من مستوى الكتيبة المشاة وكتيبة الدبابات تطبيقا لمبدأ المرونة وتوزيعها على عدة أهداف ثم مع تطور وتماسك الدفاعات وعندما بدأت دورياتنا المقاتلة (من المشاة والقوات الخاصة والمهندسين) فى التسلل شرقا ومهاجمة مواقع العدو الدفاعية كانت المدفعية تعاونها بالنيران بالتركيز ضد المناطق الإدارية المعادية (نقاط تخزين الوقود والمياه والذخيرة وورش الإصلاح...) كأهداف ثمينة حيث كانت قواتنا الرابضة فى الغرب تشهد نتائجها فى شكل نيران مستعرة فى هذه الأهداف لمدة طويلة.

هذا بالإضافة إلى نشاط أفراد القناصة المهرة الذين تم تدريبهم لقنص واصطياد أفراد العدو وقادته سواء فى نقاط المراقبة أو أفراده المتحركين على الضفة الشرقية للقناة .

من هنا بدأت القوات الإسرائيلية (فى بداية النصف الأول من عام ١٩٦٨ وبعد تكبدها خسائر كبيرة خاصة فى الأرواح) فى تحصين مواقعها الدفاعية فى الشرق مستخدمة شكاير الرمل وقضبان السكك الحديدية والفلنكات والكتل الأسمنتية والموانع بأنواعها .. إلا أن قواتنا كانت لها بالمرصاد لحرمانها من إتمام هذه التحصينات ، واستمرت معارك المدفعية والتراشقات طوال مرحلة الصمود واستهلكت آلاف الأطنان من الذخائر بمعدل فاق جميع الحروب السابقة .

وبتصاعد أعمال القتال امتلكت قواتنا زمام المبادأة من القوات الإسرائيلية المدافعة على الضفة الشرقية للقناة وأصبحت تصرفاتها عبارة عن ردود أفعال للأنشطة العسكرية المصرية . . ثم لتنتقل مرة أخرى لكى يتبادل كل من الطرفين مراكز المبادأة أو رد الفعل طبقا لتطور سير العمليات .

وعلى صعيد رد الفعل الإسرائيلى بعد معركة رأس العش فى أول يوليو ٦٧ قامت القوات الإسرائيلية يوم ١٤ يوليو ٦٧ بمحاولة فاشلة لإنزال لنشات وقوارب على قناة السويس فى المناطق : القنطرة ، وكبريت ، والشط ، وبورتوفيق فى محاولة إبراز سيطرتها على القناه إلا أن قواتنا تصدت لها فورا برا وبحرا وجوا وفشلت محاولاته بعد أن تكبد خسائر (عدد ٨ طائرة وعدد ٨ لنش بحرى وزورق . . بالاضافة إلى إصابة وتدمير عدد ١٩ دبابة ، وعدد ١٨ عربة مدرعة ، وعدد ٢٧ لورى محمل بالذخيرة . . علاوة على خسائره الضخمة فى الأرواح.. بينما كانت خسائر قواتنا عبارة عن : عدد ٢٥ شهيد ، وعدد ١٠٨ جريح ، وعدد ٣ طائرة ، وعدد ٢ لنش بحرى .

ولعل مجمل أحداث شهر سبتمبر ٦٧ والعربدة الاسرائيلية جوا وبحرا (من بورسعيد شمالا حتى خليج السويس جنوبا) قد أبرزت رد الفعل المصرى للانتقام فى ٤ سبتمبر ٦٧ حاول العدو البحرى مرة أخرى دفع عدد من اللنشات وناقلة بحرية من خليج السويس شمالا تحت ستار نيران مكثفة من قواته الجوية ومدفعياته . . إلا أن قواتنا تصدت لها وأجبرتها على الارتداد بعد أن كبد الجانبان خسائر كبيرة .

ثم محاولاته المتكررة خلال هذا الشهر أيضاً بالاختراقات الجوية وبالقصف النيرانى بالمدفعيات والأسلحة الصغيرة مع تصدى قواتنا المستمر لكل هذه المحاولات.

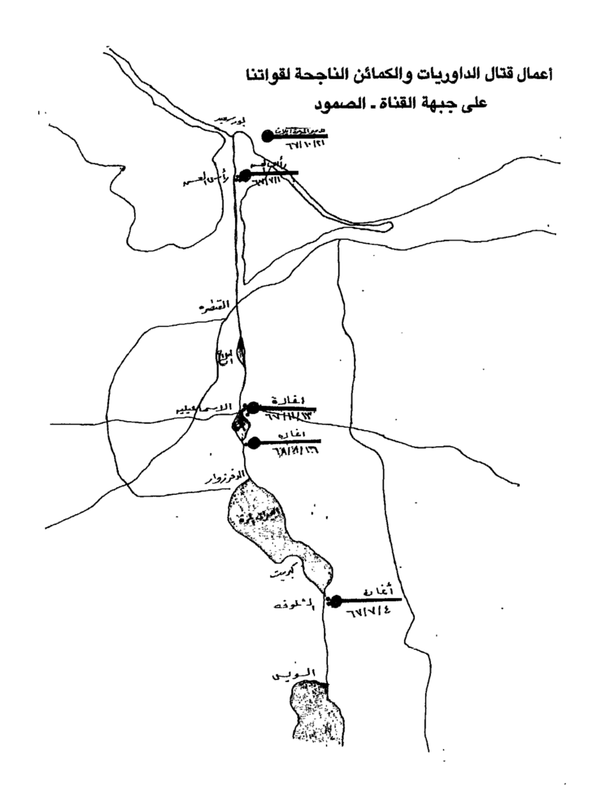
واستمر تبادل المبادأه وردود الأفعال من الجانبين .. فبعد ثلاثة أيام من تدمير المدمرة إيلات أى فى يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٦٧ وجهت القوات الإسرائيلية على طول الجبهة قصفات

نيرانية مركزة وكان معظمها ضد مدن القناة ومصانعها وضد المدنيين وبطبيعة الحـ ، كان رد قواتنا الفورى عليها حيث أشتعل القتال بالتراشق النيرانى على مدى ٢٤ ساعة تصلة تكبد فيها الجانبان الكثير من الخسائر خاصة فى الأفراد المدنيين المتبقير بمدن القناة.

وفى مجال جس النبض قامت هيئة قناة السويس صباح يوم ٣ يناير ١٩٦٨ بمحـ ، لفتح الملاحة ودفعت لنش لاستطلاع مجرى القناة . . إلا أن القوات الإسرائيلية فتحت نيرا يا مما اضطر طاقم اللنش إلى العودة . . ثم أمر القائد العام بإعادة المحاولة مرة أخرى قبـ ظهر نفس اليوم وفشلت المحاولة مرة ثانية . . حينئذ تصاعدت الاشتباكات على كلا ضفتي القناة وشملت الجبهة كلها .

وفى محاولات ردود الفعل أيضاً والتى انتقلت إلى الجانب الإسرائيلى مرة أخـ ى فى نهاية مرحلة الصمود (فى يونيو ١٩٦٨ . . أى بعد عام من النكسة) فإنه عندما كثفد قواتنا من عمليات دفع الداوريات والكمائن إلى الضفة الشرقية للقناة بأسلوب شبه يوم ، وفى مناطق متفرقة وغير متوقعة مع نجاح معظمها فى تحقيق نتائج باهرة من تدمير ، خطف أسرى ووثائق وأسلحة والعودة بمعلومات قيمة وبخسائر قليلة . . . بالإضافة إلى نشاء أفراد القناصة من الغرب؛ كثفت القوات الإسرائيلية نشاط طيرانها بهجمات فى العمق ضد الأ هداف المدنية مع تصاعدها بالقصف المدفعى وبالدبابات وكانت فى معظمها تشمل كل الجبهـ . . . ثم بدأت تخطط لعمليات إغارة مضادة إلى البر الغربى (وستظهر أحداثها فى المر حلتين القادمتين) .

واستمر الحال على هذا المنوال . . من دفع داوريات ومجموعات القتال ومجمـ عات خلف الخطوط لقواتنا . . وتبادل النيران المستمر . . . والقصفات الجوية المتبادلة طوال مرحلة الصمود والتى استنزفت وأجهدت القوات الإسرائيلية فى حرب طويلة ثابتة لم تتعود عليها وأصابت الحياة العامة داخل إسرائيل نفسها بالتشاؤم والكساد والاستنفار الدائم .


أعمال قتال الداوريات والكمائن الناجحة لقواتنا
على جبهة القناة - الصمود
بورسعيد
٦٧/١٠/٢١
رأس العش
رأس العش
القنطرة
اغارة
الاسماعيلية
اغاره
الدفرسوار
كبريت
أغارة
الشلوفه
٦٧/٧/١٤
السويس

الفصـــل الخامـــس

أعمال الأفرع الرئيسية

القسم الأول: أعمال القوات البرية

فى مجال الإعداد والبناء

وفى إطار إعداد القوات البحرية .. فقد شملت رفع كفاءتها القتالية بالتدريب ورفع الروح المعنوية .. وتركز تدريبها أولاً فى الموضوعات التى تختص بصد وإحباط الأعمال البحرية التعرضية المفاجئة .. وحددت الوحدات البحرية الجاهزة للقتال ، وركزت تدريبها المشترك مع كل من القوات البرية والجوية إضافه إلى صقل مهاراتها فى مناورات بحرية مع وحدات المجموعة الخامسة السوفيتية فى البحر الأحمر. وأدخلت التعديلات على الوحدات البحرية وتم تطوير تسليحها لتجنب نقاط الضعف خاصة فى الصواريخ سطح / سطح ووحدات الحرب الالكترونية، وتم التنسيق مع وزارة النقل البحرى للسيطرة على تحركات السفن التجارية وتأمينها عند نشوب القتال أو معارك بحرية .. وفى هذا الشأن أيضا تم الاستعانة ببعض السفن المدنية والتى تصلح للعمل مع القوات البحرية خاصة فيما يتعلق بالخدمات الإدارية والإمداد والإخلاء والنقل عموماً ، ونشطت العقول المصرية فى تطوير وإستحداث ما هو متيسرلدينا من القطع البحرية الحربية والارتقاء بمستواها الفنى والقتالى.

وفى مجال تجهيز مسرح العمليات البحرية.. فقد شمل هذا النشاط التنسيق مع كل من جمهورية السودان واليمن الجنوبى والصومال بالنسبة لمسرح البحر الأحمر وأيضا لتأمين تمركز ومناورات المدمرات والغواصات بما يحقق سرية وسهولة فتحها للقتال البحرى، وصار تحسين نظم المراقبه الفنية والبصرية .. واستغلال النقل النهرى والبرى أيضا فى نقل لنشات الصواريخ من وإلى كل من البحر الأحمر والبحر المتوسط .

وأنشأنا قاعدة مرسى مطروح البحرية ، وقاعدة البحر الأحمر البحرية - وتم التنسيق مع القوات الجوية لخدمة أعمال القتال البحرية المنتظرة خاصة فيما يتعلق بالاستطلاع والحماي والمعاونة النيرانية طبقاً لأسبقيات وتطور أعمال القتال .

ولم تقتصر العمليات البحرية فى معارك الاستنزاف على الوحدات البحرية فحسب فلقد شهدت عمليات رجال الصاعقة البحرية الذين كانوا دائما ضمن القوات التى عبرت القناة عا، ١٩٦٧ – ١٩٦٨ – ١٩٦٩ كما قاموا بنصب الكمائن للعدو وزرع الألغام على طرق تحركه ولقد أسـندت إلى قواتنا البحرية مهام كثيرة فيما بين **الجولتين الثالثة والرابعة** .

* **المشاركة فى صد الهجوم على رأس العش** يومى ١/ ٧ و٨ / ٧ / ١٩٦٧فى أول يوليــو ١٩٦٧ حاولت القوات الإسرائيلية التقدم من منطقة القنطرة شرق للاستيلاء على رأس العش تمهيداً للتقدم منها للاستيلاء على مدينة بورفؤاد، وعندما تكشفت نوايا العدو كلفت الفرقـاطة بورسعيد التى كانت فى ذلك الوقت متمركـزة فى ميناء بورسعيد بالتعاون مع المدفعية الساحلية بتوجيه نيران مدفعيتها على قوات العدو المتقدمة ونجحت القوات فى إحباط محاولة العدو وتدمير قواته وإجبارها على التراجع وفى ويوم ٨ / ٧ حاولت قوات العدو مرة أخرى التقدم لتكرار نفس العملية ، وتصدت لها الفرقاطة مرة أخرى.

* **معركة يوم ١١ / ٧ / ٦٧** شرق بورفؤاد استغلت القيادة الإسرائيلية فترة إيقاف النار ودبرت لمعركة بحرية على مشارف بورسعيد وتكون التشكيل الإسرائيلى من سفينة نيادة المدمرة إيلات المسلحة بالاضافة الى عدد ٢ لنش طوربيد يتم إبحارهم ذهابا وإيابا روعى فى تحديد خطوط المرور الأسلوب الأمثل لضمان اكتشاف أى وحدة مصرية تخرج من بورسعيد وبالتالى تتعرض للوقوع بين خطى مرور المدمرة الإسرائيلية وتشكيل لنشات الطوربيد الاسرائيلية، وصدرت الأوامر بالتحرك لتنفيذ مخطط المرور للنطاق التعبوى لقاعدة بورسعيد البحرية والإبلاغ عن أى أهداف تكتشف وعلى مسافة حوالى ١٦ ميلا شمال شرق بورسعيد تمكن السرب من اكتشاف هدف كبير والذى كان فى الواقع المدمرة الإسرائيلية ايلات ثم تغيير الموقف فجأة عندما ظهرت لنشات الطوربيد المعادية وبدأت فى مهاجمة السرب المصرى من الخلف كما بدأت المدمرة الإسرائيلية فى تغيير خط سيرها لتفادى نيران اللنشات المصرية واستمر السرب المصرى فى اشتباك غير متكافئ مع اللنشات الإسرائيلية والمدمرة وبدأت المدمرة فى اطلاق قذائف لاضاءة المنطقة وإطلاق نيرانها بكثافة غير أن قائد السرب المصرى غير اتجاهه فى اتجاه تقدم المدمرة مباشرة ، ولكن المدمرة بفضل

سرعتها العالية تمكنت من الابتعاد عن اللنش المصرى والذى استمر فى استدراجها إلى مناطق ضحلة أو دخولها فى نطاق نيران المدفعية الساحلية المصريـة وفى سعت٢٣٥٠ قرر قائد وطاقم احد لنشات السرب القيام بهجوم انتحارى مع استخدام قذائف الأعماق ، واستشهد معظم من كانوا فى اللنش ، بعد أن تمكنوا من إحداث أكبر الضرر بالوحدات الإسرائيلية خاصة المدمرة إيلات التى لحقت بها إصابات مباشرة بجانب أيمن السفينة نتج عنها ٢٠ ثقبا والجدير بالذكر ان هذه المعركة سجلتها الدوائر العسكرية الدولية ضمن أشهر المعارك البحرية التى وقعت فى العصر الحديث بين لنشات الطوربيد والوحدات البحرية الكبيرة ونوهت جميع الأوساط العسكرية بما فيهم العدو ذاته عن الشجاعة النادرة التى أظهرتها أطقم اللنشات المصرية .

* **معركة يوم ٢١ أكتوبر ١٩٦٧** إغراق المدمرة الإسرائيلية ايلات «الثأر» صور الغرور للبحرية الإسرائيلية أن بوسعها ان تعربد فى مياهنا الاقليمية كيفما شاءت دون رادع منا أو عقاب وفى صباح يوم السبت الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٦٧ ، رصدت أجهزة الانذار بقاعدة بورسعيد البحرية هدفا كبيرا مقتربا من جهة الشرق على مسافة ٢٠ ميل من فنار بورسعيد وعلى الفورتم رفع درجة استعداد القاعدة والوحدات المتمركزة بها الى الحالة القصوى وعند اقترابه لمسافة ١٥ ميلا أمكن تمييزه على أنه مدمرة إسرائيلية، وعلى الفور صدرت الأوامر إلى سربين من لنشات الطوربيد والصواريخ بالتأهب للاشتباك مع المدمرة المعادية على ان تكون الضربة الأولى بالصواريخ وللتمويه أرسلت قيادة القوات البحرية إشارة مفتوحة خداعية الى قاعدة بورسعيد بعدم الاشتباك مع الهدف المعادى وحوالى الساعة ١٦٠٠ كانت المدمرة الإسرائيلية على مسافة ١٤,٥ ميل مقتربة فى إتجاه بورسعيد ثم تحرك على الفور سرب لنشات الصواريخ من لنشين واتخذ خط سير الاطلاق فى تمام الخامسة وخمسة وعشرين دقيقة من مساء يوم ٢١ أكتوبرعام ١٩٦٧ أطلق اللنش الأول صواريخه على المدمرة وبعد لحظات كان الهدف مشتعلا بالنيران وفى حوالى الساعة السابعة إلا عشر دقائق – ظهر هدف على شاشة الرادار فصدرت التعليمات بتوجيه ضربه بالصواريخ لتدميره وإغراقه وبعد دقائق أمكن اصابته بإصابة مباشرة ، وانفجرت المدمرة بدوى هائل وانبعث منها وهج شديد أضاء الأفق ثم هوت المدمره إلى قاع البحر إلى الأبد بعد سبعه دقائق من إصابتها : وأثناء مرور اللنش بالممر الملاحى كان شعب بورسعيد على اللسان يهلل فرحاً مزهواً برجاله الذين أعادوا إليه الأمل من جديد فى نصر آتٍ لا

ريب فيه نناشدكم العون فى إنقاذ الضحايا كانت هذه هى الرسالة التى بعثت بها إس رائيل عن طريق الجنرال اوربول قائد قوات الامم المتحدة بالقدس ترجو القوات البحرية المصرية باسم الانسانية الكف عن إطلاق النار والمعاونة فى إنقاذ غرق المدمرة إيلات ،لقد كانت المدمرة الإسرائيلية مفخرة الاسطول الإسرائيلى وأقوى قطعه البحرية وتبلغ حمولتها الكلية ٢٥٠٠ ط ، ويبلغ عدد أفراد طاقمها ٢٠٠ فرد وقد علق الخبراء العسكريون على هذه المعركة بأن هذا الهجوم يعتبر الأول من نوعه فى استخدام الصواريخ سطح – سطح وانبثقت عقيدة جديدة فى الحرب البحرية.

الاستطلاع بالغواصات أمام سواحل العدو:

اتسمت عمليات الاستطلاع بالغواصات بالسرية التامة وكانت فى مجموعها سبع عمليات وكل عملية تستغرق حوالى عشرين يوماً تجوب فيها الغواصة مياه العدو تقوم خلالها بتصوير السواحل الإسرائيلية وتستطلع محطات الرادار عليها وكان الهدف من تلك العمليات –إلى جانب الاستطلاع أن سيشعرقادة الغواصات بأن مياه العدو ملك يمينها وأن القوات البحرية الإسرائيلية ضعيفة فيما يخص أجهزة اكتشاف الغواصات وأسلحة مكافحتها.

القسم الثانى : أعمال القوات الجوية

إعداد وتحضير القوات الجوية للحرب :

بانتهاء حرب يونيو ١٩٦٧ ، كانت القوات الجوية قد خسرت معظم طائراتها ونسبة أقل من معداتها وأطقم طيرانها ، نظرا لتدمير معظم هذه الطائرات على الأرض ومن ثم ، اقتصرت خسائر الطيارين على بعض الذين نجحوا فى الإقلاع بطائراتهم وسط الضربات الجوية والممرات المدمرة فى ظروف بالغة الصعوبه ليتصدوا لطائرات العدو المهاجمة ، ولم يكن موقف قواعد القوات الجوية ومطاراتها أفضل حالاً ففقدت القوات الجوية ٤ مطارات فى سيناء ، فضلاً عن قواعد القناة الثلاث (أبوصوير – فايد – كبريت) والتى أصبحت تحت نيران العدو المباشرة بالإضافة إلى تدمير معظم الممرات الرئيسية والمساعدة .

اتجاهات التحرك لإعادة البناء :

تلخصت فى ثلاثة اتجاهات رئيسية كالآتى :

دعم القوة القتالية للقوات الجوية وتعويض خسائرها –رفع الكفاءة القتالية للقوات الجوية – تجهيز مسرح العمليات من الوجهة الجوية لتأمين عمليات القوات الجوية .

وبالنسبة للتحرك الأول ، فقد برز فيه أوجه النشاط التالية : دعم القوة البشرية ، وخاصة بالنسبة لأطقم الطيران والعناصر الفنية –إعادة تسليح التشكيلات الجوية بالطائرات والمعدات والأسلحة لتعويض ما دمرته الحرب –إعادة تنظيم القوات الجوية وبناء التشكيلات الجديدة لدعم قوتها القتالية .

أما التحرك الثانى فكانت أبرز سماته الآتى :-

التدريب المكثف للقيادات والتشكيلات الجوية – تطوير الأسلحة والمعدات للتغا ، على بعض أوجه القصور فيها – دعم وتطوير التأمين الفنى والهندسى والإدارى للقوا ، الجوية .

بينما شمل التحرك الثالث أوجه النشاط التالى :

إصلاح وتطوير القواعد الجوية والمطارات العاملة – إنشاء قواعد ومطارات جدي ة وإنشاء تحصينات فى القواعد الجوية والمطارات القديمة والجديدة لوقاية مراكز القيـ ة والطائرات والمعدات الفنية – إنشاء المستودعات الفنية والإدارية المحصنة لتلبية مطا ، التأمين الفنى والإدارى طبقاً لخطط العمليات المنتظرة .

فإذا علمنا أن طيار القتال يحتاج إلى نحو ٤ – ٥ سنوات من الإعداد والتدريب قبل الـ ج به فى أعمال القتال الجوية ، وأن عدد الخريجين من الكلية الجوية آنذاك لم يكن يتجاوز ٦ طالبا فى السنة لتبين مدى الجهد الذى وقع على قيادة القوات الجويه والمشاكل الا ى اعترضتها ، لتوفير تلك الأعداد من الطيارين فبدأنا فى زيادة طاقة الكلية الجوية وإيفاد بعـ ى الطلبة لاستكمال تدريبهم فى الاتحاد السوفيتى وتوسيع قاعدة القبول بالكلية الجوية وذ ن القصور فى عدد الطيارين سبباً فى العجز فى أسراب القتال عندما تصاعدت حر ب الاستنزاف الى مستوى الحرب الجوية الملتهبة اعتباراً من يوليو ١٩٦٩ . ونجاح القوات الجـ ة الإسرائيلية فى تحقيق السيطرة الجوية فى الجبهة ، ثم نشر غاراتها فى عمق الدلتا والقاهرة .

واعتباراً من مايو ١٩٧٠ ، بدأ يطرأ تحسن نسبى على موقف طيارى المقاتلات ، د شهدت الأعوام الثلاثة الاخيرة قبل جولة أكتوبر جنى ثمار خطط التوسع ، وخاصة د توقف حرب الاستنزاف، وبينما كانت هذه الجهود تتم كانت هناك الجهود المكثفة الأخ ى لمواجهة متطلبات تطوير الخدمات الفنية فى ظل نظام الانتشار الجديد للطائرات داخ ل حظائرها المحصنة (الدشم) فى القواعد الجوية والمطارات ، وذلك بزيادة طاقة مر ز التدريب المهنى للقوات الجوية والتوسع فى قبول المتطوعين لمهن الإصلاح والتوسع ى إعداد خريجى الكلية الفنية العسكرية والمعهد الفنى للقوات المسلحة لتلبية احتياج ت التأمين الفنى فى القوات الجوية .

وفى مجال التسليح اعتمدت عملية التعويض فى البداية على الطائرات الجزائرية والسوفيتية وطائرات دول أوروبا الشرقية ، ثم بصفقات التسليح التى تم التعاقد عليها من عام ١٩٦٨ .

وإزاء تدفق أسلحة الدعم بعد مؤتمر الدول الاشتراكية التى قررت مساندة العرب وعقود التسليح التى أبرمت عام ١٩٦٨ ارتفع عدد الطائرات المتوفرة للقوات الجوية إلا أن كل هذا الاستعواض لم يحل مشكلة قصر المدى التكتيكى لطائرات القتال السوفيتية كما أن أعداد القاذفات المتاحة وقدراتها لا تسمح باستخدامها فى عمق إسرائيل دون حماية ملائمة لتوقى خطر التفوق الجوى الإسرائيلى القائم .

ولقد ظلت طائرات القتال بعيدة المدى مطلبا ملحاً فى جميع لقاءات القيادات السياسية والعسكرية المصرية مع القيادات السوفيتيه ، فضلا عن عزوف تلك القيادة عن تشجيع مصر على القيام بأية أعمال هجومية .

ومن ثم لم يكن الموقف الكمى والنوعى لطائرات القتال مطمئناً فى يناير ١٩٧٠ عندما بدأت إسرائيل فى تصعيد حرب الاستنزاف بغارات العمق بعد تشكيل أول أسرابها من طراز الفانتوم .

وإزاء تردد القيادة السوفيتية هدد الرئيس عبدالناصربترك الحكم لزميل يمكنه التفاهم مع الإدارة الأمريكية فتراجعت القيادة السوفيتية ووافقت على دعم مصر ببعض الأسلحة كما وافقت القيادة السوفيتية على تمركز ٤ طائرات م ٥٠٠ (ميج ٢٥) بأطقم سوفيتيه بمصر لدعم الاستطلاع الاستراتيجى والتعبوى فضلاً عن سرب تى يو ١٦ مجهز لاستطلاع الالكترونى لخدمة الاسطول السوفيتى فى البحر المتوسط ، وكانت المشكلة أن الطائرة الميج تبقى فى الجو ٢٠ دقيقة ، بينما تستطيع الميراج البقاء نحو ساعة ، والفانتوم أكثر من ذلك ، مما يجعل من الخطأ القول بإمكان مائة طائرة ميج التصدى لمائة طائرة ميراج أو فانتوم .

ولم يقتصر تشكيل الوحدات الجوية على تشكيلات القوات الجوية فحسب ، بل تم أيضا تشكيل العديد من الوحدات الهندسية والفنية والإدارية ووحدات الدفاع الأرضى عن المطارات.

التـــدريـــب :

وقد راعت خطط التدريب التغلب على أوجه الضعف إلا أن التقدم كان بطيئاً فى البداية لكثرة الفترات التى يوقف فيها التدريب لرفع درجات الاستعداد لفترات طويلة إلا أن المستوى التدريبى للتشكيلات الجوية راح يتحسن تدريجياً وخاصة بعد توقف حرب الاستنزاف فى صيف ١٩٧٠ ، كما سمح مستوى المقاتلات بصد ضربات العدو الجوية بالتعاون مع قوات الدفاع الجوى ، وأجريت تمارين الرماية بالذخيرة الحية لطيارى المقاتلات القاذفة ، ويمكن القول أن القوات الجوية دفعت ثمناً باهظاً لهذه الجهود التدريبية المكثفة من أرواح أبنائها ورصيد طائراتها .

وتعكس تلك المشروعات التدريبية الجهد الذى بذل لرفع كفاءة القادة وهيئات القيادة بالقوات الجوية خلال مرحلة الإعداد ، وبذل مهندسو الطيران جهداً لتطوير الطائرات السوفيتية ورفع كفاءتها الفنية ، ومعالجة أوجه القصور فيها مع إنتاج الأسلحة التى تعذر استيرادها من الخارج ، وجهزت طائرات الاستطلاع بكاميرات تصوير واستطلاع لاسلكى ، كما أمكن التغلب على أوجه القصور فى وسائل الاستطلاع الرادارى وضوعفت نقاط التحميل فى طائرات الميج ١٧ والسوخوى ٧ والميج ٢١ والحوامات من طراز مى ٨ ، الأمر الذى مكن تلك الطرزمن حمل المزيد من الأسلحة وخزانات الوقود الاحتياطية ، وقد قام الجانب السوفيتى باقتباس هذا التعديل بعد ارسال التصميمات المصرية إليه ، وتصنيع خزانات وقود احتياطية ذات سعات أكبر من الخزانات السوفيتية الأصلية لهذه الطائرات وقد أدت إلى زيادة المدى التكتيكى وتصميم وإنتاج قنابل الممرات وإنتاج الصواريخ وبعض أنواع القنابل ذخائر الطائرات بالمصانع الحربية محليا .

وتشكلت سرايا مهندسى المطارات لإصلاح الممرات والتحصينات وإزالة القنابل أثناء الحرب وإنشاء العديد من القواعد الجوية والمطارات وممرات الهبوط الجديدة والمنتشرة فى كافة أنحاء الجمهورية .

القسم الثالث : أعمال قوات الدفاع الجوى

إعادة البناء : قوات الدفاع الجوى

كانت وحدات الدفاع الجوى مشتتة التبعية بين القوات الجوية وإدارة المدفعية والتشكيلات والوحدات الميدانية تفتقرالى منظومة متكاملة ومستقلة لكى تؤدى مهامها فى حماية ومعاونة القوات المسلحة والدولة ضد العدو الجوى٠

فكانت الخطوة المنطقية الأولى هى تجميع قوات ووسائل هذا الجهاز الضخم فى كيان موحد كفرع رئيسى يتبع القيادة العامة للقوات المسلحة مباشرة، وفى فبراير ١٩٦٨ صدر القرار الجمهورى رقم ١٩٩ بإنشاء قوات الدفاع الجوى . وحدد بداية شهر يوليو من نفس العام لإتمام الاستعداد .

وكانت مهمة هذه القوات توفير الدفاع الجوى عن الدولة ومسارح عملياتها ، وكان هذا يعنى بوضوح أن على هذه القوة الوليدة أن تكون قادرة على شل فاعلية أقوى ما لدى إسرائيل ، وهو القوات الجوية المزهوة بالنصر الذى حققته فى جولة خاطفة ، حتى أن أحد كبار قادتها صرح للصحافة العالمية بأن قواته الجوية قادرة على غزو أى مكان فى العالم ، حتى لو كان القطب الشمالى !!

وبدأ الإعداد والتجهيز لمنظومة متكاملة بدءاً بتحديد شبكات الاستطلاع والانذار وأجهزة رادار متعددة الأنواع والمهام ، تساندها شبكة مراقبة جوية لإكتشاف الطائرات المعادية مبكراً ، والتبليغ عنها ثم يجىء دور الأسلحة الإيجابية والتى كانت تشمل مجموعة متنوعة . تبدأ بالمقاتلات الاعتراضية ، وهى خط الدفاع الأول ضد الهجمات الجوية المعادية . تليها الصواريخ الموجهة أرض / جو المعروفة باسم «سام Sam ،

وهـى الأحـرف الأولـى مـن الكلمـات Surface to Air Missile ثم المدفـعـيـة الم نـادة للطائرات.

وأخيرا يأتى دور الأعصاب التى تنقل الأوامر والمعلومات بين مكونات المنظومة وتقوم بهذا الدور أجهزة الإشارة بأنواعها المختلفة .

أما الحــرب الإلكترونية فكان دورهـــا حـيويا فى منظـــومــة / الدفــــاع الـ ـوى (للاستطلاع الإلكترونى للعدو الجوى . . ثم إعاقته . . وأخيرا اتخـاذ الإجراءات الـ ضادة للإعاقة المعادية لمنع أو تقليل تأثيرها على أجهزتنا ومعداتنا) .

وكانت الدراسات والإعداد لهذا الصرح الضخم تتم فى ذلك المبنى الصغيرالذى خذته قيادة القوات مقراً لها . والذى أسماه الضباط خلية النحل . فالسماء مفتوحـة . . و: ـرات الأهداف الحيوية العسكرية والمدفعية تحتاج إلى حماية من الجو .

وخرجنا من هذه الدراسة السريعة بالآتى :

* على الــدفــــاع الجـوى أن يوفـر الوقاية لمسرح عمليات تزيد مسـاحـتـه عن ـليون كيلو متر مربع – مساحة مصر – ويمتد ارتفاعه من قمم الأشجار إلى أقصى ارتفاع يـ ـن أن تصل إليه الطائرات .

* يجب أن تكون القـوات الجـــوية الإســرائيلية كـتــابا مـفـتـوحـاً ومـقـروءاً وم جددا استمرار ، لأن مـعـرفـة العـــدو بـــوعى ، ودون تـهـــوين أو تـهـويل هـــى أول الطر ـ إلى ـزيمته .

* ضرورة إقامة بنيان متماسك من الأسلحة والمعدات المختلفة ويشكل سدا منيـ ا أمام الطائرات الإســرائيلية ، ومنــعها من التــأثـير علـى قواتنا قبل الحرب وأثناء القتال .

الاستعداد الكامل للعبور العظيم وتحرير الأرض

عندما تعـمقنا فى دراسة الإمكانيات المتاحـة لدينـا ، رأينا صـورة قـاتمة للغـا فقد كانت الأسلحة والمعدات المتيسرة لاتكفى لوضع أى خطة فعالة ، أو بناء أى منظومة ، كاملة متـماسكة وأوضـحت الدراسات التى أجـريت على أسس علمـية أن إمكانيات الصد للا ـلحة الإيجابيـة أقل كثيرا جدا ممـا يجب، وأن عدد أجـهزة الرادار المتوفرة لايحـقق بنـا أو حقل

إنذارى يمكن الاعتماد عليه، هذا من حيث الكم أما من حيث النوعية ، فقد ظهر أمامنا العديد من نقاط الضعف كان أهمها فيما يلى :

الصواريخ أرض/ جو :

كان لدينا عددا محدودا جدا من الصواريخ سام ٢ , وهى سلاح فعال وبه العديد من المزايا ، غير أن به بعض العيوب التى استغلها العدو نتيجة لحصوله على خبرة القتال الأمريكية فى فيتنام ضد نفس النوع من الصوارى.

أما المدفعية المضادة للطائرات :

فقد كان بعضها من الأنواع القديمة غير القادرة على مواجهة الطائرات الحديثة ذات السرعات الكبيرة والقدرات العالية على المناورة ، وكانت فى الواقع تشكل عبئا على الدفاع الجوى.

وبصفة عامة كانت وحدات المدفعية المضادة للطائرات بأعيرتها المختلفة غير قادرة على تدمير الطائرات المعادية ، وإنما كانت تستخدم لتشتيت هذه الطائرات نظراً لانخفاض احتمال الإصابة بها ، ولهذا فقد كان الاعتماد فى صد الهجوم الجوى يقع أساسا على عاتق الصواريخ المحدودة.

وكانت الرادارات المتيسرة قليلة ومن الأنواع الشرقية القيمة ، وتستخدم تكنولوجيا عفا عليها الزمن .. ، كما يسهل إعاقتها إلكترونياً وفضلاً عن ذلك كان عددها أقل بكثير من أن يحقق حقلا رادارياً متصلاً ، ويوفر تغطية الكترونية للمجال الجوى .. بمعنى أن الطائرات الإسرائيلية كان فى إمكانها تفادى مجال كشف هذه الأجهزة ببساطة والوصول إلى أهدافها فى أمان تام.

ولم تكن أطقم الصواريخ مدربة واقعياً على القتال تحت ظروف الإعاقة الإلكترونية ، ومن ثم كان من السهل على الطائرات الإسرائيلية أن تشل فاعلية جميع الأجهزة الإلكترونية وهى العمود الفقرى للدفاع الجوى.

والخلاصة أن التدريب كان بعيداً جداً عن واقع القتال المنتظر. والواقع أن ما سبق ذكره كان مجرد أمثلة للعديد من نقاط الضعف التى أوضحها تقدير الموقف الذى أجرته قيادة الدفاع الجوى بمجرد تشكيلها.. كان لابد من الاعتراف بالواقع مهما كان مراً ، والبحث عن حلول عملية ليس فقط للمشاكل القائمة ، وإنما لما يمكن أن يستجد من مشاكل فى المستقبل.

حقيقة كان الموقف صعباً وفى غاية التعقيد ، ولكن اليأس لم يتطرق إلى عزائمنا ولو للحظة فقد كانت إرادة التحدى أقوى من كل العقبات. فى زمن قياسى أوضحت الدراسات أن البناءالجيد يجب أن يقوم على دعامين رئيسيتين هما :

الحصول على أسلحة ومعدات جديدة بالكم والنوع المناسبين لمواجهة التحدى الجوى الإسرائيلى.

تحقيق أقصى عائد مما لدينا بكل الطرق الممكنة سواءً بإدخال تعديلات فنية على الأسلحة والمعدات ، أو رفع مستوى الاستخدام بالتدريب الواقعى ، وابتكار أساليب جديدة .. الخ.

كما ركزت القيادة السياسية جهودها للحصول على هذه الأسلحة من الخارج . . من الاتحاد السوفيتى أساساً ، أو من بعض الدول الشرقية مثل المجر ويوغوسلافيا ، ولكن نتائج هذه الجهود كانت محدودة للغاية ، ولايمكن اعتبار ما حصلنا عليه فى تلك الفترة إضافة إلى إمكانيات الدفاع الجوى.. من هذا المنطلق اتجهت جهودنا إلى تطوير الصواريخ سام – ٢ . التى رغم قلة ما لدينا منها كانت تمثل العنصر الأساسى الذى يمكن الاعتماد عليه والتى كان قصورها فى الاشتباك بالطيران المنخفض يعنى ببساطة أنها أصبحت عديمة الجدوى .

وبعد جهود مضنية نجح المهندسون المصريون فى تعديل كتيبة سام – ٢ وأصبحت ادرة على الاشتباك بالطائرات المعادية على خمس الارتفاع السابق ، وجرى تعميم هذا لابتكار فى جميع الوحدات وكانت هذه هى المفاجأة الأولى للطيران الإسرائيلى الذى اقترب مطمئنا على ارتفاعات منخفضة فإذا به يواجه بصواريخنا المؤثرة، وكانت المفاجأة الثانية عندما نجحنا فى إحراز تعديل آخر أدى إلى تقليل المنطقة الميتة حول موقع كتيبة الصواريخ الى النصف .

وكان هذا يعنى حرمان الطيران الإسرائيلى من حرية التحليق على الارتفاعات المنخفضة أو العمل فى مساحة واسعة حول الموقع، وبمعنى آخر إعادة الثقة فى الصواريخ سام – ٢ التى زادت كفاءتها الى حد كبير، وحيث إن النجاح يقود الى نجاح أكبر فقد اتجهت الجهود بعد ذلك الى الصاروخ نفسه ، وكان هدفنا فى هذه المرة هو زيادة قدرته على المناورة ، ونجحت الجهود فى مضاعفة هذه القدرة ، وأصبح قادرا على ملاحقة أحدث الطائرات الإسرائيليه فى الجو.

وكانت وحدات الصواريخ سام -٢ غيرقادرة على تمييز الطائرات الصديقة من المعادية، مما يحد الى درجة كبيرة من إمكانية التعاون مع مقاتلاتنا الاعتراضية أثناء صد الهجوم الجوى ، رغم أن الصواريخ والمقاتلات الاعتراضية سلاحان يكمل كل منهما الآخر كما كان ذلك يعرض طائراتنا عموما للإصابة بنيران صواريخنا .

واستطعنا أن نحصل على أجهزة التمييز هذه – والتى نسميها أجهزة التعارف – وبذا تم حل هذه المشكلة جذريا ، مما أدى إلى رفع كفاءة التعاون مع قواتنا الجوية ، وتأمين طائراتنا.

ومن الطريف أنه أثناء زيارة أحد خبراء الدفاع الجوى الأمريكى لموقع صواريخ سام – ٢ بعد حرب أكتوبر قال التعليق التالى: لقد كنا نعرف الصواريخ سام – ٢ جيدا ، وقد حصلنا على بعض معداتها فى فيتنام ، وكنا نتصور أننا نعرف هذه المنظومه عن ظهر قلب ، ولكن ما رأيته لديكم يختلف كثيرا عما نعرفه ، فالمعدات هى هى لم تتغير كثيرا – ولكن تطويركم واستخدامكم لها – كما رأينا أثناء حرب أكتوبر – جعلها كأنها نوع جديد من الصواريخ .

أما فيما يختص بالحرب الالكترونية فلها ثلاث مهام رئيسية..

الأولى هى الاستطلاع الالكترونى ، ويهدف الى معرفة ترددات الأجهزة والمعدات ، وتحديد مواقعها وخواصها .. وكانت إسرائيل تنفذ هذه المهمة بواسطة طائرات مجهزة بأحدث المعدات ، وتطير بمحاذاة ساحل البحر المتوسط ذهابا وإيابا وخارج مجالنا الجوى فى رحلات يومية ، وكان جنودنا يسمونها الاوتوبيس الالكترونى وتقوم هذه الطائرات بالتقاط كل ما تحتاجه من معلومات تمهيدا لتنفيذ المهمة .

الثانية ، وهى الإعاقة الالكترونية تتم بصور متعددة وسواء من طائرات مخصصة لهذه المهمة أو من الطائرات المهاجمة ذاتها .. ولم تكتفى إسرائيل بذلك بل قامت بمساعدة الولايات المتحدة بانشاء مركز إعاقة الكترونية ضخم وكامل فى سيناء ، قادر على إعاقة جميع أجهزتنا الالكترونية .. وكان ذلك يعنى باختصار تعمية أجهزة راداراتنا بأنواعها المختلفة تماما ... ومن ثم كان من المحتم أن نقوم نحن باتخاذ الاجراءات المضادة لكى نشل فاعلية هذه الإعاقة ...

وهذه هى **المهمة الثالثة** من مهام الحرب الالكترونية وعندما طرحت المشكلة للبحث قال قائد الدفاع الجوى كل جهاز رادار يمكن إعاقته ... وكل إعاقة يمكن مقاومتها ولكن كيف ؟

* كانت الخطوة المنطقية الأولى فى هذه المقاومة هى حرمان وسائل الاستطلاع الالكترونى المعادية من الحصول على ما تريده من معلومات أو تضليلها ، وذلك بالسيطرة المدروسة على عملية الإشعاع ، بالإضافة الى مجموعة آخرى من الاجراءات الفنية .

* كان التركيز على تدريب الأطقم على العمل فى ظروف الإعاقة الالكترونية الكثيفة بأنواعها .. ولهذا قام الدفاع الجوى بإنشاء مركز تدريب صغير مؤقت فى إحدى الوحدات لتنفيذ دورات تدريبية تمهيدية قصيرة لاطقم الصواريخ والرادار ، ومع ان مدة كل دورة كانت خمسة أيام فقط إلا أن الضباط والجنود اكتسبوا فائدة كبيرة منها .. ثم جرى تجهيز الوحدات بأجهزة محاكاة لتقليد كافة صور الحرب الالكترونية وبعدها أصبح التدريب على الاشتباك فى ظروف الإعاقة الالكترونية ميسرا داخل المواقع ، وعنصرا أساسيا فى عملية التدريب

* ثم كان الاجراء الثالث الذى تمثل فى تجهيز وحدات الصواريخ بمعدات فنية مبتكرة لمقاومة هذه الإعاقة ونجحت تجربتها بالفعل وتم تعميمها فى جميع الوحدات واستمر تطوير الأساليب والتكتيكات الهادفة الى شل فاعلية وسائل الحرب الالكترونية المعادية .. وكللت بنجاح فاق التصور حتى أنه عندما سئل أحد الجنود العاملين على شاشات الرادار أثناء حرب أكتوبر عن مدى تأثير الاعاقة الالكترونية على عمله قال ببساطة إنها لا شئ بالمقارنة بما كنا نراه أثناء التدريب

واخيرا فقد تمكنا من تحديد موقع الإعاقة الالكترونية الضخم فى سيناء ووضع ضمن الأهداف التى سوف يتم قصفها فى الضربة الجوية الاولى ... وهو ما تم بنجاح فى افتتاحية الحرب .

تطوير شبكة الاستطلاع والانذار :

شبكة الاستطلاع والانذار هى أعين وآذان الدفاع الجوى ولهذا كان لا بد من تطوير هذه الشبكة لمجابهة التهديد المنتظر واكتشاف الطائرات المعادية مبكرا ما أمكن وعلى جميع

الارتفاعات ، وإمداد الوحدات بمعلوماتها دون تأخير ، وباستمرار ، حتى يتوفر للمقاتلات الاعتراضية والصواريخ أرض / جو والمدفعية المضادة للطائرات الوقت اللازم لتنفيذ اشتباكات ناجحة .

ولم يكن الأمر سهلا فقد واجهتنا عدة مشكلات من أهمها :

مشكلة اكتشاف الطائرات التى تطير على ارتفاعات منخفضة ونجحنا فى التغلب جزئيا على هذة المشكلة وذلك برفع هوائيات أجهزة الرادار على صوارى ثم أدخلنا تعديل على هذه الأجهزة حتى نستطيع تصفية الإشارات المستقبلة من الطائرات الحقيقية وفصلها عن الإشارات المستقبلة من الأهداف الأرضية الثابتة ، وقام الدفاع الجوى بإنشاء نطاقات من نقط المراقبة الجوية بالنظر على حدود الدولة وفى العمق ، وحول الاهداف مع تجهيزها بما يسمح باكتشاف الطائرات المعادية مبكراً ووصول المعلومات إلى الوحدات دون تأخير .

وقد قامت نطاقات المراقبة بدور فعال جداً وعانى منها الطيران الإسرائيلى بشدة حتى أن جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل آنذاك أسمتها الحزام الاسود اللعين وهنا تجدر الاشارة إلى أن وحدات المراقبة الجوية تمكنت خلال حرب اكتوبر من أكتشاف جميع الطائرات التى لم تستطع أجهزة الرادار أاكتشافها وكانت نسبتها ٢٨ ٪ من إجمالى الطائرات المعادية .

وهكذا أمكن التغلب إلى حد كبير على مشكلة الارتفاع المنخفض حتى قبل استخدام طائرات الآواكس الامريكية .

وبقيت مشكلة كبرى وهى نقص الإمكانيات فى أجهزة الرادار، ولكننا لم نتوقف فقد قمنا بوضع خطة مدروسة جيداً للحصول على أقصى ما يمكن أن توفره إمكانياتنا المحدودة فى هذا المجال ، واستطعنا توفير حقل إنذار معقول إلى أن وصلت المعدات الجديدة .

التخطيط للعمليات :

أما فيما يختص بالتخطيط لعمليات الدفاع الجوى فقد تم بناء الخطط طبقا لطبيعة إمكانياتنا ومسرح العمليات وايضا ما أتاحته الابتكارات التقنية فى حدود ما هو متيسر لدينا ومن ثم قامت القيادة بوضع تخطيط مصرى يتناسب مع طبيعة العمليات المنتظرة ، بنى

على أساس دراسة علمية واقعية لكافة أبعاد الطيــران الإسرائيلى ومســرح العمليـــا ، كما أجريت دراسة تفصيلية لجميع الأهــداف الحيوية بالدولة المطلوب توفير دفاع جـ ى لها .

ووضعت خطة جديدة أخذت بكل الأسلوب الشرق والغربى وطوعتـه ليتناسب ع الظروف المحيطة وكانت بداية لظهور فكر مصرى جديد فى مجال الدفاع ثم صقله وتطو ه بعد ذلك نتيجة لخبرات القتال الفعلية .

الفصـــــل الســادس

أعمال المهندسين العسكريين على الجانبين

أولا تجهيز مسرح العمليات على الجبهة المصرية :

احتلت أعمال المهندسين دوراً هاماً فى التحضير للعملية الدفاعية وتشعبت تلك الأعمال وتعددت أنواعها واستغرقت وقتا طويلاً وجهداً أكبر.وكانت أهم تلك الأعمال هى إجراءات التجهيز الهندسى فى منطقة الجبهة وباقى المناطق العسكرية .

فقد تم حفر خنادق للقوات فى الجبهة تكفى نصف مليون مقاتل وبلغت أطوالها الف كيلو متر أى خمس أمثال المسافة بين القاهرة والاسكندرية .

وزودت هذه الخنادق بالقدر الكافى من التحصينات والملاجئ بمختلف أنواعها وذلك لتحقيق وقاية مناسبة لقواتنا من نيران مدفعية العدو وقصف طيرانه .

قمنا بحفر ورفع عشرين مليون متر مكعب من الرمال لإنشاء التجهيزات الهندسية للتشكيلات ووحدات الدفاع الجوى والمدفعية .. أى ما يعادل ١٠أهرامات مثل هرم خوفو .

وكانت هذه المواقع تشمل مرابض نيران رئيسية تبادلية هيكلية ٠٠ حققت فى مجموعها خداع العدو عن أوضاع قواتنا كما جذبت المرابض التبادلية والهيكلية التى كان بها بعض الأهداف الهيكلية نسبة كبيرة من نيران مدفعية العدو وطيرانه .

أنشأنا ٢٠٠٠ كيلو متر من الطرق للمناورة بالقوات على طول الجبهة وعرضها : أى طريق يبلغ ١٠ مرات المسافة بين القاهرة والاسكندرية كما بلغ إجمالى الطرق التى أنشئت داخل مواقع صواريخ الدفاع الجوى ٤٠٠٠ كيلو متر أى المسافه بين القاهرة وطرابلس ليبيا .

بدء الدراسات والتجارب لحل مشاكل عبور قناة السويس :

فى الخامس عشر من ابريل ١٩٦٨ صـــدرت توجيهات للفريق عبدالمنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية للبدء فى دراسة حل مشاكل الهجوم مع عبور قناة السويس فى وجه مقاومة العدو الموجود على الضفة الشرقية وكان على رأس المشاكل الساتر الرملى على الضفة الشرقية.

لقد تسبب هذا الساتر فى خلق مصاعب خطيرة أمام قواتنا :

فقد أصبح سداً أمام نظر ونيران قواتنا ، وتكونت وراء ميوله الخلفية مناطق ميته لا تتمكن قواتنا من رؤية ما يدور فيها . وخاصة أن العدو استمرفى زيادة ارتفاع ذلك الساتر الرملى حتى بلغ عشرين متراً . أى ارتفاع عمارة من سبعة طوابق ، بل يزيد عن ذلك فى بعض أجزاء من المواجهة . كما قام بدفعه غربا حتى لامس حافة المياه مما مكن العدو ميزة القدرة على كشف ومراقبة أوضاع قواتنا ، غرب قناة السويس ٠

وكانت آخر المصاعب وأشدها تعقيداً هو وقوف هذا الساتر الرملى كسد منيع فى وجه دباباتنا وأسلحتنا الثقيلة التى تقتحم قناة السويس دون أن تجد منفذا تخرج منه إلى الأرض المفتوحة شرق الساتر لتلحق بقوات المشاة المصرية التى تكون قد اقتحمت القناة قبلها دة ساعات .. وكان تصور القيادة الإسرائيلية هو أن هذا الساتر سوف يصمد لمدة ٢٤ ساعة على الأقل قبل أن تتمكن قوات المهندسين المصرية من فتح الممرات فيه . وخلال هذه الاربع وعشرين ساعة الفاصلة تكون المدرعات الإسرائيلية بمعاونة القوات الجوية قد قضت على جميع قوات المشاة التى نجحت فى العبور.

ودارت عجلة الفكر المصرى الخلاق فى أكثر من اتجاه بحثاً عن حلول لجميع هذه المشاكل التى وضعها الساتر الرملى وخط بارليف أمام العقول المصرية الواعية . وكان المبدأ الذى اعتنقه قوات المهندسين هو أن تقوم بحل أصعب المشاكل وأعقدها باستخدام أبسط الامكانات المتاحة .

للتغلب على كون الساتر الرملى سداً أمام نظر ونيران قواتنا ، أمكننا التوصل إلى إنشاء هيئات مرتفعة على الضفة الغربية باستخدام الرمال أطلقنا عليها مصاطب الدبابات وكانت كل مصطبة يتم إنشاؤها باستخدام ما يتراوح بين مائه الف .. ومائه وخمسين الف متر

مكعب من الرمال .. تبلغ مواجهتها حوالى مائه إلى مائه وخمسين متراً .. وارتفاع يزيد عن ارتفاع الساتر المواجه لها على الضفة الشرقية بمقدار ستة أمتار أو يزيد . وأنشئت مزلقانات توصل الدبابات والمدافع من الأرض إلى السطح العلوى للمصطبة الذى كان مستوراً بحوائط من الرمال حتى لا تتعرض الدبابات والمدافع للاصابة المباشرة من نيران مدفعية العدو . وقد حققت هذه المصاطب الكثير من المهام فى يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وما بعده حيث أطلقت من فوقها الدبابات والمدافع نيرانها على مواقع العدو فى خط بارليف . ثم استمرت هذه المصاطب تعاون قواتنا التى عبرت قناة السويس مترجلة فى الساعات الأولى حتى وصلتها دباباتها وأسلحتها الثقيلة على معابر المعديات والكبارى عند إنشائها .

ولا زلت أذكر عندما قام المشير أحمد اسماعيل وزير الحربية بزيارة الجبهة قبيل حرب أكتوبر عندما صعد إلى سطح أول مصطبة دبابات تم إنشاؤها فى الجيش الثانى فى منطقة القنطرة ، حيث شاهد قوات العدو تربض تحت قدميه بعد أن كان العدو يرتفع كثيراً عن مواقعنا .

كان عدد المصاطب التى خططنا لإنشائها فى الجيش الثانى والثالث تزيد على ٨٠ مصطبة .. يحتاج إنشائها إلى حجم ضخم من الرمال يبلغ ١٠ مليون متر مكعب.. أى ما يعادل خمسة أهرامات مثل هرم خوفو .

ولقد حققت لنا مصاطب الدبابات فور الانتهاء من إنشائها ميزة عظيمة حيث أصبح العدو شرق القناة كتابا مفتوحا أمام أعيننا نراقبه فى جميع الاوقات وخاصة فى أثناء تدريب قواته وعند قيامه بأعمال التجهيز الهندسى.. وقد ساعدنا ذلك كثيراً فى تحقيق النصر .

للتغلب على مشكلة كشف العدو لمواقع قواتنا غرب القناة قمنا بدراسة طبوغرافية لتحديد نقط الارتفاعات التى يحتلها العدو شرق القناة وأجريت حسابات دقيقه لتحديد الأماكن التى يمكن أن نقيم عليها سواتر على أجناب طرق ومدقات التحرك وارتفاعات هذه السواتر استخدمت المعدات الهندسية لاقامة سواتر من الرمال بلغ إجمالى حجمها على امتداد مواجهة قناة السويس أكثر من مليون متر مكعب ، كما استخدمت ستائر معدنية وحواجز ركنيه بطول عشرات الكيلو مترات لنفس الغرض .

كانت كل هذه الدراسات والتجارب وغيرها تسير جنبا إلى جنب مع نشاط القوات المستمر لتحسين التجهيز الهندسى للمواقع وإنشاء التحصينات التى تحقق وقايه قواتنا من

نيران العدو وكانت ورش إدارة المهندسين وورش القطاع المدنى تقوم طبقا لخطط مدروسة - بتصنيع أجزاء التحصينات ، ومعدات المعديات والكبارى نظراً للحاجة الشديدة إلى حجم ضخم من وسائل العبور لتحقيق الحلم الذى كان يراودنا بصفة دائمة لعبور قناة السويس واستعادة سيناء .

خط بارليف

وصلت قوات إسرائيل إلى الضفة الشرقية لقناة السويس فى يونيو١٩٦٧ لتجد ساتراً من الرمال من ناتج حفر قناة السويس وكان هذا الساتر يبتعد عن القناة عشرات من الأمتار ويتراوح ارتفاعه بين مترين وثمانية أمتار .

كان على القوات الإسرائيلية أن تلتصق بضفة القناة ففى البداية عمدت إلى بناء خنادق على طول الممر المائى .. فلما بدأت مصر حرب الاستنزاف (٨ مارس ١٩٦٩ – ٨ أغسطس ١٩٧٠) تعرضت الضفة الشرقية للقناة لنيران مستمرة من المدفعية المصرية ، فبدأت القوات الإسرائيلية فى تحسين مواقعها ، وراحت تشيد بعض الحصون الصغيرة لتكفل لها الحمايه . وكان الأمر عند ذلك مجرد حرب ثابتة تعيد إلى الذاكرة من نواحى كثيرة حرب (الخنادق) الشهيرة فى الحرب العالمية الاولى .

ومنذ اللحظة الأولى التى أدركت فيها إسرائيل أن المصريين ليس فى نيتهم على الاطلاق وقف هذه الحرب (حرب الاستنزاف) انتهجت تكتيكا جديدا وكان السؤال الذى طرحته على نفسها هو[1] : هل يتعين أن نعد أنفسنا لاحتمال وقوع حرب عامة أم ننظم انفسنا وفقا لهذه الحرب التى فرضها العدو ؟

وبدلا من أن تستعد هيئة الأركان الإسرائيلية لاشتباك شامل ، فانها قد ركزت كل جهودها من أجل حل المشاكل التى كانت تطرحها عليها حرب الخنادق هذه . وكان اول من وضع خططا لخط من الموقع الحصينة، هو الجنرال ، ابراهام آدان ، كان أحد رجال (البالماخ) أى قوات الصدام التى كانت تابعه للهجاناً التى كانت نواة للجيش الإسرائيلى ، وكان قد عين عام ١٩٤٨ قائدا لمنطقة الحدود فى صحراء النقب ومسئولا عن بناء مواقع

(١) كتاب عيد الغفران : ترجمة هيئة الاستعلامات. ص ١٠٩

حصينــة صغيرة مـهـمتهـا احتواء غزو مصرى مـحتمل. وقد أطلق على تلك المواقع اسم إسرائيلى هو (دانجـور) ، ومن وحى هذه (الدانجـورات) خـرج الجنرال آدان بمفـهوم نقـاط الارتكاز التى تكون منها خط بارليف .

غير أن الجنرال آدان عندما وضع هذه الخطط ، انما كان يتوقع أن تجهز هذه المواقع بالأجهزه الالكترونيه التى من شأنها إعطاء الانذارالى قواته وبذلك يقضى على كل محاولة مصرية لعبور القناة .

ان الصور الأولى التى التقطت عام ١٩٦٧ على خط قناة السويس تبين أن الأمر كان مجرد خنادق مبعثره اخفيت بالشبكات المعدنية ، وقد غطيت هذه الشبكات المعدنية بدورها باكياس الرمل وبقطع من الاحجار. وأخذت هذه الخنادق تزداد تحصيناً بالتدريج إلى درجة أنها أصبحت دشماً ، تحميها أستار من الاتربة. وفيما بعد دعمت هذه الاستار وأقيمت لها حواجز من قضبان السكك الحديدية التى عثر عليها فى سيناء وعندما أصبح واضحاً أن مصر عازمة تماماً على الاستمرار فى حرب الاستنزاف فان خط قناة السويس قد أصبح بدوره خطا دفاعيا حصينا.

كان المشروع الإسرائيلى يقضى ببناء دشم قـوية حول المحـاور التى تبدأ من عند القناة ثم تتغلغل داخل سيناء فى اتجاهات الممرات الاستراتيجية فى شبه الجزير. وقد بنيت المواقع وأغلبها فى مجموعات متقاربة ، أن يقوم كل منها بتغطيه الاخرى فى حالة تعرضها للهجوم ، وكانت المواقع الرئيسية هى التى أقيمت فى كل من بورتوفيق فى مواجهة السويس، وفى الوسط فى مواجهة الاسماعيلية ، وفى محور القنطرة ، وعلى بعد عشرة كيلومترات شرق بور فؤاد.

ولم تكن شبكة هذه الحصون - (وقد بلغت فى مجموعها ستة وثلاثين) تمثل سوى جزء من مجموع الخط الذى كانت تدخل عليه التحسينات عاما بعد عام ، فيزداد قوه وتدعيما وإستمر البناء فيه شهوراً طويلة ، وغالبا ما كان ذلك يجرى تحت نيران المدفعية المصرية ، وقد استخدمت فى البناء عشرات الجرارات والبلدوزرات وجاءت الاف من سيارات النقل محملة بالاحجار من الشمال لكى تفرغ حمولتها من أجل إنشاء المصطبه المضادة للقنابل. ولاختبار صلابة هذه الحماية فان الجيش الإسرائيلى عمد إلى ضربها بقذائف المدافع السوفيتية التى غنمها من المصريين فى حرب يونيو ١٩٦٧ .

وسرعان ما أصبحت هذه المواقع أماكن إقامة حقيقية ، بها كل وسائل الراحة من أجهزة اتصال محسنة ، وأجهزة لتكييف الهواء ، ومراوح ، ومياه جارية وخزائن لحفظ الطعام ، وكان كل موقع منها يشبه من الخارج إحدى قلاع العصور الوسطى وقد بدى كالدبابة العملاقة القادرة على أن تقاتل بوسائلها الخاصة وأن تتحمل الحصار الطويل ولقد زود شاغلو هذه المواقع بقوة نيران كبيرة نسبيا وتستدعى قوة صغيرة فقط لاطلاقها وكان يتعين أن يحتل كل منها ما بين ثلاثين أو خمسة وثلاثين رجلا لضمان توفير استقلال ذاتى لها فى القتال وتحمل أى هجوم من قوات تفوقهم عدداً . وتبعاً للحسابات التى أجراها الخبراء ، فان هذه المواقع كانت قادرة على أن تقاوم لمدة اسبوع لواء من المدرعات ، ولكن مهمة مواجهة المدرعات المعادية فى حالة حدوث العبور للقناة تركت للدبابات الإسرائيلية.

ومع مضى الشهور ، تحولت المواقع الحصينة لكى تصبح أغلى من أغلى الشقق فى إسرائيل . فلقد استنفذ كل منها عشرات الملايين من الليرات الإسرائيلية واستخدم فيها آلاف من العمال و الخبراء لبنائها . ولم يكن أى جيش عصرى فى العالم ليستحق كل هذه الظروف المرفهة للحياة فى أى موقع متقدم ، فيه كافة الاجهزة اللازمة.

وكانت هناك مواقع كثيرة فى كل منها النادى الخاص بها ، بكل ما يلزمها من موائد تنس الطاولة وملاعب كرة السلة و غير ذلك وكانت الفرق التمثيلية والمحاضرون يأتون كل أسبوع ، لكى يرفهوا عن جنود تلك الخطوط الامامية أو يزيدوهم تثقيفيا.

وكانت غرف الجنود فى الدشم مزودة بحماية كاملة . وكان هناك عدد كبير من مخازن الأطعمة المزودة بالمطابخ الكهربائية الحديثة ، التى تتيح للجنود الذين يعملون بها قضاء خدمتهم فى أفضل الظروف.

ولما كانت الوحدات التى تخدم فى المواقع المتقدمة يتم استبدالها وفقا لجدول يعد مقدما، فان الكثيرين كانوا يقولون : إنها بمثابة أماكن للهو والراحه ، وكان صفاء الجو وجمال الطبيعة فى المكان يبرران بالفعل هذا التشبيه.

لقد أنجز بناء خط بارليف على ثلاثة مراحل.

المرحلة الأولى ، وحتى القصف الكبير بالمدفعية فى عام ١٩٦٨ ، أثبت الضرب المستمر أن المواقع لا تصمد لقوة تلك النيرا ن وأن الإبقاء على الجنود فى تلك الظروف كان يعادل تعرضهم للانتحار.

واستغرقت المرحلة الثانية الفترة التى دارت فيها حـرب الاسـتنزاف أى حتى اغسطس ١٩٧٠. وفى أول وقف لإطلاق النار الذى استمر ثلاثة أشهر ، كان هناك سباق حقيقى ضد الزمن ، فأخذوا يعملون فى إعادة ترميم المواقع المدمرة التى أصبح عدد كبير منها خرائب حطاما.

وطال وقـف إطلاق النار ، فأخـذوا يشـيدون خـطا ثانيا ، على بعد سبعة أو ثمانية كيلو مترات من الخط الأول ، وكان هذا الخط الثانى مقررا للوحدات المدرعة التى كان يجب أن تدفع فى حالة حدوث عبور لقناة السويس ، لكى تستقبل القوات المصرية من مواقع متقدمة ولمساعدة مواقع الخط الأول وتحول دون إقامة رؤوس كبارى مصرية. فضلا عن ذلك ، فان وحدات للدبابات أقل عدداً كانت موجودة بصفة دائمة تحت تصرف وحدات الخط الأول. خلف خط الحماية ، تم بناء معسكرات أطلق عليها اسم (معسكرات المؤخرة) تبعد عن القـناة بحوالى ثلاثين كيـلو متراً إلى الشرق وقد زود الخط بمدفعية قوية .

وقد اعترضت نظرية بارليف التكتيكيه ، نظرية كل من الجنرال شارون والجنرال طال اللذين كانا يقولان[١] بضرورة السيطرة على المجال الذى يتصل ببناء خط دفاعى متحرك. كان شارون وطال ومجموعة من الجنرالات يأخذون على خط بارليف نقاط الضعف الآتية:

إن مواقعه الحصينة كانت فى متناول المدافع المصرية ، علما بأن المدفعية هى أقوى الأسلحة لدى المصريين.

إن وجود خط بارليف نفسه يشكل بالنسبة للمصريين إغراء دائما للعودة الى فتح النيران، وتوجيه عمليات الفدائيين ضده .

إنه لإسكات المدفعية المصرية ، كان ينبغى استخدام الطيران ، مما يمكن أن يؤدى إلى تصاعد القتال.

ويقول الجنرال بيليد : إن المسئولين السياسيين فى إسرائيل بدلا من أن يضعوا أمن البلاد فى قدرة الجيش على الحركة فى التكتيك الدفاعى ، فإنهم قد نقلوا الى الحدود البعيدة

---

١) كتاب عيد الغفران : ترجمة هيئة الاستعلامات يم ص ١١٢ ،١١٣ .

-على ضفة قناة السويس – ما كانوا قد رفضوه للحدود القريبة – على حدود إسرائيل نفسها ألا وهى الخنادق والتحصينات ، وخط دفاعى ثابت يتعارض مع روح الجيش الإسرائيلى . ولقد كان فى استطاعتنا بالمبالغ الطائلة التى استخدمت فى بناء خط بارليف ، أن نشترى خمسمائة دبابه مزودة بكل ما يلزمها من عتاد ، أو أن نحصل على مائه طائرة للخطوط الأولى ، أو على الأقل أن تكون لدينا بها ذخائر إضافيه لبضعة أيام تكفى جميع القوات الاسـرائيليهة ، وكان يمكن كذلك أن نبث الالغام فى شريط عريض من الارض عند ضفة القناه ثم نحدها بحزام الأسلاك الشائكة لقد تعرضنا لتـجربة مريرة برهنـت على أن خط بارليف كان أسوء ما استثمرنا فيه اموالنا .

خط بارليف الذى لا يقهر(١)

كان خط بارليف يشغل مكانا بارزاً فى إطار نظرية الحدود الآمنه والردع فقد كان بمثابة جوهرة التاج. وكان يمثل علاوه على ذلك رمز استقرار اسرائيل فى مواجهة أعدائها. وهو رمز لاشك فى أنه يكلف الكثير ، إذ أنفقت إسرائيل من أجل بنائه حوالى مليارين من الليرات الإسرائيلية (نحو أربعمائة مليون دولار) وكان خط بارليف يمتد على طول القناة مما جعله لا يمثل مجرد رمز بل وأيضا يمثل تحدياً حقيقياً موجهاً إلى العرب . وكانت القناة قد اصبحت من وجهة نظر المصـريين منذ تأميمها فى عام ١٩٥٦ ، رمز استقلالهم الوطنى، بيد أن الإسرائيليين كانوا يسخرون بصورة سافرة من هذا الممر المائى الشهير ويطلقون عليه أسماء مثل أفضل خندق مضاد للدبابات فى العالم ويصفونه بأنه الفاصل الاستراتيجى الذى سيتحول إلى قناة من الدماء اذا حاول المصريون عبورها وقد صرح الجنرال بارليف نفسه حينما كان يشغل منصب رئيس الأركان : لا أعتقد أن المصريين يستطيعون مهاجمة أحد حصوننا والاستيلاء عليه ولا اعتقد أنهم يستطيعون عبور القناة .. ومع هذا ففى وسعهم التسلل بين الحصون وزرع الالغام ... فهم يستطيعون أن يفعلوا ذلك فقط .

وهكذا فإن كل القادة الإسرائيليين ، وعلى رأسهم موشيه ديان وزير الدفاع وحاييم بارليف الذى كان رئيساً للاركان فى ذلك الوقت ، وضعوا ثقتهم الكاملة فى خط بارليف

---

(١) انتهاء الخرافة ،تأليف آمنون كابيلوك – اعداد مركز البوث والمعلومات ص ١٨٩ ، ١٩٠.

ووصفوه بأنه صورة النجاح الإسرائيلى .وكان راديو إسرائيل يذيع ، حتى حرب كيبور (عيد الغفران) أغنية شعبية تشيد بتحصينات خط بارليف . وكان الصحفيون والممولون الأغنياء فى منظمة النداء اليهودى الموحد .. الخ يقومون بزيارات دورية لخط بارليف .. كما أن المجموعة الحاكمة قد جعلت من خط بارليف أحد شعاراتها الرئيسية خلال الفترة الانتخابية ، ووصفته بأنه نموذج لنجاح سياسة الردع التى تنتهجها الحكومة .

ومع ذلك ينبغى القول أن ذلك المفهوم الذى يتمثل فى ارتكاز الدفاع على خط من التحصينات – علاوة على كونه قد أصبح باليا منذ تجارب الحربين العالميتين – كان يتناقض مع عقائد الجيش الإسرائيلى الذى يميل بدرجة أكبر إلى حرب الحركة. ولكن خط بارليف خلق نوعاً من الإيمان السحرى بقوة الدفاع .

لقد شاءت سخرية القدر أن يخلع حاييم بارليف ثوبه العسكرى عام ١٩٧١ لكى يتولى وزارة التجارة والصناعة ، ثم استدعى للخدمة وارسل إلى الجبهه الجنوبية ليعمل على إنقاذ الخط الذى يحمل اسمه. وقد سأله عدد من الصحفيين خلال حرب عيد الغفران ، عن السبب الذى جعل هذا الخط الشهير لا يقوم بالدور الذى أنشئ أساساً ليقوم به. وعند ذلك قال الجنرال بارليف (١) :

إن **هذا الخط** سوف يذكر فى تاريخ الحروب بأنه الخط الذى لم يكن له وجود قط تماماً مثل خط (ماجنيو) الفرنسى فى الحرب العالمية الثانية ومن المقطوع به أن هناك علاقة عسكرية وسياسية وسيكلوجية بين هذين الخطين.

وكما فعلت فرنسا عام ١٩٣٩ حيث تصورت الحماية بخط ماجينو فإن إسرائيل كانت تغط فى نومها وراء هذا الحصن الرائع الجميل . ومن المرجح أن الجيش الإسرائيلى بغير هذا الخط ، كان سيتصرف بطريقة أخرى إزاء حشد القوات المصرية عشية الحرب .

والواقع أن وهم الأمن الذى يوفره هذا الخط ، هو الذى كان قاتلا للجيش الإسرائيلى وحينما اكتمل هذا النظام الدفاعى الكثيف كان يتضمن ما يلى:

١) كتاب عيد الغفران : ترجمة هيئة الاستعلامات يم ص ١٠٦ .

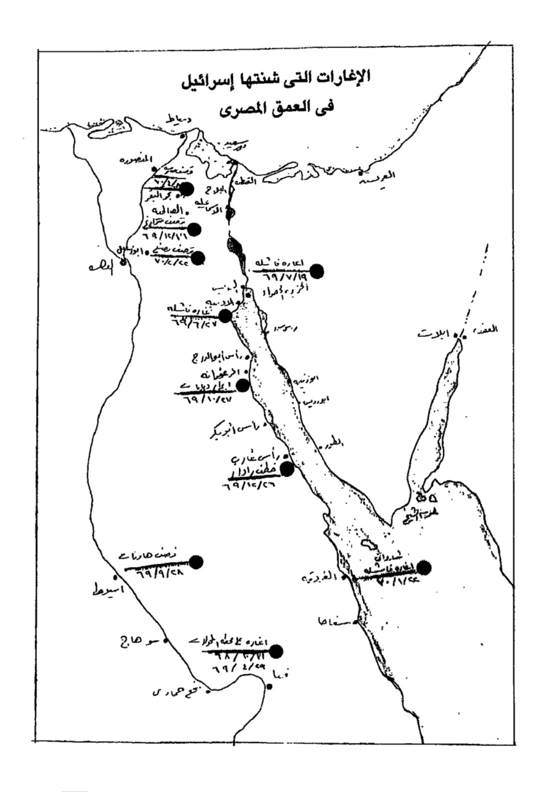
حائطا ترابيا على امتداد القناة يصل ارتفاعه إلى ٢٠ متر وأكثر من ذلك فى بعض المناطق ، كما تمت إزاحته غرباً حتى لمس تماماً حافة القناة دون أن يترك موطئا لقدم على الضفة الشرقية للقناة .

أقيم فى جوف هذا الحائط وفوق قمته سلسلة من المواقع الحصينة والتى بذل فى بنائها جهدا خارقا ، وتجمعت فيها كافة الخبرات المكتسبة من مسارح الحرب المعاصرة فى التحصينات والموانع بعد أن أضيفت إليها الخبرة المكتسبة من حرب الاستنزاف التى شنتها مصر .

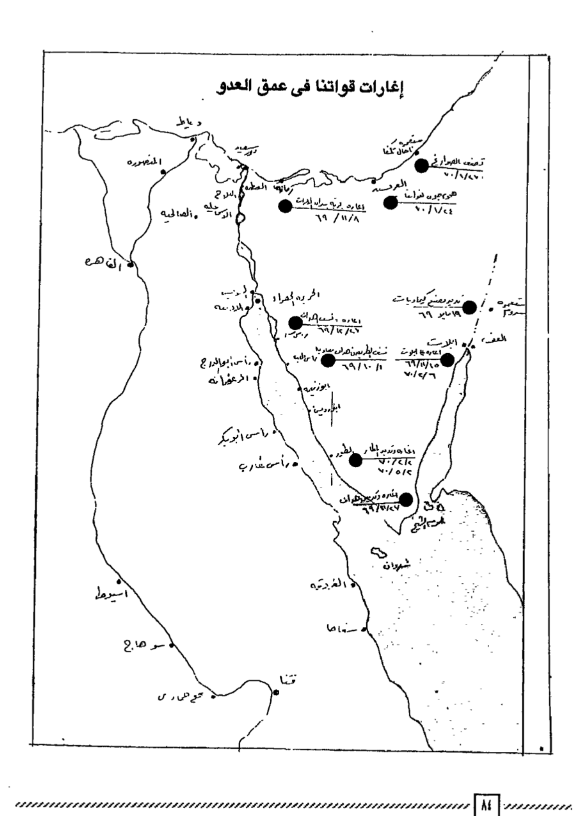
أنشئت هـذه المـواقع على طول المواجـهة الصالحة من القناة والتى تبلغ حوالى ١١٠ كيلو متر وبلغ عددها ٢٢ موقع دفاعى مكونة من ٣٦ نقطة حصينة تسيطر جميعها على المواجهة والأجناب والخلف – منها ١١ موقعا دفاعيا مكونا ١٩ نقطة حصينة فى مواجهة الجيش الثانى الميدانى – أما الفواصل التى تركت فيما بينها فقد جهزت بمرابض الدبابات – بفاصل ١٠٠ متر بين مربض وآخر بحيث يمكنها إطلاق نيران جانبية تكسح القناة وضفتها الغربية وقــد بلغ عــددها أكثر من ٣٠٠ مربض دبابة .

وقد اختيرت هذه النقط الحصينة بحيث تغطى كافة الاتجاهات الصالحة لعبور القناة ولتقدم القوات فى سيناء وأن تتبادل المعاونة فيما بينها بالنيران أو بالاشتراك مع الدبابات الموجودة فى الفواصل على الأجناب .

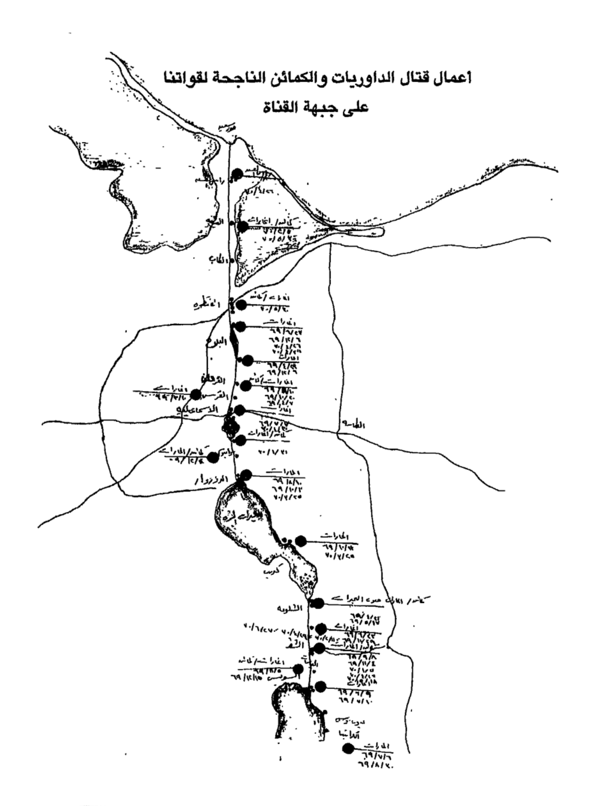
وظهرت التحصينات بمواسير النابالم الممتدة تحتها لتلامس سطح القناة ولتندفع منها النيران لتحويل القناة إلى شعلة ضخمة من النيران على طول المواجهة وأجريت عليها تجارب خلال فترة إيقاف نيران حرب الاستنزاف وكان الهدف منها أيضا معنوى ولإحباط أى نية للهجوم المصرى .



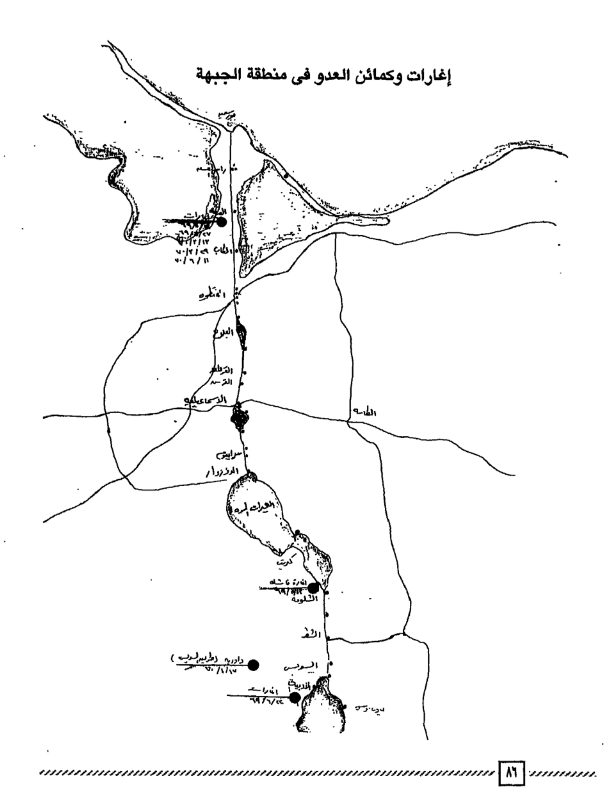
الإغارات التى شنتها إسرائيل
فى العمق المصرى
دمياط
المنصوره
القنطره
العريش
الصالحيه
٦٩/٧/١٩
٦٩/٦/٢٧
الزعفرانه
٦٩/١٠/٢٧
راس غارب
٦٩/١٢/٢٦
٦٩/٩/٢٨
اسيوط
الغردقه
٧٠/١/٢٢
سفاجا
سوهاج
قنا
نجع حمادى
ايلات


إغارات قواتنا فى عمق العدو
دمياط
المنصوره
بورسعيد
العريش
الصالحيه
القاهره
السويس
الزعفرانه
رأس أبو الدرج
أبو زنيمه
رأس أبو بكر
رأس غارب
الطور
شرم الشيخ
شدوان
الغردقه
سفاجا
أسيوط
سوهاج
قنا
٧٠/١/٢٤
٦٩/١١/٨
١٩ مايو ٦٩
٦٩/١٠/١

أعمال قتال الدوريات والكمائن الناجحة لقواتنا
على جبهة القناة



إغارات وكمائن العدو فى منطقة الجبهة



البـــاب الثالث

حـــرب الاســتنزاف

الفـصــل السابع

تطور حرب الاستنزاف وأهدافها

الفصـل الثامن

عمليات القوات البرية

القسـم الأول: الجيوش الميدانية

القسم الثانى: منطقة البحر الأحمر

القسم الثالث: المهندسون العسكريون

الفصـل التاسـع

عمليات الأفرع الرئيسية

القسـم الأول: القوات البحرية

القسم الثانى: القوات الجوية

القسم الثالث: قوات الدفاع الجوى

القسم الرابع: رفع الكفاءة القتالية للأفرع الرئيسية

الفـصــل العاشر

الاســتنزاف المضـــاد

الفصـــل الســابـع

تطور حرب الإستنزاف وأهدافها

مقــدمـة :

يتطلب الاستنزاف فى المعاجم العسكرية [1] السعى المستمر من القائد لإيقاع الخسائر فى أفراد الخصم ومعداته وأسلحته ومؤسساته الإدارية والفنية وجبهته الداخلية ومعنوياته بهدف كسب التفوق الكمى والمعنوى عليه ، توطئة لدحره فى معركة حاسمة تالية .

وغالباً ما تكون حروب الاستنزاف من الصراعات المنخفضة الشدة التى يهدف منها الطرف الأطول نفساً إلى اجهاد خصمه لدرجة اليأس ، بينما تكتسب قواته الكفاءة القتالية الأفضل ، وتستكمل الإعداد والتأهب لمرحلة تالية من الصراع المتوسط أو الفائق الشدة طبقاً لقدراته القتالية ولانواع ترسانتها الحربية، وهناك نوعان من حروب الاستنزاف النوع الأول يضع أحد الأطراف خططها ثم يدير أعمال القتال لتحقيق هدف سياسى عسكرى محدد ، بينما ينشب النوع الثانى نتيجة تداعى الأحداث بالمسرح بفعل مؤثرات تراكمية ، تؤدى فى النهاية إلى تبادل الطرفين لأسلوب الاستنزاف والاستنزاف المضاد بحذر وذكاء شديدين حتى لاينقلب الاستنزاف إلى حــرب سافرة وهو ما شهدته جبهة قناة السويس على امتداد الاشهر الثمانية عشر فيما بين مارس ١٩٦٩ وأغسطس ١٩٧٠ عنـدما تبارت العـقول لالحاق أشـد الضرر بالخصم .

إلا أن الخبراء العسكريون اختلفوا فى تقييم تلك المرحلة وفيمن كان يستنزف منهما ، بل وتضاربت آراؤهم فى جدواها ونتائجها رغم أنها كانت بمثابه البوتقه التى انصهرت فيها

•(1) International Military and Defence Encyclopedia, Brasseys u.s, Lnc Washington 1993 uol.1 p.318

القوات المتحاربة واكتسبت خبرات واسعة فى صيغة الحرب لم يكن التدريب فيها مهما اتسم بالواقعية يستطيع أن يحققها •

فعلى الجانب العربى كانت حرب الإستنزاف أكثر فائدة للقوات المسلحة فاستعادت الثقة بنفسها وبقادتها وبالقدرات القتاليه ، ومارست الحرب الأكترونيه والأكترونيه المضاده بصورة شاملة ومؤثرة لأول مرة فى صراعها مع إسرائيل والواقع أن حرب الاستنزاف بمراحلها المختلفة .. اقتصرت على جبهة قناة السويس وعمق مصر ، بينما ظلت جبهتى الضفة الغربية وهضبة الجولان هادئتين .

لقد كان إصرار مصر على تسخين الجبهة عقب توقف القتال مباشرة ، تجسيداً حياً لرفض الهزيمة ، وتعبيراً عملياً عن عقد العزم على إزالة آثار العدوان ، ولما لم تكن قواتها المسلحة قد استعدت بعد لخوض حرب هجومية جديدة ، فلم يكن أمامها إلا أن تمارس الاستنزاف ، وهو صورة من الصراع المسلح الذى يدوربين خصمين أو أكثر لايستطيع أحدهم أو بعضهم أن يستخدم قواته الضاربة الرئيسية لحسم الموقف فى المسرح ، ولايقبل فى نفس الوقت أن يتجرع الهزيمة ويرضخ لشروط العدو.

وتدار أعمال الاستنزاف بصورة مستمرة وإن كانت ترتفع فى الحدة وتهبط وتتسع فى المجال الجغرافى وتنكمش ، وتتضخم فى الأهداف وتتضاءل ، وفق سلم فى غايه الحذر حتى لايفلت الزمام أو يستكين القتال ويخمد .

كما تدار تلك الأعمال بغرض إنهاك الخصم بشريا ومعنويا واقتصاديا كقاعدة أولى ، ولاكتساب الخبرة الميدانية ، ومواصلة الاستعداد لخوض حرب جديدة تحت ظروف أفضل كغاية ثانية وقد عبر عن ذلك كلا من العميد « يهوشع رفيف » السكرتير العسكرى لوزيرالدفاع ، والعميد « شلوموجازيت المشرف على الأراضى المحتلة عن ذلك بقولهما (من الواضح أن الغاية من إدارة مصر لحرب الاستنزاف هو توريط إسرائيل فى قتال نشط طويل المدى يتضمن أشكالاً مختلفه من الصراع المسلح يعلو على مستوى الحرب الكاذبه ويهبط عن مستوى الحرب الكاملة وتتدرج فى الشده واللين تبعاً للفرص السانحة والظروف المحيطة بالمسرح) والواقع أن أفضل أساليب بناء الجيش المتمرس على القتال يتحقق تحت لهيب المناجزة فى أرض المعركة ، فهى التى تخلق القادة المحنكين والمقاتلين المهرة والتنظيمات الصحيحة ، كما انها هى التى تطور الأساليب والأسلحة والوحدات بما يسد الفجوة التقنية والتخصصية بينها وبين الخصم .

ولوزير الدفاع الإسرائيلى الأسبق موشى ديان[1] قول مشهور فى هذا الشأن بأنه لايميل إلى استخدام وسائل تمثيل الواقعية فى تدريب قواته على المعارك فالقوات العربية التى تخوض معها القتال بين الآونه والأخرى تعتبرأفضل أنواع الواقعية فى التطعيم للمعركة ».

تطور مراحل حرب الاستنزاف :

فى الوقت الذى كان يتم فيه إعادة بناءالقوات المسلحة كان التخطيط لأعمال القتال يسير بخطى ثابتة تتمشى مع نمو قدرات القوات ، وأصبحت اجتماعات المجلس الأعلى للقوات المسلحة متكررة لضمان العمل الجماعى ووحدة الفكر والاستفادة بآراء القادة وبذل الرئيس الراحل عبد الناصر جهداً كبيراً لسرعة إعادة البناء ، وكانت اجتماعاته مع المجلس الأعلى تعطى دفعة قوية للعمل ، كان لديه الاصرار التام على الارتفاع بمستوى كفاءة القوات المسلحة وتدبير احتياجاتها وعدم السماح بأن تكون الجبهة ساكنه . كانت جبهة القناة فى عمل دائم مستمر ، فنشاط العدو فى سيناء وتحركاته ونواياه كانت شاغل القوات والقيادات ، وتدريب القوات كان هو العمل اليومى المستمر ، والتخطيط للدفاع أو للاشتباك مع العدو لايتجمد بل يتطور يوماً بعد يوم وبدأت القوات تتغلب على المصاعب التى تواجهها واحدة بعد الأخرى وتعمل بجهد مستميت للدفاع عن منطقة القناة وفى نفس الوقت. كان لابد من القتال ضد القوات الإسرائيلية حتى تدفع ثمنا غالياً لاستمرارها فى احتلال سيناء حتى يأتى اليوم الذى يتم فيه تحريرها بالقوة. كان الجميع يؤمن بأن الأرض لن تسترد إلا بالقوه ضد عدو يشعر بقوته وتفوقه حتى تولد فى ذهن قادته أن العرب لن تقوم لهم قائمة قبل سنوات طويلة ، قدرها بعض العسكريين فى الدول الأجنبية بجيل كامل ، وكان هناك خطأ فى هذا التقدير لسبب بسيط هو أنهم لم يتعمقوا فى دراسة العوامل التى أدت إلى نجاح القوت الإسرائيلية بالشكل والنتائج التى حققتها .

وعندما تأكدت مصر أن إسرائيل لا تريد السلام ، بل تريد أن تفرض إرادتها على العرب من مركز قوة احتلالها الأراضى العربية، وأنه لا أمل فى تخليها طواعية عن تلك الأراضى إلا إذا لمست أن ما تدفعه من ثمن لايتناسب مع ما تحتفظ به من مكاسب ولم يكن الموقف العسكرى الإسرائيلى فى سيناء فى ذلك الوقت موقفاً صلباً ، بل به العديد من نقاط الضعف فى بنائه الدفاعى وهكذا قررت مصر التحول إلى استراتيجية جديدة والانتقال

(١) موشيه ، مجله محانيه الاسرائيليه ، العددالصادر في ٢٧ يناير ١٩٧٠

بالجبهة من مرحلة الصمود الساكن إلى مرحلة جديدة من المواجهة العسكرية والتى اطلق عليها ، مرحلة الدفاع النشط والتى عرفت فيما بعد باستراتيجية الاستنزاف ، وهى استرتيجية للصراع الطويل الأمد الذى يجبر العدو على تبديد طاقاته واستهلاك موارده الاقتصادية - المادية- المعنوية فى سبيل المحافظة على مكاسب اغتصبتها ، وخلق اقتناعاً مؤكدا لديه بأن ثمن إصراره على العدوان : هو ثمن فادح لايحتمله . وفى نطاق هذه النظرية ليس لزاماً للصراع أن يكون هدفه تحقيق انتصارات عسكرية مدوية ، ولكنه يتحقق فى المحافظة على استمرار الصراع وتصاعده المنظم الذى يتزايد ثقله وأعباؤه على العدو شيئاً فشيئاً ويعتمد على فرض ظروف قاسية عليه بينما لايستخدم ضده سوى وسائل محدودة لكن بأساليب تتسم بالمهارة والمرونة ، مع استمرار العمل وتزايد ضغوطة المعنويه التى تؤثر على عناصر القوة العسكرية . والواقع أن تلك المرحله كانت بمثابة ، البحث عن الذات ، بالنسبة للمخطط والمقاتل المصرى وللجندية المصرية بصفة عامة ، فمن خلالها وجد هذا المقاتل نفسه وتبلورت عقيدة قتال مصرية خالصة له ، وأتيحت له فرصة مواجهة عدوه وجها لوجه ومقاتلته فى ظروف أفضل من ذى قبل . ولقد أثبتت حرب الاستنزاف أن قوه صمود مصر وتحملها وقوة ارادتها وتمسكها بهدفها الاسمى .. كانت هى العناصر الأساسيه التى أعادة الثقه بعد أن كادت نكسة يونيه ٦٧ تقضى عليها .

أهداف حرب الاستنزاف

جاءت **الأهداف** التى حددتها القياده المصرية عندما خططت لحرب الاستنزاف ، متمشية مع ما وصلت اليه القوات من الثقة بالنفس مما يجعلها قادره على الدفاع عن نفسها وعن الوطن ، مع إلحاق أكبر الضربات وأوسعها مدى بالعدو ، مع القدرة على استيعاب الضربات التى يمكن أن يوجهها العدو كانت هذه الحرب تهدف بصفة عامة إلى استنزاف العدو مادياً وعسكرياً ومعنوياً لتدمير قواته وإلحاق أكبر قدر من الخسائر البشرية به ، وبالتالى دفع الثمن طالما بقى محتلا للأرض ، وفى نفس الوقت عدم ترك الفرصة له لكى يثبت مواقعه ويدعم تحصيناته خاصة بعد أن بدأ فى اقامة مايسمى ، بخط بارليف ، ، كذلك كانت تهدف بصفة أساسية إلى التدريب العملى والواقعى للقوات المسلحة فى ساحة القتال الفعلية والقيام بعمليات عبور متنوعة استعداداً لتحرير الأرض ، مع إقناع العالم أن مصر لاتنوى تحت أى ظرف من الظروف التخلى عن حقها فى استرداد سيناء ، وحقها فى تحرير أرضها ..

ولقد تبلورت أهداف حرب الاستنزاف على المستويات المختلفة فى الآتى على المستوى السياسى :

* **خدمة مصالح العرب** السياسية والعسكرية والإضرار بمصالح إسرائيل التى كانت حالة اللاسلم واللاحرب تحقق لها هدف ترسيخ الأمر الواقع فى المسرح وتنعش آمالها برضوخ العرب فى آخر المطاف .

* **تحريك القضية وإيقاظ ذاكرة العالم** بأن منطقة الشرق الأوسط لاتزال ساخنة ، وأن الشعب المصرى يرفض الواقع ، وأنه يصر على تحرير أرضه وأن الخط الذى وصلت إليه القوات الإسرائيلية لن يكون أبداً خط هدنة جديد .

* **منع الولايات المتحدة وإسرائيل** من فرض الأمر الواقع من خلال احتلال الأراضى العربية واحباط همم الشعوب فى استعاده هذه الأرض.

* **دفع الاتحاد السوفيتى** لسرعة إمداد مصر باسلحة متقدمة تحقق القدرة على تحرير الأرض واحداث توازن مع العدو الذى تمده الولايات المتحدة بكل ما تملك من أسلحه حديثة.

* **تعبئة الشعور الوطنى** والجبهة الداخلية خلف القوات المسلحة بعيداً عما بدأت تخطط له القوى الخارجية المعادية لمصر ، باستغلال المناخ المناسب والمواتى من أجل تحركها.

* **تعبئة طاقات الموارد العربية** ، كل بقدر طاقته واستعداده ، وقد بدأ هذا بالفعل بمؤتمر الخرطوم فى أغسطس ١٩٦٧ ، الذى قرر دعم دول المواجهة ومن ثم كانت حرب الاستنزاف دافعا من أجل استمرار الدعم العربى ، باعتبار أن هذه الحرب سوف تشعل بالفعل الروح المتاحة لدى الشعوب العربية وإشعارها بأهمية الاستعداد لرد كرامه الأمة العربية ٠

* **تحقيق عدة مزايا سياسية ودبلوماسية** من خلال ممارسة القوات المسلحة للاستنزاف الناجح ، حيث لم يكن يتحقق شيء لو ظلت الجبهة راكدة وقواتها فى حالة استرخاء ، وأن هذه الحرب يمكن أن تدفع القوى الكبرى والمحافل الدولية إلى بذل الجهود العريضة للوصول إلى صيغة تفاوضية تقدم الحل الوسط الذى ترضى عنه الأطراف المتحاربة .

على المستوى العسكرى

كانت المهام التى حددتها القيادة العامةالمصرية لقواتها فى حرب الاستنزاف.

* هى حرمان العدو من القيام بالاستطلاع بمختلف أنواعه البرى والبحرى والجوى والتدخل ضد تحركات العدو على الضفة الشرقية وتدمير أية أرتال يمكن رصدها هناك .

* **منع العدو** من إقامة منشآت هندسية أوتحصينات ميدانية ، وتدمير ما ينجح فى إقامته منها أولا بأول وإسكات بطاريات مدفعية العدو ومصادر نيرانه البريه .

* **إرهاق العدو وإيقاع أشد الخسائر بجنوده** وأسلحته ومعداته والسعى إلى القبض على الأسرى والحصول على الوثائق والأسلحة والمعدات .

* **تطعيم القوات المسلحة المصرية** للمعركة المقبلة من واقع الخبرات المكتسبة من الاستنزاف القتالى الضيق وفى نفس الوقت إنهاك الجانب المعادى بشرياً ومعنوياً واقتصادياً كغاية أولى.

* **إزالة الآثار الناجمة عن معاناة المقاتلين** من جراء الهزيمة برفع المعنويات واستعادة الثقة فى النفس والقاده والسلاح وتطويره ، مع تسليح الفرد بالعزم والإصرار وقوة الايمان وبعدالة القضية ، وذلك بهدف رفع الكفاءة القتالية والتى ستتيح له افضل أداء لتحقيق النصر وهو الهدف النهائى .

* **التركيز على الفرد المقاتل** الإسرائيلى والقيام بعمليات اقتناص لأفراده ولذا كلفت كل كتيبة فى الجبهة بالحصول على أسير إسرائيلى شهرياً على الأقل وأن تكون المبادأة فى كل شىء ، وان يعطى للقادة على كافة المستويات حرية اتخاذ القرار .

* **اختبار كفاءة الأسلحه** وكذا أساليب القتال واختيارالأنسب منها من أجل تطوير هذه الأسلحه والخروج بعقيدة قتاليه مصرية خالصة واختيار القادة الأصلح للتخطيط وإدارة القتال ، وذلك خلال حرب فعلية مع الجانب الإسرائيلى والتى يمكن خلالها أن يتحدد القائد الكفء القادر على خوض معركة التحرير .

* **مواجهة الحرب النفسية** التى شنتها إسرائيل والدعاية التى أعلنتها ، بأن الجيوش العربية بصفة عامة والجيش المصرى بصفةخاصة لن تقوم له قائمة بعد الان وقولهم بأنه ليس أمام العرب سوى الاستسلام لشروط إسرائيل والسكوت المطلق عن المطالبة بأراضيهم.

وبالتالى كان لابد من كسر هذا الجمود ومواجهة هذا الصلف من خلال إدارة حرب استنزاف طويلة الأمد وتنشيط الجبهة عسكرياً يجب أن تكون ورقة ضاغطة على إسرائيل لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢) .

على المستوى الاقتصادى :

* **فرض حالة من الاستنزاف الاقتصادى** على إسرائيل من خلال اضطرارها إلى الاحتفاظ بنسبة عالية من قواتها فى حالة تعبئة واستعداد دائم ، والتأثير السلبى على معنويات الشعب.

* **خفض معدل النمو الاقتصادى** وزيادة العبء الذى يتحمله المواطن الإسرائيلى والتكاليف التى يتعرض لها من خلال بناء الخط الدفاعى الذى يتم تدميره من آن لآخر ، وكذا خسائره فى المعدات والأسلحة ، وكذا تكاليف خسائر الطيران بل وطلعات الطيران نفسها حيث تتكلفة الطلعة الواحدة نحو (٣٧٠٠) دولار فى المتوسط ، وتحتاج الطائرة إلى عمرة كاملة بتكلفة ٣ مليون دولار وأيضاً تكاليف استدعاء الاحتياط للخدمة العسكرية والتى تساوى ٧٥٠ ألف رجل / يوم من وعاء العماله بشتى أنواعها .. وهو أمر يؤثر على القوى العاملة والإنتاج.

لذلك وما أن انتصف عام ١٩٦٨ إلاوكانت كل الظروف مهيأة لإدارة حرب الاستنزاف باسلوب يحقق الأهداف السياسية والعسكرية والاقتصادية التى خططتها مصر وقد ساعد على ذلك وصول القوات المسلحة إلى درجة مناسبة من الكفاءة القتالية تمكنها من القيام بتحقيق أهدافها كما وصل تجهيز مسرح العمليات إلى درجة مناسبة تحقق تأمين القوات ضد ردود الفعل المعادية كما شرعت القيادة المصرية فى تأمين وإعداد الشعب وأجهزة الدولة طبقا لإجراءات إعداد الدولة للحرب وفى نفس الوقت كان الطرف الاخر جادا فى انشاء خط بارليف الأول وبتكثيف أعمال الانشاءات خلال فترات هدوء المعارك ، وكانت الشواهد تدل على أن تحصيناته ستتم بدرجة قوية تحتم تدميرها فى مراحل بنائها وليس بالانتظار لحين إتمام بنائها وتمت إجراءات التخطيط للأعمال القتالية النشطة اعتبارا من منتصف عام ١٩٦٨ وتحددت أولوياتها ، وتم اختيار العناصر القائمة بتنفيذ المراحل الأولى منها ، وتدريبها فى مناطق منعزلة ، وفى سرية تامة ، وبقى توقيت تنفيذ هذه العمليات سرا غير معروف لأى مستوى قيادى وكانت أبرز العوامل التى اعتمد عليها التخطيط العسكرى المصرى فى

هذه المرحلة هو أسلوب تصعيد الإستنزاف . وهل نبدأ فورا بكل الطاقات المتاحة ، أم بالتدريج المتوازن وهل يشمل الاستنزاف جميع مسارح الحرب ، أم نبدأ بمسرح رئيسى ثم ننتقل إلى المسارح الأخرى ، أيضا تم التركيز فى بحث أولويات الأهداف التى يشكل تدميرها مراره للعدو من نوع خاص وقد استقر التخطيط على أن يبدأ تصاعد الاستنزاف بالتدريج وهذا يتطلب فترة انتقالية لمدة ستة شهور يتم خلالها تنشـيط الجبهة بمعدلات مناسبة مع اختيار ردود الأفعال وتحليل النتـائج بأسـرع ما يمكن والاستفادة من عوامل القوة ، وتصحيح مواطن الخطأ وقد تم الاتفاق على أن تبدأ مرحلة « الدفاع النشط » اعتبارا من أول سبتمبر عام ١٩٦٨ وعن البحث فى مجال مسارح الحرب .. تم الاتفاق على أن نبدأ بمسرح العمليات البرى أولا حيث يوجد التفوق المصرى فى القوات خصوصا فى مجال المدفعية التى ستشكل عنصر الردع فى بدايه الاستنزاف. ثم الانتقال إلى المسرح البحرى وأخيرا مسرح القتال الجوى وذلك حتى نترك أكبر وقت ممكن لتدريب الطيارين الجـدد الذين تم إلحاقهم بالخدمة بعد ١٩٦٧ ، وإكتسابهم الخبرات المناسبة لمواجهة طيارى إسرائيل « المحترفين »

فى نفس الوقت عكفت القيادات المختلفة فى سرية تامة على اختيار الأهداف، وتصنيف كل هدف، وأسلوب تدميره (بالمدفعية – بالقوات – بالطيران – الخ) وتحديد اسبقيات تدمير هذا الهدف من وجهة نظر هذه القيادة. ثم رفعت هذه الدراسات إلى القيادة العامة لكى تفرزها وتختار منها الأهداف التى تحقق التأثير المناسب فى الوقـت المناسب وهكـذا لم يمضى شهر أغسـطس ١٩٦٨ ، إلا وكانت الرؤية واضـحة تماما أمام القيادة العامة للقوات المسلحة لتنشيط الجبهة طبقا لخطة مدروسة .. وليس نتيجة لردود أفعال كما كان يحدث فى الماضى.

وكان يوم ٨ سبتمبر ١٩٦٨ هو نقطة التحول الرئيسية فى تنشيط الجبهة حيث شكل بداية مرحلة الدفاع النشط التى أرادت مصر أن تبدأها بقوة وتعلن عن نفسها إقليميا وعالميا ، وتصاب فيها القوات الإسرائيلية بأكبر قدر من الخسائر وقد شملت أعمال قتال هذا اليوم على قصفه مدفعيةمدبرة وتحت سترها تدفع داوريات قتال على طول الجبهة ، أما قصفة المدفعية فقد تم تخطيطها مركزيا بحيث تشمل جميع الأهداف شـرق القناة وحتى عمق ٢٠ كيلو مترا شرقا ، وروعى أن تبدأ قبل آخر ضوء بفترة مناسبة ، وتستمر إلى مـا بعد آخـر ضـوء وقـد اشـترك فى هذه القصفه ٣٨ كتيبه مدفعية من مختلف الأعيرة اطلقت نيرانها لمدة ثلاث ساعات متواصلة من الرابعة والنصف إلى السابعة والنصف مساءا

وعاونتها جميع الأسلحة المضادة للدبابات باطلاق نيرانها من الضفة الغربية للقناة على أهداف مرئية على الضفة الأخرى ، واستهدفت هذه القصفات خط بارليف الجارى إنشاؤه بالدرجة الأولى ثم جميع مواقع الصواريخ ٢١٦ مم ، ٢٤٠ مم الذى يستخدمها الجانب الاخر فى التأثير ضد مدن القناة ، وجميع مواقع المدفعية ومناطق الشئون الإدارية ومناطق تمركز الأفراد ، وقد شكلت هذه القصفة تأثيرها على الجانب الآخر حيث شعر لأولَ مرة أن السيطرة النيرانية قد آلت للقوات المسلحة المصرية – وتكبد فيها خسائر جسيمة تلخصت فى تدمير ١٩ دبابه وثمانية مواقع صواريخ وعشرات الدشم ومناطق الشئون الإدارية ومناطق التمركز ، وأسكتت خلالها جميع مدفعيات العدو التى قدرت وقتها بسبعة عشر بطارية مدفعية – فى نفس الوقت اعترفت الكتب الإسرائيلية فيما بعد ذلك بأن خسائرهم فى الأفراد كانت ٢٨ فردا من قتيل وجريح (والحقيقة تخالف ذلك تماما طبقا لأسلوب إسرائيل فى التهوين من خسائرها وعدم ذكر الحقائق)

وكانوا وقتها أى يوم ٨ يوم سبتمبر ١٩٦٨ قد أعلنوا أن خسائرهم جريح واحد (كنوع من الحرب النفسية لاحباط قواتنا) أما الداوريات التى دفعت تحت ستر القصفات النيرانية، قد أدت مهامها بكفاءة وقامت برص الالغام على الطرق الرئيسية والفرعية ، انفجر بعضها فى نفس الليله نتيجة التحركات العشوائية التى قامت بها القوات الإسرائيلية بعد انتهاء القصف المدفعى ولم تجد القوات الإسرائيلية – التى خسرت معظم مواضعها فى هذا القصف طبقا للكتب الإسرائيلية - إلا أن توجه نيران ما تبقى من هذه المدافع ضد المدن على القناة لتصيب بعض الأفراد المدنيين الذين كانوا متمسكين باستمرار تواجدهم فى مدنهم وأعقب قصفه يوم ٨ سبتمبر فترة هدوء نتيجة لتدخلات سياسية استثمرتها قواتنا فى دفع مزيد من الداوريات لوضع ألغام على الطريق الرئيسى شرق القناة ، واستغلتها فى متابعة التغيرات التى يحدثها الجانب الاخر فى مواقعه ، حيث كان مهتما فيها بإعاده بناء ما تهدم فى ٨ سبتمبر ولكنه كان يقابل بنيران أسلحة صغيرة بصورة شبه مستديمة مما أثر على كفاءة إنشاءاته .

وفى ٢٦ أكتوبر ١٩٦٨ تكررت قصفة المدفعية المركزة ، ولكن بصورة أقل حيث اشتركت فيها ٣٢ كتيبة مدفعية أطلقت نيرانها لمدة سبعون دقيقة واستهدفت بالدرجة الأولى تدمير مواقع الصواريخ ٢١٦ ، ٢٤٠مم بعد تحديد مواقعها من خلال الداوريات التى سبق دفعها ومن خلال صور جوية حديثة – وتحت ستر هذه القصفة دفع العديد من الكمائن

لاصطياد الدبابات والمركبات التى تحاول الهروب أثناء القصف .. وقد نجحت هذه القصفة أيضا ، وشكلت للجانب الآخر صورة غير عادية من الإزعاج نتيجة للخسائر التى تكبدها والتى حددها بعد ذلك بانها ٤٩ فردا بين قتيل وجريح علاوه على تدمير الصواريخ.

وحتى نتعرف على تأثير ضرب المدفعية .. فلو تصورنا تجميع من المدفعية بحجم ٥ كتائب – مثلا – أى حوالى ستين مدفعا قام بقصف هدف لمدة خمسة دقائق بمعدل نيران عشرة دانات فى الدقيقة ، ووزن الدانه ٢٠ كيلو جراماً من مادة شديدة الانفجار نجد ان الهدف سقط عليه (٦٠ x ٥٠ x ١٠ x ٢٠) = ٦٠الف كيلو جراما من ماده شديدة الانفجار التى تحمل شظاياها القاتلة فى زمن محدود ولنا أن نتصور حجم التدمير الذى يحدث.

وطبقا لأسلوب الفكر الإسرائيلى الذى تلقى خسائر ليست هينة على جبهة القناة ، واقتنع بأن التفوق آل للمصريين فى المنطقة فقد لجأ إلى توسيع الجبهة وامتدادها إلى مناطق بعيدة جدا حتى يحقق هدفين .

الأول : أن تضطر القيادة المصرية إلى نشر قواتها على مواجهة الف كيلو متر تمثل طول الحدود الشرقية المصرية بالكامل – وبالتالى يتلاشى التفوق المصرى على الجبهة.

الثانى : وضع القيادة السياسية فى مأزق عندما يشعر الشعب بأن إسرائيل إخترقت أعماقه ودمرت أهدافا حيوية دون أن تتعرض لها القوات المسلحة المسئوله أساسا عن تأمين هذا الشعب.

وقد اختارت إسرائيل هدفها فى نجع حمادى ، وفى محطة محولات كهرباء السد العالى بالذات حتى يكون التأثير محسوسا لدى الشعب بالكامل وقد تمت هذه العملية ليلة ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر ١٩٦٨ –من خلال عملية ليلية – أراد بها هدفاً سياسيا / اقتصاديا وليس عسكريا واستخدم فيها طائرات الهليوكبتر (سوبر فريلون) التى كانت إسرائيل قد حصلت عليها حديثا وتم اختيار أفراد القوة الإسرائيلية من المظليين الذين يتكلمون العربية بطلاقة مما أدى إلى نجاح هذه العملية التى كان تأثيرها ضعيفا ولم تحقق الهدف السياسى التى خططته إسرائيل نتيجة الذكاء الفطرى لدى الشعب المصرى الذى استشعر الهدف من هذه العملية.

أما على الجانب السياسى / العسكرى المصرى فقد أعيد تقييم الخطط العسكرية وتهدئة الأوضاع على الجبهة – إلا من الاشتباكات بالأسلحة الصغيرة وإطلاق حرية قنص الأفراد لمنعهم من التحركات على طول الجبهه مع تكثيف دفع داوريات الاستطلاع للحصول على أكبر قدر من المعلومات للمرحلة القادمة ، اما فى عمق الدوله فقد تم اتخاذ العديد من إجراءات التأمين من خلال وحدات الدفاع الشعبى على مستوياتها المختلفة.

الفصـــل الثامن

عمليـات القـوات البـريـة

مقدمـــة :

طبقا للتخطيط المصرى .. كان شهر فبراير عـام ١٩٦٩ يمثـل نهاية الشهور الستة المحددة كمرحلة انتقالية بما كان يطلق عليها مرحلة الدفـاع النشط - وجـاء شـهر مارس ١٩٦٩ ليشهد أهم مراحل التصعيد العسكرى ما بين الجولتين الثالثة والرابعه فى الصراع العربى الإسرائيلى.

وقد أديرت هذه المرحلة سياسياً ، وعسكرياً بتنسيق متكامل لتحقيق الهدف منها والتوازن فى التصعيد والتهدئة وتحد نهائيا من حرية العدو على الضفه الشرقية للقناة ، وأرهاقه وإحداث أكبر خسائر به ، وتدمير خط بارليف الدفاعى ، مع إجراء تطعيم لأكبر عدد ممكن من وحدات القوات المسلحة للقتال من خلال معارك رئيسية ، أو أعمال قتـالـية حقيقـيـة وهـذه المـرحـلة التـى امـتـدت لحـوالى الخـمسمائه يوم (مارس ٦٩ - ٨ اغسطس ٧٠) كانت طويله وشاقه أكثر من أى جولة من جولات الصراع العربى الإسرائيلى بل إنها تعتبر أطول جولة فى تاريخ هـذا الصراع وتمت خلالها الأعمال القتالية بصورة مستمرة وبمعدلات آداء ناهزت من ١ - ٢ قصفة مدفعية يومية وصلت فى بعض الأحوال إلى ٤ - ٥ قصفة وصاحبتها أعمال قتاليه أخرى كما نـفذت تراشقات بالاسـلحة الصغيرة وأسلحة الضرب المباشر (دبابات وأسلحة مضادة للدبابات) بمعدل ١٠ -٢٠ اشتباكاً يومياً كذلك كان يتم دفع ٢-٤ داورية أو كمين فى قطاع كل تشكيل يومياً ، ويتنفذ ١-٢ عمل قتالى تعرضى بالقوات أسبوعياً فى قطاع كل جيش وربما يضطرنا التحليل المنطقى لهذه المرحلة تقسيمها إلى مراحل زمنية طبقا لطبيعة الصراعات العسكرية من وجهة نظر التصعيد والتهدئة.

القسم الأول: عمليات الجيوش الميدانية فى حرب الاستنزاف

المرحلة الأولى :

بدأت المرحلة الأولى صباح يوم ٨ مارس ١٩٦٩ وامتدت إلى ١٩ يوليو من نفس العام وتتميز بسيطرة مطلقة لقواتنا على خط الجبهة وتم خلالها فشل النظام الدفاعى للعدو ، وكانت المدفعية هى الوسيلة الرئيسية للعمل خلالها حيث صبت على حصون بارليف والأهداف الأخرى حوالى ٤٠ الف قذيفة بادئة أعمالها يوم ٨ مارس بأكبر حشد نيرانى مؤثر استمر لمدة خمسة ساعات متواصلة بنيران ٢٤ كتيبة مدفعية ، يعادلها حشد من أسلحة الضرب المباشر بالمدافع المضادة للدبابات ، والدبابات الثقيلة عيار ١٢٢ مم لتدمير دشم خط بارليف وقد أحدثت هذه القصفة تأثيراً شديداً على الطرف الآخر القابع شرق القناة حتى وصل حجم الخسائر المنظورة الى تدميرحوالى ٤٩ دشمة فى خط بارليف وإسكات٢٠ بطارية مدفعية ، وحرائق شديدة فى ستة مناطق ادارية ، وغيرها ٠

استشهاد الفريق عبد المنعم رياض:

كعادته فى متابعة الموقف على الطبيعة ولتواجده مع جنوده باستمرار .. أراد الفريق عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة – وقتها – أن يقف على تأثير قصفه النيران التى افتتحت بها مرحلة الاستنزاف ، وأن يشد على أيدى الرجال ويقف على حقيقة شعورهم فى بداية هذه المرحله وبدأ جولته فى قطاع الجيش الثانى بصحبة اللواء عدلى سعيد قائد الجيش الثانى واللواء عبد التواب هديب مدير المدفعية حيث تفقدوا قطاع القنطرة وأطمأنوا على الروح المعنوية ، وشاهدوا تأثير التدمير فى خط بارليف ، وكانت المحطة التالية للزيارة هى منطقة الشط فى قطاع الجيش الثالث لكن الفريق رياض طلب أن يشاهد

النقطة نمرة ٦ شرق الإسماعيلية لما سمعه عن تحصينها، وهنا بادره قائد الجيش بأن موقع هذه النقطة قد يشكل خطورة نظرا لإرتفاع مواقع العدو وسيطرته على الضفة الغربية للقناة .. وهنا غضب الفريق رياض وقال انا جندى كأى مقاتل على هذه الجبهة ، وبما أننا نطالب المقاتلين العيش فى هذه النقطة المتقدمة فلا بد أن نكون معهم ولا ننفصل عنهم . وفعلا توجه الركب ، وتمت الزيارة ، وبدأت عودة الفريق رياض فى اتجاه العربات الواقفه خلف ساتر .. وفى هذه اللحظة انطلقت دانات من مدفعية العدو ، سقطت واحدة منها بالقرب من مجموعة القيادة وأصابتهم جميعا حيث استشهد الفريق رياض أثناء إخلائه ، بينما كانت إصابة قائد الجيش ومدير المدفعية أقل قليلا وتم شفاؤهم والحمد لله .

وقد كان لاستشهاد الفريق رياض وقعا شديداً فى جميع أنحاء مصر والعالم العربى وأبدى الشعب شعوره الحقيقى أثناء الجنازه وطالب بالانتقام وتأصلت فى داخله إن ما أخذ بالقوة لايسترد بغيرها . أما على مستوى القوات المسلحة فقد تم الانتقام وتكررت قصفة المدفعية بصورة أشد من يوم ٩ مارس ، وتم الإعداد لأعمال خاصه للثأر ونظرا لكثرة الخسائر التى تكبدها الجانب الإسرائيلى فقد تم إحلال الوحدات التى تدافع عن خط بارليف ، بوحدات مظلات احتياط لديهم الخبرة فى مجابهة مثل هذه المواقف التى قدر لها أن يستمر اشتعالها لفترة طويلة قادمة ، كما ضاعفت حجم القوات التى تحتل الحصون لتصبح بقوة حوالى سرية مدعمة (من ٧٠ –١٠٠ فرد) لكل حصن ، مع تجميع الأفراد ليلاً فى النقطة القوية الرئيسية فقط لتأمينهم ضد إغارات قواتنا ولم يكد يمر يومان حتى اصطادت مدفعيتنا رتلا مكون من ١٣ عربة تحمل ذخائر للعدو ، فأصابتها إصابات مباشرة وتركت هذه العربات تنفجر لمدة يوم كامل دون أن يجرؤ أحد من الاقتراب منها .

ثم بدأت الأعمال التعرضية بالقوات يوم ١٣مارس وكان هناك حدثان متضادان فى منطقة واحدة حيث بدأت إغارات قواتنا لتدمير مواقع العدو وكان الهدف نقطة جنوب البحيرات ، والقائم بالإغارة هى إحدى وحدات الصاعقة التى نجحت فى مهمتها ودمرت النقطة وخطفت أسيراً وأصابت دبابتين وأحضرت عينات من أسلحة وألغام العدو.

وفى نفس الوقت كانت القوات الإسرائيلية تقوم بمحاولة إنزال قوارب والإغارة على منطقة قريبة فى منطقة جنوب البحيرات حيث قوبلت بنيران شديدة أفشلت محاولته واستمرت الاشتباكات بالنيران طوال الليل ولم تجد القوات الإسرائيلية وسيلة للرد سوى

قصف مدن القناة ، وقصف قطار السكة الحديد فى مساره بين الإسماعيلية والسويس فى منطقة الشلوفه •

واستمرت **قواتنا** فى تصعيد أعمالها القتالية حتى كان يوم ١٧ ابريل ٦٩ حيث نفذت قوات الجيش الثانى الخطة هدير بتوجيه مدافع الدبابات الثقيلة الى مزاغل دشم خط بارليف لتخترقها وتفجر الدشم من الداخل وتقتل الأفراد المتحصنين بها ، وقد نجحت الخطة تماماً ، مما أدى الى تطاير تصريحات وزير الدفاع الإسرائيلى الجنرال موشى ديان مهدداً القوات المصرية والتى لم تعبأ بتهديده ولكنها أعادت الإغارة على نقطة جنوب البلاح لتدميرها ، وكان الرد الإسرائيلى متوقعا ، حيث أغار يوم ٢٩ إبريل ١٩٦٩ على محطة محولات نجع حمادى (للمرة الثانية) وأسقط عبوات ناسفة زمنية قرب ادفو أصابت بعض المدنيين الأبرياء وكالعادة أقامت إسرائيل الدنيا ولم تقعد فى وصف دعائى لهذه العملية التى نفذت بواسطة مظليين اقتربوا من الهدف بطائرات هيلكوبتر . وكان الرد المصرى ، مباشراً وسريعا وفى الليلة التالية مباشرة بالإغارة على نقطة جنوب البلاح ونسفها تماما وتوقفت الإغارة المعاديه على نجع حمادى الذى لم تكن سوى مجرد عمل عسكرى ولكن يقصد به هدفاً سياسيا كرسالة توجه إلى الرئيس عبد الناصر قبل إلقائه خطاب أول مايو فى مناسبة عيد العمال وخرجت جريدة الجيرو ساليم بوست «الإسرائيلية » تحمل تعليقا – بأن الليلة السابقة كانت تستهدف الترويع أكثر مما استهدفت التدمير .

فى نفس الوقت حمل خطاب الرئيس عبد الناصر فى عيد العمال أن مصر لم تعد تعترف أو تتمسك بوقف إطلاق النار الذى بدأ بعد حرب يونيو ٦٧ وصرح بأنه تم تدمير حوالى ٦٠٪ من خط بارليف بالنيران المصرية ، وأن الجيش المصرى انتقل الآن من مرحلة الدفاع النشط الى مرحلة التحرير وان حرب الاستنزاف الآن هى حرب ثأريه وفى أعقاب هذا الخطاب تصاعدت خطة الاستنزاف لمنع العدومن إعادة إنشاء خط بارليف او تعلية السواتر الترابية، وتكرر تدمير الدشم باسلوب الضرب المباشر من الدبابات ، وبدأ التوسع فى نيران القناصة، وسمح للمتطوعين المصريين من المدنيين فى الاشتراك لقنص العدو على الجبهة وتشجيعاً لهم فقد تم وضع جدول حوافز القنص والذى يتدرج من المكافآت المادية الى حمل الأوسمة وكان لابد من الرد على غارات العمق الإسرائيلية ، حيث تمت الإغارة على مستعمرة سيدوم جنوب إسرائيل بواسطة منظمة سيناء الفدائية ووجهت لها نيران الصواريخ الكاتيوشا حيث أصابت مصانع كيماوية المستعمرة.

تصاعد الاستنزاف من كلا الى الجانبين :

خلال شهر يونيو ويوليو تصاعدت الإغارات من الجانبين فبينما نفذ الجانب الإسرائيلى خمسة إغارات استهدف فيها مواقع منعزلة على ساحل خليج السويس والبحر الاحمر كان أهمها الإغارة على الجزيرة الخضراء شمال الخليج والتى قادها الجنرال رفائيل ابتان ضد موقع الرادار فى الجزيرة وفى هذه الاغارات بالذات أبدت القوات المصرية المدافعة جسارة نادرة شهد لها الاعداء قبل الاصدقاء لدرجة أن قائد الموقع – لما شاهد نجاح القوات الاسرائيلية فى الوصول الى الجزيره – طلب من المدفعية المصرية قصف الجزيرة بالكامل بما فيها من إسرائيليين ومصريين وفعلا فشلت الإغارة وتكبد الإسرائيليون خسائر كبيرة أجبرت الجنرال ابتان على الانسحاب وفى المقابل فقد شنت قواتنا ستة إغارات ناجحة على نقط العدو القويهةتم خلالها إحداث تدمير وخسائر فى نقطتى شمال البلاح والشط ، اما الاغارة على نقطة لسان التمساح (شرق مدينة الإسماعيلية) وهى النقطة التى التى أصابت الشهيد الفريق عبد المنعم رياض – فكانت هى الثأر المدبر من القوات الخاصة بقيادة المقدم ابراهيم الرفاعى حيث أغارت هذه القوات – المدربة على أعلى ستوى ليله ٨/٧ يوليو ٦٩ قتلت وأصابت حوالى ٣٠ فردا للعدو ودمرت دبابتين ونسفت أربعة دشم ، وقد خسرت هذه لقوة تسعة شهداء ، أما الإغارة الاخرى التى أصابت القيادة الإسرائيلية بآلام شديدة فكانت هى الاغاره على نقطة لسان بورتوفيق ليلة ١١/١٠ يوليو ١٩٦٠ متزامنة مع توقيت إغارة أخرى لنسف النقطة القوية (شمال الإسماعيلية) وقد نتج عن إغارة لسان بورتوفيق قتل وجرح ٤٠ فردا وتدمير خمسة دبابات وأربعة دشم والحصول على أسير دون أن تتكبد قواتنا أية خسائر.

كانت نتائج هذه الاغارات أليمة على العدو لذلك قرر إدخال الطيران الإسرائيلى للمعركة. حدث تغير جزرى فى خطط إسرائيل لمجابهة الاستنزاف المصرى والتصعيد بالاستنزاف المضاد الى مرحله اكثر شمولاً بإدخال الطيران الإسرائيلى (ذراع إسرائيل الطويله فى المعركه) . ويقول ، زيفى تشيف ، المحلل الإسرائيلى فى كتابه عن حرب الاستنزاف ،الفانتوم فوق النيل ، أن عمليه لسان بورتوفيق هى التى أنهت الجدل داخل أروقة القيادة الإسرائيلية حول حتميه تدخل الطيران فى المعركه ويضيف لقد كان هذا النجاح هو أبرز ما حققه المصريون ، ومن الواضح انه كان سيحفزهم إلى نشاط أكبر لامناص عن إيقافهم عنه بسرعة ، كما ذكرت صحيفة وقتها نقلا عن المتحدث العسكرى الإسرائيلى أمام

الضغط الهائل الذى مارسه المصريون فى الجبهة ، والحياة التى أصبحت لاتطاق على الضفة الشرقية للقناة أقدمت القيادة الإسرائيلية على استخدام الطيران الذى كانت كل الأراء تصر على الاحتفاظ به للمستقبل وقد مهدت القوات الإسرائيلية لدفع الطيران بمحاولة التخلص من الرادارات المصرية ونقط المراقبة الجوية ، لذلك كان القصف الجوى ضد وحدة الرادار المصرية فى الاردن يوم ٢٢ أبريل ١٩٦٩ ، كذلك كانت إغارة الجزيرة الخضراء وإغارة الأدبية ضد نقطة مراقبه جوية منعزلة.

المرحلة الثانية فى حرب الاستنزاف « ٢٠ يوليو - ديسمبر ١٩٦٩ »

واعتباراً من ٢٠ يوليو ٦٩ بدأت المرحلة الثانية من حرب الاستنزاف بالتوسع فى استخدام الطيران الإسرائيلى واتساع مجالات المواجهة ليشمل مسارح العملية بالكامل بعد أن إقتصرت على المسرح البرى ، خلال الفتره السابقة .. وقد افتتحت إسرائيل هذه المرحلة التى امتدت حتى نهاية عام ١٩٦٩ - بتنفيذ الخطة « بوكسير » التى تتلخص فى تنفيذ ٥٠٠ طلعة طائرة تقصف ٢٥٠٠ قنبله طيران بإجمالى ٥٠٠ طن على أهداف منتخبة خلال عشرة أيام وهى مواقع الدفاع الجوى ، والرادارات ، ومواقع المدفعيات ، والقوات فى الجبهة وكان من الطبيعى أن تتعدل الخطط المصرية بناءا على هذا التغيير - وقد اتى هذ التعديل من منطقة افشال الاستنزاف المضاد والرد على العمق بالعمق ، والغارات الجوية بغارات مثلها.. وفى كل الاحوال كانت التعليمات المشددة بان يكون الاهداف التى تهاجمها القوات أهدافا عسكريه فقط ، وقد شهدت هذه المرحلة مباريات فى السرعه بين وحدات المدفعية المصرية التى لم تتوقف عن تنفيذ مهامها القتالية المخططة وبين الطيران الإسرائيلى الذى عمل كمدفعية مضادة طائرة.. وقد تأكد السبق للمدفعية المصرية حيث نفذت مهامها من مواقع حصينة وبإخفاء جيد وبتكتيكات متطورة.. كذلك كانت هناك مباريات سرعة بين الطيران الإسرائيلى والعمال الذين يبنون مواقع الصواريخ استخدم فيها الفكر المصرى جميع وسائل الابتكار والخداع وتأمين الافراد حتى تتم هناك الإنشاءات دون تأخير وصدرت التعليمات وقتها إلى التشكيلات والوحدات فى الجبهه بإنشاء مواقع صواريخ ميدانية ووصل الحد بان تكلف الوحدة بالانشاء كمهمة قتالية حتى نضمن التنفيذ الدقيق فى الوقت المحدد وقد تم ذلك فعلا ويتفاخر رئيس الأركان الإسرائيلى الجنرال حاييم بارليف بأنه خلال الفتره من ٢٠ يوليو حتى ٧ سبتمبر ١٩٦٩ نفذت الطائرات الإسرائيلية ١٠٠٠ غارة لإجبار مصر

على نشـــر قواتها وتخفيف الحشد فى جبهة القناة ولكنه لم يذكر النتيجة فى أن مصر استوعبت هذه الغارات ولم تتأثر بها بل صعدت أعمالها القتالية .

ففى ليلة ١٠/١١ اغسطس ١٩٦٩ تم تنفيذ إغارتين قويتين على نقطتى الدفرزوار والفردان فى وقت واحد تكبد العدو خلالها خسائر جسيمة واكتشفت القوات المصرية ان أفراد العدو تخلى بعض النقط القويه ليلا – وما كان منها الا أن سارعت بنسف هذه النقط من جذورها حتى لايقوم العدو بإعاده إنشائها وتم ذلك فعلا فى شمال الشط ، وجنوب التمساح والقرش وجنوب البلاح وغيرها ونجحت قـــواتنا فى إصــــابه واســـقاط العديد من طائرات العدو ، وأسرت طيار ميراج ســـقط بطائرته فى منطـقه شـمال القنطره وقـــد رد العـــدو على هذه العمليات بإغـارة بالنيران ليله ٢٧/٢٨ اغسطس على معسكر منقباد (اسيوط) وذلك خلال نقل بعض الهاونات بطائرات الهيليكوبتر . دون ان تحدث ايه خسائر أما العمليه التليفزيونيه التى نفذها العدو ، وقام بتصوير دقائقها ووزعها على معظم المحطـات العالميه فهى إنزال ســرية دبـــابات (ت ٥٥ من مخلفات حرب يونيو ٦٧) فى منطقه أبو الدرج على ساحل البحر الأحمر – ثم اتجهت جنوبا إلى الزعفرانه ، مدمرة كل الاهداف والسيارات المدنية التى اعترضت طريقها ، مستغله ان المنطقه خاليه تماما من أية قوات عسكرية سوى بعض نقاط المراقبه التى حرصت على تهديدها قبل بداية الانزال .. وقد خططت إسرائيل بعيدا لهذه الاغارة وسترت أعمالها بعدد ١٥٨ طلعه جويه ونظمت خطة خداع كاملة قبل تنفيذها بيومين كاملين وأمنت لها نقاط الابرار ســـواء النزول أو العودة بواسطة مظليين وقادها الجنرال ابراهام ادان المشهود له بالكفاءة.. وقد نجحت الإغاره دعائيا ولكن لم يكن لها مردود عسكرى . لان القيادة المصرية كانت تعلم جيداً الهدف من هذه العمليات ، وهو تشتيت القوات المسلحة ، وتفريغ جبهـــة القناة من التفوق على العـــدو أمامها .

وكان الرد المصرى على هذه العمليات حاسماً حيث نفذت أول هجمة جوية منظمة منذ حرب يونيو ٦٧ . بقوة ستون طائرة اختيرت لها أهدافاً فى العمق البعيد حتى تفاجأ القوات الإسرائيلية – الآمنه – فى تلك المنطقة ، ونفذت الطائرات ضربتها بقوه وحسم ظهر يوم ١١ سبتمبر ٦٩ وعادت جميعها سالمه والحمد لله ، ثم أغارت وحده خاصة على موقع منعزل بمنطقه مصفق (٨٥ كم شرق القناه على طريق الساحل) ودمرته وقتلت كل من فيه وبمرور الأيام وتصاعد أعمال الاستنزاف والتى أطلق عليها فى بعض الكتب حرب الإرهاق

كان عـود المقاتل يشتـد ، والحاجزالنفسى يتحطم وقد انعكس ذلك على أعمال قتـال الربع الأخير من عام ٦٩ ، حيث كان ساحلى البحر الأحمر وخليج السويس (الشرق والغرب) هما مسرح العمليات لمعظم الأعمال القتالية.

نفذت قواتنا الخاصة الرد على عملية الزعفرانه أول أيام شهور أكتوبر١٩٦٩ بعملية كبرى ، للرد على إنزال العدو فى الزعفرانه فى الشهر السابع حيث ابرت قوة من المجموعة ٣٩ عمليات خاصه بحراً وجواً فى منطقه رأس ملعب وتقدمت على الطريق الساحلى فى هذه المنطقة حتى رأس مطارمـه وقامت بنسف جميع الأهداف العسكريه ثم نسف الطريق نفسه ، وضع الغام وشراك خداعية فى بعض المناطق وعادت القوة سالمه وقد انفجرت هذه الالغام فى القوات التى هرعت للنجده فيما بعد انسحاب القوة ثم كان الهجوم على النقطة القوية فى الدفرزوار ليله ٣/٤ اكتوبر والتى تكبد فيها العديد خسائر كبيرة من خلال قتال متلاحم يصفة زيف تشيف فى كتابه بأنه ، كان قتالا يداً بيد ، ولم يكن العدو صامتا خلال هذا الشهر ولكن كرر محاولاته فى البحر الاحمر من خلال عمليات محدودة لم يكن لها تأثير بذلك وتمت على هيئة إغارات وكمائن فى أبو الدرج رأس شقير.

كمائن نهارية بدلا من الليلية

وفى شهر نوفمبر وديسمبر تملكت قواتنا زمام المبادرة مرة أخرى وتوسعت فى أعمال الكمائن النهارية نتيجة لقيام العدو بايقاف التحركات الليلية تفاديا للكمائن التى تنصبها قواتنا لعناصره والتى دمرت الكثير جداً من قواته المتحركة . واقتصرت تحركات العدو على فترة النهار فقط . ولم يقف هذا الأمـر حائلا أمام تنفيذ الكمائن لمهامـها .. وقد تم تنظيم عمل الكمائن بحيث تعبر فى الربع الأخير من الليل وتختفى تماماً فى منطقة عملها .. وتزيل آثار تحركاتها لأن داوريات العدو كانت تمسح الشاطئ الشرقى للقناة فى أول ضوء بحثا عن آثار عبور قواتنا وعندما يصطاد الكمين فريسته يعود مباشرة تحت ستر نيران مدفعيتنا التى تكون جاهزة باستمرار لمعاونته أما فى حاله عدم مرور عناصر العدو فى منطقة الكمين فيعود تحت ستار الليل ، ويستبدل بكمين آخر وهكذا وقد نجحت ٣ كمائن لقواتنا من تنفيذ مهامها خلال شهر نوفمبر فى منطقة الشط والجباسات وجسرالحرش .

الاغارات المشتركة والتمسك بالأرض :

شهد شهر ديسمبر أعمالاً قتالية مطورة حيث تمت إغارة مشتركة على نقطتى شمال وجنوب جزيرة البلاح فى وقت واحد يوم ٦ ديسمبر وقامت القوة التى كانت تقدر بحوالى

مجموعة كتيبة مشاة باحتلال الضفة الشرقية للقناة بعد تدمير جميع أهداف العدو واحتياطياته المحلية ومنطقة شئونه الإدارية ، وتمسكت بالأرض ، وطلب قائد الجيش الثانى استمرارها فى مواقعها على أن يتولى الجيش تأمين أعمال قتالها ولكن وزيرالحربية أمربعودة القوة حتى لا تحيد عن أهداف تخطيط حرب الاستنزاف .. وفعلا عادت القوة بعد آخرضوء يوم ٧ ديسمبر بعد أن قامت بتثبيت العلم المصرى على المنطقة الشرقية ، والذى ظل مرفوعاً تحميه نيران قواتنا من الشاطىء الآخر حتى إيقاف إطلاق النيران.

أسر أول ضابط اسرائيلى من القوات البرية :

فى يوم ١٤ ديسمبر أضيف نجاح آخرلقوات الجيش الثانى حيث تمكن كمين نهارى من إحدى وحدات الجيش فى الساعة الخامسة من تدمير عربة جيب متقدمة على الطريق وقتل أربعه أفراد بها وأسر أول ضابط إسرائيلى فى حرب الاستنزاف (النقيب دان افيدان) وقد حمله الجنود وعادوا به الى الضفه الغربيه نظرا لاصابته ، وكان وزنه ١٣٠كيلو جرام وهو ينتمى لاسرة رئيسة الوزراء وقتها السيدة جولدا مائيرا – وكانت أول صرخه من هذا الاسير هى « أنا ما ليش دعوه بالحرب انا ضابط كانتين » .

نتائج مرحلتين من الاستنزاف :

وانتهى عام ١٩٦٩ والقوات المسلحة المصرية متماسكة تماماً وقد نفضت يدها من الحاجز النفسى الذى كونته نتائج حرب ٦٧ وتخطت حاجز الخوف من العدو وانكشف الجيش الإسرائيلى أمامها تماما ووضحت حقيقته بأنه جيش يمكن قهره وأن أفراده أشخاص عاديون تماما ومجهودهم أقل كثيراً من جهود المقاتل المصرى وهذا هو سرنجاح مراحل الاستنزاف حتى الان فى تحقيق أهدافها حيث كانت العمليات البريه الايجابيه الناجحه خلال عام ١٩٦٩ هى ٤٤ عملا ايجابيا (اغارة / كمين) تنفذ منها (٥) فى عمق العدو ، بينما نفذ العدو ٢٨ عملا إيجابياً منها ١٦عملا فى العمق (الصعيد والبحرالأحمر) .

المرحلة الثالثة من الاستنزاف ١ يناير – ٨ أغسطس ١٩٧٠

كان واضحاً أمام القيادة الإسرائيلية أن مراحل الاستنزاف المضاد لم تأتى ثمارها ولم تتمكن من تحقيق أهدافها ، أن الشعب المصرى لم يثور على قيادته ، ولم تتشتت القوات

المصرية فى الجبهة لمواجهة أعمال الاستنزاف الإسرائيلية فى عمق الصعيد والبحر الأحمر لذلك كان لابد من التفكير فى الدخول فى مرحلة جديدة للاستنزاف يكون الهدف منها استخدام القوات الجوية (ذراع إسرائيل الطويلة) بشكل أفضل ، وكثافة مناسبة مع قصف العمق المصرى لزيادة الضغط على الشعب المصرى ودفعه إلى الثورة على قيادته لإيقاف حرب الاستنزاف.. قد كان مهندس هذه العملية هو الجنرال عيزرا وايزمان مدير العمليات برئاسة الاركان وقتها وتم التصديق عليها ، وقد بحث وقتها عن ردود فعل كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة عند تصعيد القصف الجوى واستقر الرأى على أن كلتا الدولتين لن يكون لها ردود حادة والاحتمال الوحيد هو تصعيد الاتحاد السوفيتى لإمداداته بالسلاح ومساعدة مصر وفى السادس من يناير وافقت لجنة الدفاع والأمن بمجلس الوزراء الإسرائيلى على قصف العمق المصرى لوقف حرب الاستنزاف من جهة وإضعاف نظام الرئيس عبد الناصر أو الإطاحة به من ناحية أخرى وهكذا انتصر الصقور فى إسرائيل فى فرض إرادتهم وتصعيد الموقف إلى أقصى أبعاده برغم نصائح الأخرين الذين كانوا مصرين على ضرورة التهدئه حتى لايتضح للرأى العام العالمى أن جولة يونيو٦٧ لم تكن الحرب التى أنهت كل الحروب على نحو ما رددته الدعايه الصهيونية وقتها ثم أن الواقع قد كشف بمافيه الكفاية عن صمود الجيش والشعب المصريين وتزايد الإصرار على استمرارالتصعيد ، ومواصلة حرب الاستنزاف بل أن محللى فترات الحرب لاحظوا أن محورالرسم البيانى للتصعيد فى صالح الجيش المصرى وهذا فى حد ذاته خطر على استمرارها وقد حسبت فى القيادة الإسرائيلية مقارنات بين ما فعلته الولايات المتحدة فى فيتنام وما تخططة إسرائيل لضرب عمق مصر ولو أن هذه المقارنة لا تمت للحقيقة بصلة الا أنها نوقشت فى الأركان العامة حيث طرحت.

ثلاثة بدائل لحسم تلك المشكلة ملخصها كالآتى :-

* استئناف العمليات الواسعة والاستيلاء على شريحة من الضفة الغربية للقناة فى منطقتى الاسماعيلية والقنطرة .
* الاقتصار على عملية محـــدودة للاستيلاء على المنطقة بين بورسعيد والقنطرة (رقبة الوزة)
* الاعتماد على القوات الجوية فى تصعيد العمليات الهجومية ، مع إطلاق يدها فى عمق مصر.

وقد رأت القيادة السياسية أن البديل الأول والثاني يحملان خطراً على الجيش الإسرائيلي وعلى موقف إسرائيل من القوتين الاعظم ومن الرأى العام العالمي لذلك فالبديل الثالث أفضل وقد تلقف الجنرال وايزمان هذا التصديق ، ورسم ثلاثة بدائل للتصعيد ملخصها كالآتي :

* شن حرب جويه شاملة ضد أهداف مدنية وعسكرية دون التقيد بوقت زمني ، وحتى ترضخ مصر لايقاف حرب الاستنزاف.

* شن حرب جوية (لمدة ٢ – ٣ أسبوع) تتصاعد في مراحل متتالية وتهاجم أهداف مدنية وعسكرية حتى تضطر القيادة المصرية لإيقاف حرب الاستنزاف

* قصر أنشطة الطيران الإسرائيلي على عدد محدود من الاهداف العسكرية ، طبقاً لتطوير الموقف ، وقد استقر الرأى أولاً على البديل الثالث ولكن سرعانً ما تغير الأمر ليطلق يد الطيران الإسرائيلي لمهاجمة أهداف مدنية وعسكرية مع ظروف الحصول على تصديق مسبق لكل إغارة من وزير الدفاع الإسرائيلي ورئيسة الوزراء.

وقد بدء تنفيذ الخطة بريما اعتباراً من فجر يوم السابع من يناير ١٩٧٠ بطلعة جوية فوق سماء القاهرة تخترق حاجز الصوت وتحدث فرقعة شديدة لتعلن عن بدء مرحلة جديدة من تصعيد حرب الاستنزاف – وقد شدت هذه المرحلة انتباه المعسكر الشرقي والمعسكر الغربي في آن واحد حيث تشترك الطائرات الأمريكية الحديثة من طراز فانتوم والتي حصلت عليها إسرائيل ودخلت الخدمة فعلا اعتباراً من شهر سبتمبر ١٩٦٩ – وأيضاً لوجود تشابه بين نظام الدفاع الجوي المصري الجاري إنشائه في هذه المرحلة ، ونظام الدفاع الجوي لحلف وارسو واشتدت المراقبة لما يمكن أن تطرحه الملحمة الدائرة بين الطائرات الإسرائيلية والصاروخ المصري .

واستمر القصف الجوي العنيف من الطائرات الإسرائيلة طوال الأربعة الأشهر الأولى عام ١٩٧٠ بكثافة شديده وبشكل متقطع تختار فيه القيادة الاسرائيليه أهدافها طبقاً لمحاور ترى من وجهة نظرها – أنها ستؤثر على الرأى العام المصري – فمرة كانت تختار أهداف على محور ثم تنتقل إلى محور آخر وهكذا فقد بدأت بقصف أهداف عسكرية على محور القاهرة / والسويس أعقبها بعد يومين مهاجمة أهداف في منطقة دهشور وحلوان وحوف ، ثم انتقلت إلى الهايكستب وفي جميع الأحوال فإن مهاجمة أهداف في الجبهة

كان يتـم بصورة يومية وبكثافة شديدة حتى وصل إجمالى القصف إلى ٣٨٣٨ طلعة جوية خـلال الأربع أشهر الاولى من عام ١٩٧٠ ، أستغرقت ١٦٨ ساعـه ، ١٧ دقيقه ، نفذت خلالها إسرائيل ٣٦ غارة جوية فى عمق الدولة ، والباقى على طول الجبهة ، واستخدمت فيها إسرائيل بالدرجة الاولى طائرات الفانتوم السكاى استمرت طوال تلك الفترة ، وبدليل تصريحات السيدة جولدا مائير رئيسة الوزراء لصحيفة الفايناتيشال تايمز يوم ٦ / ٧ / ١٩٧٠ بأن طائراتها تسقط الف قنبلة على المصريين يومياً ويدلل التحقيق الصحفى لجريدة النيوزويك الأمريكية بأن إسرائيل قررت أعطاء الاولويه للحرب النفسية ، وأن الهدف من تلك الحرب مزدوج إذ يرمى أولا إلى إيصال ويلات الحرب للشعب المصرى ، كما يرمى ثانيا إلى تقويض دعائم الزعامة السياسية وخلق الانقسامات حولها.

وعموماً ، فقد كان القصف الجوى فى منتهى العنف ، وقد وصف الاستاذ محمد حسنين هيكل ، وهو المتحدث الرسمى باسم الرئيس عبدالناصر وقتها تأثيره بأنه حول شكل الصحراء فى جبهة القتال إلى صورة شبيهه بسطح القمر الملىء بالفجوات وتخلل هذا القصف جرائم أخلاقيه تتنافى مع كل المواثيق والعهود الدولية تمثلت فى قصف مصنع حديد أبوزعبل يوم ٢٢ / ٢ / ١٩٧٠ حيث استشهد وجرح قرابة السبعين عاملاً ، ثم قصف مدرسة أطفال بحر البقر فى الثامن من ابريل من نفس العام وفى كلتا الحادثين خرج المسئول الأول عن هذه الجريمة الجنرال موشى ديان وزير الدفاع ، الذى يحدد أهداف القصف يومياً طبقاً للقرار المتخذ فى ٦ يناير ١٩٧٠ فقد خرج فى الحادثة الأولى يعتذر – فى مشهد تمثيل بأن الطائرات أخطأت أهدافها وأن هناك قنابل زمنية يرجو السلطات المصريه لتأمينها حتى لاتصيب مزيداً من العمال وخرج فى الثانية فى مشهد درامى متأثر بقتل الاطفال ، ويرجو القوات المسلحة المصرية أن تبتعد بالأهداف العسكرية عن الأهداف المدنية وهكذا !!!

وعموماً فإن الخطة بريما لم تشكل صعوبات مستحيلة أمام تنفيذ الخطط المصرية للاستنزاف بل أدت الى تسارع هذه الخطط ، وتصاعدها ، وخلق أفكار جديدة لإيلام العدو وإحداث أكبر خسائر فيه.

وعودة إلى أعمال حرب الاستنزاف

خلال هذه المرحلة فقد كانت الغارات الإسرائيلية فرصة لاشتداد عود المقاتلين – حيث لم تتأثر القوات فى الجبهة ، ولم ينهارالشعب من الداخل كما كانت تريد إسرائيل وبدأت المواجهة مع طيران العدو وأصبحت الطلعات الجوية للقصف أو الاعتراض والمعارك الجوية تتم بصورة شبه يومية وتسابق الطيارون - رغم حداثة خدمتهم – للدخول فى معارك حقيقية ضد طيارين محترفين ، وطائرات متفوقه فى نفس الوقت استمرت أعمال قتال الكمائن ودوريات الاستطلاع بنفس معدلاتها السابقه وتصاعدت قصفات المدفعيه بصورة كبيرة للتخلص مما تبقى من خط بارليف أو أى أهداف فى العمق القريب – وتوسعت القناصة فى أعمالها وازدادت المكافآت للقناصين بحيث تحول الشاطىء الشرقى للقناة إلى شبه جحيم.

أما على الشاطىء الغربى فاستمرت مباريات السرعة بين وحدات المدفعية وبين الطيران الإسرائيلى الذى يعمل كمدفعية طائرة واستنبطت عشرات الوسائل لتأمين العمل للقائمين ببناء قواعد الصواريخ حيث يتم البناءفيه فى أقصى سرعة نتيجة تصنيع قطاعات سابقة التجهيز ، وتواجد وسائل الإنذار وحفر وقاية وتكثيف الدفاع الجوى عن القواعد التى يتم انشائها من هنا فشلت معظم غارات العدو التى تركزت على قصف مواقع الصواريخ الجارى إنشائها.

الإغارات المصرية تتفوق على العدو :

بمضى السبعة شهور التالية لم يقم الجانب الإسرائيلى بسوى ثلاثة إغارات فاشلة فى منطقة التية (بين بورسعيد والقنطرة) مستخدمة قوات مظلات وضفادع بشرية فى محاولة لإحراز نصر فى هذه المنطقة وقد كانت المحاولة الاولى ليلة ١٣ / ١٤ مارس تم صدها وإحداث خسائر كبيرة فى القوات الإسرائيلية اضطرها إلى عدم استكمال العملية ، وكانت الثانية ليلة ٢٩ / ٣٠ مارس ونفذتها الضفادع البشرية حيث تعرضت لها قواتنا ولم تمكنها من استكمالها أما العملية الثالثة فكانت ليلة ١١ / ١٢ يونيو حيث نفذت بقوات كبيرة نجحت بعضها فى الوصول للضفة الغربية واشتبكت مع قوات الصاعقة المصرية المدافعة عن هذه المنطقة ودار قتال متلاحم تكبدت خلاله القوات الاسرائيلية خسائر ضخمة اضطرت بعدها إلى الانسحاب قبل أول ضوء . . وتابعتها المدفعية المصرية تدمرها على الضفة الشرقية للقناة.

أما قواتنا فقد توسعت فى أعمال القتال البرية نتيجة لعاملين أولهما الانتقام من غارات العمق الإسرائيلية بإحداث أكبر خسائر فى قوات العدو وثانيهما هو كسر الحاجز النفسى • وتسابق الوحدات والأفراد على الاشتراك فى عمليات العبور التى كانت دائماً تنجح نتيجة للتوقيت السليم والتأمين المتكامل مما منح ثقة مطلقة للمقاتلين فى الاشتراك فيها وقد تم إجراء ١٦ إغارة وكمين ناجح على طول الجبهة علاوة على ثلاثة إغارات فى العمق (الطور وإيلات) وقد كانت جميع الكمائن ناجحة تماماً وأحدثت خسائر فى العدو مما اضطره إلى تحجيم تحركاته إلى أقل قدر ممكن ، بل إن تحركاته أصبحت تتم من خلال مجموعات متتالية ضخمة ومع ذلك فلم تسلم هذه الأرتال من نيران قواتنا ، وكان أهم الكمائن التى أحدثت خسائر كبيرة فى العدو هى كمين نهارى من إحدى تشكيلات المشاة فى المنطقة شمال الشط يوم ١٩ فبراير ١٩٧٠ ، حيث تمكنت من تدمير دبابه وثلاثة عربات وقتل ١٨ فرداً وأسر فردين وكمين شرق الدفرزوار يوم ٢٥ مارس من إحدى وحدات المشاه حيث دمر دبابة وعربتين نصف جنزير وقتل وجرح ١٥ فرداً .

السبت الحزين فى إسرائيل :

وجاء كمين الكمائن فى منطقة رقبة الوزة (شمال القنطرة حتى جنوب بورسعيد) يوم ٣٠ مايو ، وقد خطط هذا الكمين للثأر لأطفال بحر البقر ، واشتركت فيه مجموعة قتال من أحد وحدات المشاة ومجموعة قتال من قوات الصاعقة وقد عبرت هذه القوات برغم حجمها المحدود ليلا واختفت تماماً لاصطياد مجموعات الأجازات للجنود الاسرائيليين والتى تحرسهم قوات مقاتله مكونة من الدبابات والعربات المدرعة ولضمان التنفيذ الجيد فقد تعينت قيادة موحدة للكمينين للتنسيق بين أعمال قتالهما وعند الظهر خرجت على طريق القنطرة متجهة إلى جنوب بورفؤاد مجموعة القتال الإسرائيلية المكونة من ٤ دبابة ، ٤ عربة مدرعة، ٢ أتوبيس أجازات .

والتزم الكمين رقم ١ المكون من عناصر الصاعقة بعدم التعرض لها ويتركها تمر الى أن تصل إلى الكمين رقم ٢ فى منطقة جنوب التية حيث يفتح عليها أقصى معدلات النيران . . وقد تنفذ ذلك تماماً وأصيبت دبابتان وعربه مدرعه وأتوبيس أمام الكمين رقم٢ . . وحاول الجزء المتبقى الهروب والعودة الى القنطرة ليقع فى شباك الكمين رقم ١ حيث انقضت عناصر الصاعقه لتجهز على ماتبقى من القوة . . وقد تم أسر ٢ فرد وتدمرت

الدبابات والعربات وقتل وجرح حوالى ٣٥ إسرائيلى حيث أطلق على هذا اليوم السبت الحزين فى إسرائيل . . وكان الرد الإسرائيلى عنيفا والذى استمر حوالى ٤٨ ساعة قصف شبه متواصل على مواقع القنطرة ورقبة الوزه ، ولكن والحمد لله – لم يحدث أى خسائر ذات أثر على قواتنا بل أعطاها مزيداً من الثقه نتيجة للمقارنه بين شدة القصف وندرة الخسائر .

أما الإغارات فقد تعددت سواء فى أسلوب التنفيذ أو نوعية المهام . . فقد تنفذت غارة بالقوات الخاصة ليلة ٢٥ ، ٢٦ مارس ١٩٧٠ لتدمير مواقع صواريخ الهوك المعادية (صواريخ دفاع جوى) فى منطقة شرق البحيرات كرد على قصف العدو لقواعد الدفاع الجوى . . وإغارة أخرى ليلة ٢٥ ، ٢٦ ابريل فى منطقة الشط قامت بها مجموعة قتال من إحدى وحدات المشاه كرد على قصف العدو لمدرسة بحر البقر وقتلت وجرحت حوالى ٣٥ فرد ودمرت دبابتين وعربتين مدرعتين أما إغارات العمق فقد نفذت فى منطقة الطور بجنوب سيناء مرتين فى ٢٧ من فبراير والثانى من مايو وقد تمت الاغارتين من خلال إبرار بحرى وجوى حيث دمرت الاهداف العسكرية فى المنطقة .

القسم الثانى : عمليات منطقة البحر الأحمر العسكرية

بدأ **التصعيد** على هذا الاتجاه مع بداية عام ١٩٦٩ وخلال معارك حرب الاستنزاف وقد اهتمت المنطقة بتأمين مناطق حقول البترول والساحل الغربى لخليج السويس من جنوب جبال البحرية والساحل الغربى للبحر الاحمر وجنوبا حتى مدينة القصير مع التقيد بالاستطلاع والتفتيش المستمر لطرق الاقتراب المؤدية الى وادى النيل غربا.

وقد تلخصت الأحداث وأعمال القتال فى العمليات الرئيسية التالية خلال معارك حرب الاستنزاف :

* **ففى خلال عام ٦٩** تصاعدت الاختراقات الجوية المعادية لنطاق المنطقه لاغراض الاستطلاع ...كما أدارت قواتنا الجويه معارك جوية ضد الطيران الإسرائيلى كان أبرزها يوم ٢٢ مايو فوق الغردقه وخسرت فيها القوات الجوية الإسرائيلية طائرة ميراج.

* **وفى إطار المبادأة من قواتنا** .. تحركت داورية من القوات الخاصه بحرا ليلة ٥ / ٦ يونيو ٦٩ وفى اتجاه « فنار زنوبيا » ثم شرقا لقصف تجميعات مدفعية ودبابات إسرائيلية على مسافه ٤ كيلو متر شرق الفنار مستخدمة الصواريخ وأحدثت بها خسائر كبيرة.. واستمرت قواتنا فى دفع العديد من الداوريات الصغيرة مع زيادة نشاط قواتنا البحرية وتكثيفها لأعمال الروتين التعبوى اليومى.

* **وكان رد فعل القوات الإسرائيلية** .. فقد قامت بدفع طائرتين هليوكوبتر ليلة ٢٧ / ٢٨ اغسطس ١٩٦٩ تمكنت من اختراق شاطئ البحر الأحمر فى اتجاه

الغرب وهبطنا بالقرب من معسكر منقباد وقصفته بنيران الهاون ١٢٠ ملليمتر ولمده عشره دقائق أقلعت بعدها دون خسائر.

* **ثم فى يوم ٩ سبتمبر** وجهت القوات الإسرائيلية اغارة برمائية على الساحل الغربى لخليج السويس بعناصر من الضفادع البشريه ضد القاعدة البحرية فى السلمانيه.. وشملت العمليه من العين السخنه شمالا حتى الزعفرانه جنوبا ..وقد اعتمد اختيار العدو لهذه المنطقه على صلاحية الشاطئ للانزال وضعف دفاعات قواتنا فيها مع وجود ثغرات كبيره بين المواقع وكانت أهداف قوة الاغارة تنحصر أولا فى تحقيق هدف معنوى لدى الرأى العام الداخلى فى إسرائيل والذى تأثر فى الفترة الأخيرة لجسامة خسائرها على جبهة قناة السويس.

والهدف الثانى

ينحصر فى تدمير وسائل دفاعنا الجوى وفتح ثغرة فى خط الدفاع الجوى والتغطية الرادارية تتيح له الاختراق الجوى .. بالاضافه إلى إجبار قواتنا على تعزيز دفاعات هذا القطاع إما بتخفيف القوات المدافعه عن جبهة القناة أو بدفع الاحتياطيات الاستراتيجية إليه.

هذا وقد دعم العدو أعمال قتال الضفادع البشريه بالابرار البحرى بقوه تقدر بـ ١٠ دبابات وحوالى ١٠ عربات جيب منقوله فى ٣ سفن انزال وأيضا بقصفات القوات الجوية (أى أنه حشد لهذه الاغارة أكبر قوة ممكنة ليضمن لها النجاح).

إلا أن قوات البحر الأحمر بالتعاون مع القوات البحرية وقوات الدفاع الجوى قامت بالتصدى للعدو وأجبرته على الانسحاب قبل أخر ضوء من نفس اليوم محدثه به خسائر كبيره وأسقطت له طائرتين مما دفعه إلى القيام يوميا وحتى نهاية الشهر (سبتمبر) بالقصف الجوى مركزا ضد مناطق الزعفرانه وابو الدرج ورأس شقير ورأس غارب ومواقع الدفاع الجوى والقوات البحريه فأسقطنا له طائرتين سكاى هوك بالاضافة الى إصابه أربعة طائرات أخرى مع أسر أحد طياريه.

وفى ليلة ١ /٢ أكتوبر ١٩٦٩ قامت قوات المنطقة بعملية ردع عنيفة بطائرات الهليوكوبتر ومجموعات قتال من قواتنا الخاصه فى منطقه رأس ملعب ومنطقه رأس مطارمه (شرق البحر الاحمر) وبث الألغام على محاور اقتراب عناصر النجده وعادت القوه سالمه بعد أن كبدت العدو خسائر كبيرة.

وردا على هذه العملية الجريئة.. وفى ليله ٢١ / ٢٢ أكتوبر ١٩٦٩ اخترقت طائرات هليوكوبتر معادية منطقه فنار أبو الدرج وأبرت مجموعة إغارة وهاجمت الفنار محدثة به بعض الخسائر.

كما قامت ليله ٢٨ / ٢٩ من نفس الشهر بدفع طائرة هليوكوبتر فى المنطقة ١٠كيلومتر غرب رأس شقير للعمل ككمين وتمكن من تدمير عربة جيب لقوات حرس الحدود .

استمر تبادل العمليات التعرضية فى شكل كمائن وإغارات محدودة سواء من جانب قواتنا فى اتجاه الضفة الشرقية لخليج السويس أو فى اتجاه الطور وشرم الشيخ وعلى الساحل الشرقى لخليج السويس ..أو من جانب العدو على الساحل الغربى لجنوب خليج السويس والبحر الا حمر مع بث وزرع الالغام على محاور اقتراب كلا الجانبين.. بالاضافه إلى النشاط الجوى والبحرى .

إلى أن جاءت ليله ٢٣ / ٢٤ ديسمبر ١٩٦٩ فقد تمكن العدو من الهبوط بطائرتين هليوكوبتر بجوار محطه رادار انذار كانت تتركز فى الخلف لقوات نسق أول المنطقه بالقرب من الزعفرانه وتمكن من محاصرة الجهاز والقضاء على الطاقم المكون من ٧ أفراد ...ثم قام بتحطيم الجهاز إلى جزئين وحمله فى طائرتى الهليوكوبتر إلى قاعدة داخل إسرائيل.

ولم تكن لهذه العملية أى أهمية عسكرية .. إذ أن هذا الجهاز كان من طراز قديم وغير متطور .. كما أن فقده لم يؤثر على شبكه الانذار لقوات الدفاع الجوى إلا أن التأثير كان بالدرجة الأولى معنويا ونفسيا وانعكس على قوات المنطقة ، وكان لابد من تلافى هذا التقصير مستقبلا .. فقدم كل من قائد دفاع جوى المنطقه وقائد الوحدة البرية الفرعية للمحاكمة العسكرية بجريمة الاهمال وعدم التنسيق وقد استغلت إسرائيل هذا الحادث إعلاميا ونفسيا مع اظهار قدرتها وذراعها الطويله .

ولكن سرعان ماكان رد الفعل لقواتنا قويا وعنيفا فى تنفيذ مخططات الهجوم والتدمير خلف الخطوط وفى العمق الاستراتيجى حتى ميناء ايلات وفى مناطق العمق الإسرائيلى وفى نطاق عمل الجيوش الميدانية.

ففى ليلة ٢٩ / ٣٠ ديسمبر ١٩٦٩ قامت قواتنا الخاصة بالابحارمن البحر الأحمر والوصول شرقاً إلى حمام موسى (٧ كيلومتر شمال الطور) وقامت

بقصف مطار الطور والمنطقة المحيطة بالصواريخ ١٣٠ ملليمتر وباستخدام عدد ٢ قاذف رباعي كان العدو قد تركها بعد قصفه الجوى لمطار الصالحيه فى عمق قواتنا واستولت عليها القوات الخاصة.

وكان العدو يحتل مطار الطور بسريه مظلات مع تشوينين لتكديسات ضخمه من الذخيره والوقود حول المطار وتقوم داورياته بالمرور الدورى فى المنطقه شمال وجنوب المطار.. فقامت القوه بشن هجمات مفاجئه وجريئه على مناطق التكدسات واشعلت فيها النيران .. واستمرت هذه التكديسات من الذخائر تنفجر لمدة طويله واحدثت حاله من الذعر والارتباك فى قوه الحراسه الإسرائيلية.. وارتدت على اثرها بعد تنفيذ مهامها بنجاح.

وفى ليله ٢ /٣ فبراير ١٩٧٠ كررت مجموعة أخرى من قواتنا الخاصة إغارتها السابقة على نفس الهدف رغم قيام العدو باضاءة المطار وتشغيله ليلا وتكثيف للحراسات .. وبعد أن عبرت ليلا الى الساحل الشرقى لخليج السويس قامت بقصف مدينة الطور والمطار بالصواريخ كما قامت ببث الالغام على طرق ومدقات تحرك ارتاله وداورياته بالمنطقة ووضع متفجرات (١٥٠كيلوجرام) وشراك خداعيه زمنيه بحيث يتم انفجارها فى أول ضوء يوم ٣ فبراير (أى بعد ارتداد قواتنا إلى الغرب) ، وكانت نتائج أعمال قتال هذه الاغارة تدمير عدد من الطائرات الإسرائيلية فى المطار بخلاف الخسائر خرى فى المعدات والمخازن وفى الأرواح .

إن ما سبق هو بعض الامثلة البارزه لاعمال القتال الجرئيه التى قامت قواتنا بتنفيذها حيث ان من الصعب تسجيلها جميعا على صفحات هذا الكتاب المحدود .

فمثلا : كانت هناك سفينة صغيرة شاحطة (معطلة) على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر غرب مدينة الطوراستغلتها قواتنا الخاصه بدفع مجموعة إغارة بحرا فى قوارب اقتحام ووصلت فى آخر ضوء يوم ٢ مايو ١٩٧٠ إلى هذا المركب وتسلقته بعيدا عن مراقبة العدو فى منطقه الطور شرقا .. ثم قامت بعمل تجهيزه مبتكره تعمل كقاعدة إطلاق للصواريخ ووجهتها فى اتجاه مبنى مطار الطور بحيث يتم الاطلاق آليا (زمنيا) .

ورغم أن العدو يقوم بعمل كمائن ليليه كما كان يدفع بزوارق مرور لحراسة الشاطئ ليلا .. ورغم ذلك فقد نجحت قوة الاغارة فى التسلل وتدمير محطة الطور اللاسلكيه بمبنى

المطار بالاضافة الى إصابة وتدمير جزء كبير من المبنى ومعدات المطار.. كما كبدت القوة الإسرائيليه خسائر فى الأفراد.

شدوان وبطولات مصرية :

وأهم العمليات التى قام بها العدو فى خلال شهر يناير ١٩٧٠ كمائن الهجوم على جزيرة شدوان وهى جزيرة منعزلة بالقرب من تفرق خليج السويس وخليج العقبة بالبحر الاحمر وتؤمنها سرية صاعقة، ورادار بحرى خاص بالملاحه البحريه فى المنطقة ، وقد تم هذا الهجوم ليلة ٢١ / ٢٢ يناير بعمليه إسرائيلية ضخمة شملت الابرار البحرى والجوى والقصف الجوى الذى استمر لعدة ساعات على الجزيرة وضد بعض موانى البحر الاحمر التى يحتمل أن تدفع نجدة قواتنا وقد أستمر القتال لمدة سته ساعات كاملة بين كتيبة المظلات الإسرائيلية وسرية الصاعقة المصرية تمت خلاله بطولات لا يمكن حصرها ، وأساليب تصل إلى حدود اللامعقول منها أن القطاع الذى يتركز فيه الرادار فى الجزيرة ظل يقاوم بعنف دون أن تتمكن القوات الإسرائيلية من الاقتراب منها وإرسال القائد الإسرائيلى أحد الجنود المصريين الذين سبق أسرهم إلى قائد أحد الدشم التى تمثل نقطة أرتكاز فى الدفاع لإقناعه بالاستسلام وعاد الجندى المصرى ليبلغ القائد الإسرائيلى أنه وجد كل الجنود فى الدشمه قتلى عدا واحد فقط مصاب ، عندها أمر القائد الاسرائيلى جنوده بالتقدم لتحصدهم نيران الدشمه وكان ذلك هو الاتفاق بين الجندى المصرى الاسير وقائد الدشمه فتحملا كل ما سيحدث نتيجة لهذا البلاغ المخادع ومن المفارقات أيضاً أنه بعد انسحاب القوات الإسرائيليه من الجزيرة حملت فيها بعض معدات المصرية بينها عربة الغام ، حيث إنفجرت هذه العربه أثناء إنزالها فى ميناء إيلات لتحصد ٤٧ إسرائيلياً من قتيل وجريح وقد برر وزير الدفاع الإسرائيلى أسباب هذا الهجوم الفاشل مصرحا أنه ردا على مهاجمة القوات المصرية لميناء إيلات الإسرائيلى فى شهر نوفمبر ١٩٦٩ .

وردا على إغارة قواتنا الخاصة ليلة ٢ – ٣ فبراير ١٩٧٠ قامت القوات الجوية الاسرائيلية فى الساعه الثالثه بعد الظهر يوم ٦ فبراير ١٩٧٠ (أى بعد ثلاثة أيام) بمجابهة ميناء الغردقة وسفاجا مستهدفه كاسحة الالغام (المنيا) .. إلا أنها فشلت فى البدايه لقيام الكاسحة بتنفيذ المناورات اللازمة لتفادى قنابل وقصف الطائرات واستخدمت مدفعياتها بأعلى كثافه حيث أمكنها اسقاط عدد ٢ طائرة اسرائيلية. . الا أن العدو الجوى تمكن بعد ساعتين من القصف الجوى المستمر من إصابتها

وإغراقها .. كما بدأت الداوريات البحرية الإسرائيلية فى تكثيف روتين العمل البحرى اليومى فى البحر الأحمر خاصه عند المدخل الجنوبى لخليج السويس وكثرت اقترابااته من خط المنع فى مجموعات كل من عدد ٢ زورق مسلح مع استخدامه للنشات التفتيش الصغيرة للتأمين القريب للساحل الشرقى ضد عمليات التسلل والتخريب .. هذا بالاضافة إلى قيامة بالقصف الدورى لمواقع الرادار ووحدات دفاع جوى المنطقة خاصة فى مناطق الزعفرانه والغردقه وسفاجا ورأس غارب ورأس شقير ومرسى برنيس البحرى وتدمر لقواتنا لنش صواريخ وإصابه جزئيه فى المدمرة « القاهر » يوم ١٦ مايو ١٩٧٠ .

وردا على اغارة قواتنا يوم ٢ مايو ١٩٧٠ دفع العدو بعدد ٢ طائرة هليوكوبتر ليله ٢٠ – ٢١ مايو قامت ببث عبوات ناسفه على طريق الغردقه / سفاجا هذا وقد امكن اكتشافها وإبطال مفعولها .

وفى إطار الاستنزاف المضاد أيضا هاجمت قوة إسرائيلية تقدر بحوالى ٢٥ فرد محمولين فى طائرتين هليوكوبتر (يوم ١٢ يونيو ١٩٧٠) فى شكل أفراد هجانه (حرس حدود) شمال رأس غارب .. كما قامت بنسف ورص الغام وشراك خداعية على الطريق مع تركيز القصف الجوى على منطقة الزعفرانه على أن الخلاصه العامة توضح بأن القوات الإسرائيلية لم تحقق نجاحاً كبيراً فى معظم عملياتها الخاصة بل أنها فشلت فى تحقيق النتيجة المرجوه لهذه العمليات الخاصة فى منطقة البحر الاحمر العسكرية .. كما أنها فشلت فى جذب قوات للدعم من على خط جبهة قناة السويس.

القسم الثالث : المهندسون وحرب الاستنزاف

المقدمـــة

بدأت معارك المدفعية فى سبتمر ١٩٦٨ ، وزادت خسائر العدو فأسرع يقيم التحصينات وينشئ الملاجئ .. وكان ذلك إيذانا بمولد خط بارليف .. وقد انفقت إسرائيل على بناء هذا الخط الحصين مثل ما أنفقته مصر لبناء السد العالى .. وشتان بين ما انتهى إليه خط بارليف، وما يحققه السد العالى لمصر من خيرات.. ولإحــداث الخســائر فى أفراد العدو وأسلحته .. ولتنميه الروح الهجوميه فى أفـرادنا وتدريبهم تدريبا فعليا على تنفيذ العبور .. بدأت عمليات الإغـارة على مواقع العدو فى الضفة الشرقية وبالعمق القريب ليلاً ونهاراً .

واستهلت قواتنا أعمال العبـور بمجموعات صغـيرة ، ثم تحولت إلى إغارات كبيرة الحجم والهدف .. وتصـاعدت أنشـطة قـواتنا القتالية وتحولت من مهاجمة أهداف فردية منعزلة الى مهـاجمة مواقع حصـينه للـعدو فى وضـح النهار .

وكانت معظم الداوريات تضم عناصر من المهندسين العسكريين لتقوم بتنفيذ المهام التى يتطلبها الموقف .. من فتح الثغرات فى أى موانع تعترض طريق تحرك قوة الإغارة ، وتجهيز أى أهداف معـادية للنسف ، ورص بعض الالغام المبعثره على طريق ارتداد قوة الإغارة حتى تتعرض أى قوات معاديه تتصدى لها للخسائر فى الأفراد والمعدات •

وردا على الأعمال التعرضية التى قامت بها قواتنا ضد قوات العدو والخسائر التى تكبدها ، بدأ العدو فى التركيز الشديد بمدفعياتة وقواته الجوية ضد مواقع الدفاع الجوى ومواقع القوات البرية عموما . كما بدأ فى تنفيذ أعمال الإغاره ضد الأهداف المدنية فى العمق . وقد

بدأت قواتنا فى هذه المرحلة بأعمال تعلية الساتر الرملى على الضفة الغربية باستخدام الرمال المنقوله حتى يمكن مجابهة ارتفاع الساتر الرملى للعدو لحرمانه من السيطره على قواتنا بالنظر والنيران كما تم دفع داوريات من عناصر الاستطلاع الهندسى قامت بالحصول على معلومات تفصيلية عن الساتر الرملى وارتفاعة وعمقة وتفاصيل النقط الحصينة شرق القناة ، وكذا المعلومات الكاملة عن حقول الالغام التى كان العدو يقوم برصها حول نقاطة الحصينة.

وفى هذه المرحلة زادت عناية قواتنا بالتجهيز الهندسى لمجابهة نيران العدو خاصه نيران القصف الجوى .

ولعبت وحدات إزاله القنابل دورا بطوليا وهاما لتأمين قواتنا وذلك بتأمين وإزاله القنابل الناتجة عن الغارات الإسرائيلية على طول الجبهة وفى العمق ، بما فى ذلك الغارات التى تقوم بها على المنشآت الحيوية فى أقصى جنوب مصر . وقد تخلل هذه الأعمال بعض المواقف البطولية مثل :

دخول الموقع قبل انتهاء فترة تأخير القنابل الزمنية ، وذلك بغرض عدم تعطيل العمل فى إنشاء قواعد الصواريخ.

تأمين بعض القنابل الموجودة بقواعد الصواريخ الخرسانيه إنقاذاً للدشم السليمة بعد القصف رغم وجود هذه القنابل فى أماكن يتعذر منها تأمينها بالطرق العادية دون تعرض الافراد للخطورة مثل ما حدث فى موقعى أبوسلطان وأبوصوير بعد قصف ٢٦ ديسمبر ١٩٦٩.

تأمين القنبلة الزمنية التى أسقطت على مصنع أبو زعبل وتم إخراجها من تحت جدار عنبر الماكينات وتأمينها يدويا بفك الطابه الزمنية بواسطة أحد الضباط.

دراسة طابات وقنابل وصواريخ العدو دراسه وافية لمعرفة طريقة عملها ودرجة خطورتها رغم عدم توفر أية معلومات عن هذه الانواع من تسليح العدو مسبقا . بل كانت جميع هذه الاسلحة جديدة تماما ولم يعرف عنها أى تفاصيل قبل التعامل معها . تم تطوير بعض أجهزة إزاله القنابل وتنفيذ التعديل فى ورش وحدات ازالة القنابل نظرا لعـــدم توفر أجهزة حديثه تستخدم فى هذا المجال ، بل كانت عمليات التأمين تتم يدويا .

التطوير الهندسى لمطارات القوات الجوية

إلى جانب الاعمال الهندسية التى نفذت لتحقيق صمود قواتنا البرية ، تم تنفيذ أعمال هندسية على نطاق واسع لتحقيق صمود القوات الجوية ، بل لمعاونة هذه القوات فى إنزال ضربات ضد العدو .

ولهذا الغرض تم تطوير شبكات المطارات والقواعد الجوية بانشاء عدد من المطارات الجديدة . وروعى أن يشمل المطار على ممر رئيسى لخدمة جميع أنواع الطائرات حتى تكون هناك حرية فى انتقال أى نوع من الطائرات من أى مطار إلى أى مطار.

كما ينشأ ممر مساعد له ، فضلا عن إنشاء ممر تبادلى لاستخدامه فى ظروف الرياح المتغيرة وأثناء صيانة الممر الرئيسى ، بالاضافه إلى ممرات مخفاه وهيكلية . هذا وقد تم فى المطارات القديمة إنشاء ١٧٠ ممرا جديدا وتطوير ٥٤ ممرا بالاطالة والتعرض وإعاده الرصف .. وقد أثبتت هذه الممرات فعليا انها تمتص مجهود العدو الجوى مع تقليل الإصابه على الممر الواحد ، بما يحقق إمكان سرعة الإ صلاح واستعادة كفاءة الممر .

وحقق التعاون بين المهندسين العسكريين والجامعات ومراكز البحوث المصرية التوصل الى تصميم وتنفيذ دشم محصنة للطائرات والمعدات الفنية من الخرسانه المسلحة ، وزودت دشم الطائرات بأبواب من الصلب القوى بأسلوب علمى مبتكر وتصميم مصرى يعد مفخرة للمهنسين المصريين..عسكريين ومدنيين .. وقد حقق ذلك كله سلامة قواتنا الجوية على الأرض.

لقد تم فى القواعد والمطارات الجوية إنشاء العديد من د شم الطائرات ، ودشم الصيانه المزدوجه ، ودشم للمعدات ، ودشم للذخيرة ، وعدد من مراكز القيادة المحصنة فى القواعد الجوية والمطارات ، وعدد من دشم التحصينات لرادارات القوات الجوية .

ومع ذلك الحجم الكبير من التجهيز الهندسى ، لم ينسى المهندسون أعمال الخداع لما لها من تأثير كبير على تشتيت جهود العدو الجوية وإضعاف تأثيرها ، فتم انشاء عدد من الدشم الهيكلية ، وعدد من الممرات الهيكلية ، وعدد من مخازن الوقود الهيكلية ، وكذا عدد من التباب وعدد من مخازن الذخيرة الهيكلى ، والكثير من الطائرات الهيكلية.

وإذ تتكلم الأرقام لتصف أى عمل هندسى ، تتكلم ارقام هذا العمل الذى تم بالجهود المشتركة للمهندسين العسكريين وشركات القطاع العام فنقول إن التكلفة فى هذا المجال فقط تجاوزت مائة مليون من الجنيهات (بأسعار السبعينات) ، وأن العمل قد شمل أربعه وعشرين مليونا من الأمتار المكعبة من أعمال الحفر والردم ، وصب المهندسون خرسانة مسلحة وعادية تجاوزت مليونا ونصف مليون متر مكعب واستخدموا كمية من الحجاره تجاوزت مليونى

متر مكعب ، وأضافوا عليها مليونا ونصف المليون من المواد الاسفلتية ، ولقد بلغ وزن أبواب دشم الطائرات نحو خمسة عشر ألف طن من الصلب .

وقام المهندسون بتشكيل وحدات هندسة لخدمة كل مطار ، شملت عناصر قادرة على توفير حاجته من الأعمال الهندسيه خلال المعركة ، واستعادة كفاءته فى حالة تعرضة للقصف الجوى فى أسرع وقت ممكن ، بما فى ذلك عناصر إزالة القنابل الموقوته وتلك التى لم تنفجر .. ولم تكن هذه الوحدات موجودة فى القوات الجوية فى يونيو ١٩٦٧ وفى إطار توفير التأمين الهندسى للقوات الجويه الذى سار جنبا إلى جنب مع كل الأعمال الخاصة بالقوات البرية ، فقد درس المهندسون المشكلتين اللتين تنجمان عن كل قصف جوى.

كانت المشكلة الأولى : هى كيفيه اصلاح الممرات بعد قصفها بقنابل الطائرات فى وقت محدود ، يسترد المطار بعده كفاءته ، ويطلق طائراته نحو السماء ، وتم التنسيق مع وزارة البحث العلمى ، واستغرق الجهد المشترك نحو ستة شهور ، إلى ان انتهى الدارسون الى خلطة تستخدم فى رصف المساحات المدمرة من الاسلفت والاسمنت سريع التصلب شديد التحمل ولم يلبث رجالنا فى متابعتهم للبحث والتطور العلمى ان عثروا على ألواح صلب تصلح لهذا الغرض ، وأمكن تصنيعها فى مصانعنا .

وكانت المشكلة الثانية : هى إزالة القنابل التى لم تنفجر بعد ارتطامها بالأرض ، وتلك التى تحتوى على أجهزة موقوته ، بهدف منع رجالنا من إصلاح ماتم تدميره وإبقاء المطار فى حالة شلل انتظاراً لانفجارها ، وتم تشكيل وحدات هندسيه لهذا الغرض صار تزودها بأحدث الأجهزة

ولتوضيح مدى نجاح تلك الأعمال التحضيرية يجدر بنا أن نسبق الأحداث قليلا فنذكر ان التجهيز الذى تم فى المطارات والقواعد الجويه قد أثبت كفاءته ، إذ صمدت الدشم الخرسانيه التى صممها ونفذها المهندسون المصريون لهجمات العدو الجويه بجميع انواع القنابل والصواريخ وكان صمودها دليل نجاح مهندسينا وقدرتهم على التصميم والتنفيذ . فلم تحدث أية إصابه تذكر لطائراتنا وهى داخل الدشم ، كما أن شبكة الممرات التبادلية التى تم إنشاؤها بكل مطار وقاعده جويه فوتت على العدو فرصة إغلاق المطارات ، أو منع طائراتنا من مغادرتها أو العوده إليها .

تجهيز مواقع الدفاع الجوى

فى نهاية عام ١٩٦٩ صدرت الاوامر بتركيز جميع الجهود والامكانيات لانشاء شبكه مواقع وحدات صواريخ الدفاع الجوى بما يحقق وقايه مناسبه للأفراد والمعدات ضد قصف العدو الجوى ، واصبحت المهمة الرئيسية لجميع القوات المسلحة من مختلف النوعيات (مشاه، مدرعات ، مدفعيه ، مهندسين... الخ) الاشتراك فى إنشاء مواقع صواريخ الدفاع الجوى وكان للمهندسين العسكريين خبرتهم فى تصميم المنشآت الوقائيه بهذه المواقع .. والتى استفاد بها أصدقاؤنا السوفيت فى حلف وارسو .

وبدأ العمل بشكل مكثف فى يناير ١٩٧٠ ، تحت قصف جوى شديد من طيران إسرائيل استمر نهارا وليلا ، واحتدم الصراع بين طائرات إسرائيل التى راحت تحاول تحطيم محاولاتنا لانشاء مواقع الصواريخ وتقصف فى الحاح القائمين بالعمل فيها ، وبين القيادة المصرية التى اصرت - وخلفها الجنود والمهندسون والعمال - على إنشاء هذه التحصينات بأى ثمن .. لقد كان العدو يخشى من إتمام إنشاء مواقع الدفاع الجوى واحتلالها لان ذلك يعنى بدايه النهايه لتفوق العدو الجوى .

لقد أعيد إنشاء كثير من المواقع عدة مرات عقب إصابتها بقنابل طائرات العدو . ولجأ المهندسون الى العمل ليلا حيث تقل كفاءة العدو فى القصف الجوى. وتم تنفيذ معظم الاعمال فى ضوء القمر وأنوار المصابيح اليدوية.

لقد تكاتفت جهود مؤسساتها الانشائية المدنية مع جهود وحدات المهندسين العسكريين لتنفيذ هذه المهمة. واسهمت نساء مصر وشبابها فى بعض المحافظات فى أعمال الانشاء بجهد كبير وعزيمه لا تلين ، بما أثبت للملأ أن الإراده المصرية لا تقهر وفى صباح أحد أيام شهر يونيو ١٩٧٠ فوجئت الطائرات الإسرائيلية بالصواريخ المصرية تنطلق من كل حدب وصوب فتنزل بها الخسائر التى لم تكن فى البال ، وبكل الغيظ والحقد وجهت القيادة الإسرائيلية هجمه ضد مواقع الصواريخ التى نبتت كالتين الشوكى فى الصحراء ، الا ان هذه الهجمه لم تحقق للسلاح الجوى الإسرائيلى سوى مزيد من الخسارة .

وتكررت المحاولات لتدمير صواريخنا بمزيد من الفانتوم - الطائرة الاسطورة التى يصعب تدميرها - وبمزيد من أسلحة الاعاقة الالكترونية ومزيد من العتاد ، كانت النتيجة دائما مزيداً من الطائرات الهاوية ومزيداً من الطيارين الأسرى.

لقد كان العمل الهندسى الضخم لتجهيز مواقع صواريخ الدفاع الجوى فى الوقت المحدد بدقة متناهية ، إعجاز لم يكن يتحقق الا بالرجال ذوى العلم والخبرة والإرادة التى لا تلين. واستمرت أعمال الصيانة والتحسين لهذه المواقع حتى جاء يوم السادس من أكتوبر١٩٧٣.

وحيث تتكلم الأرقام نجد أن المهندسين قد أتموا بناء عدة مئات من مواقع وحدات الصواريخ ، وعددا مماثلا من المواقع التبادليه ، شمل إنشاء هذه المواقع نحو ١٢ مليون متر مكعب من الخرسانه المسلحة والعادية ، وتم انشاء آلاف الملاجئ مسبقه الصنع ، كما تجاوزت أطوال الطرق الداخليه فى هذه المواقع أربعة آلاف كيلو متر اى مثل المسافه بين القاهرة وطرابلس ليبيا ، وأنفق المهندسون فى هذه الاعمال نحو ثمانين مليونا من الجنيهات فى هذه المهمة بأسعار السبعينات ، وقبل إيقاف إطلاق النيران فى اغسطس ١٩٧٠ تمت المهمة واحتلت الصواريخ مواقعها المحصنه واختفت طائرات العدو من سمائنا.

منطقة البحر الأحمر العسكرية

لم تكن منطقة البحر الأحمر العسكرية قد أنشئت حتى يوم ١٥ أكتوبر ٦٨ .. فقد كانت تعمل كقطاع عسكرى يتبع المنطقة العسكرية الجنوبية فى اسوان .

ولكن نظراً لأهمية هذا القطاع باعتباره امتداداً لخط الجبهه واحتوائه على محاور طولية هامه تؤدى مباشرة إلى جنوب القاهرة وطرق ومسالك تؤدى إلى وادى النيل .. فقد صدرت التعليمات ليصبح منطقة عسكرية تتبع القيادة العامه مباشرة ودعمت بالمزيد من القوات.

وكانت القوات الإسرائيلية قد سبق لها أن وجهت نشاطها العدوانى على هذا الاتجاه أثناء مرحلة الصمود وظهر انها كانت ترمى إلى تشتيت جهود قواتنا على خط الجبهة الرئيسى فى منطقة القناة ... إلا أن تنظيم الدفاع ودعم هذه المنطقة تولته القيادة العامة وبقوات من الاحتياطى الاستراتيجى .

الفصــــل التاســع

عمليــات الأفـــرع الرئيســية

القسم الأول: عمليــات القــوات البحــرية

عملية قصف منطقتى رمانة وبالوظة ليلة ٨-٩ نوفمبر ١٩٦٩

كان للعدوعلى الساحل الشمالى لسيناء موقعان أحدهما لتكديسات إدارية فى منطقة رمانة والثانى موقع صواريخ هوك فى بالوظه وتجمعات شئون إدارية فى شرق بورسعيد بحوالى أربعين كيلو مترا وصدرت التعليمات بتدميرها بواسطة المدمرتين الناصر ودمياط بالتعاون مع لنشات الطوربيد والصواريخ وكانت فكرة العملية تتلخص فى أن تغادر المدمرتان الناصر ودمياط ميناء الاسكندرية لكى تكون أمام فنار البرلس عند الغروب . ثم تستكمل اتجاهها شرقا حيث تلتقى أمام بورسعيد بمجموعة من لنشات الطوربيد والصواريخ التى ستقوم بواجب الحراسة ، ثم يستكمل التشكيل اتجاهه شرقا للوصول الى موقع الضرب فى الساعه الحاديه عشر تماما مساء يوم التنفيذ ثم يبدا فوج المدفعيه الساحليه المتمركزة بقاعدة بورسعيد فى ضرب الموقع الاسرائيلى شرق بورفؤاد حتى يتيقن الاسرائليون من ان الضرب يأتيهم من اتجاه بورسعيد وفى ذلك الوقت تكون المدمرات قد وصلت موقع ضرب منطقتى رمانه وبالوظه وكانت السرية والخداع هما العامل الرئيسى لنجاح العملية.

تمت العملية طبقا للمخطط تماما وبدأت رحلة العوده إلى الاسكندرية ولكن بعد خمس دقائق ظهر هدف جوى يحوم فوق المدمرات تبين انها طائرة استطلاع إسرائيلية وكان هذا يشير الى توقع هجوم جوى على المدمرات وفعلا وبعد حوالى ربع ساعه ظهرت الطائرات الإسرائيليه من طراز فانتوم وسكاى هوك فوق المدمرات وتمكنت المدمره دمياط من تفادى الهجوم الجوى وكذلك لنشات الطوربيد والصواريخ بفضل صغر حجمها وسرعتها العالية ودخلت بورسعيد أما المدمره الناصر فقد كانت مركزاً للهجوم الجوى المكثف للقاذفات المقاتله الاسرائيليه من كل اتجاه ٠ كانت الناصر تسير بأقصى سرعه ممكنه واشتبكت

مدفعيتها بكاملها بثبات ودقه مع الطائرات المغيرة بينما كانت المدمرة تناور بمهارة لتفادى هجوم الطائرات ، واستمرت هجمات العدو الجوى على مدى ساعتين ثم وصلت المدمرتان بعد ذلك الى ميناء الاسكندريه سالمتين أما المواقع الاسرائيليه فى رمانه وبالوظه التى قصفتها المدمرتان ، فقد ظلت النيرات مشتعله فيها لساعات متواصلة .

الإغارة الأولى على ميناء ايلات ١٥ -١٦ نوفمبر ١٩٦٩

فى أوائل عام ١٩٦٨ بدأت اسرائيل عمليات الاغارة على النقط المعزولة على ساحل البحر الاحمر باستخدام الوحدات الخاصه التى كان يتم نقلها بحراً بواسطة سفينتى الابرار بيت شيفع وبات يام ، وفى حماية قواتها الجوية .

فى ٨ سبتمبر ١٩٦٨ : قامت بعملية ابرار محدود على موقع للرادار فى المنطقة بين ابو الدرج والزعفرانه ونجحت السفينتان فى ابرار سبع دبابات وثلاث عربات مدرعة على هذا الموقع المنعزل وتمكنت من الاستيلاء عليه ثم العودة ثانيه لميناء إيلات . وكان من الضرورى الرد على هذا العمل بضربه شديده واكثر ايلاما للعدو ، قرر قائد القوات البحرية القيام بعملية ضد ميناء إيلات وتدمير سفينتين به بواسطه قوه الضفادع البشريه وتوجه قائد لواء الوحدات الخاصه إلى ميناء العقبه الاردنى للاستطلاع ودراسة المنطقه تحت ستار أنه ضابط إشارة سيقوم بالتفتيش على أجهزة نقطه المراقبة البحرية المصرية الموجوده بجوار ميناء العقبه منذ عام ٦٧ وأيضا للتعرف على بعض الشخصيات التى قد تساعد فى تأديه مهمه الضفادع .

وبدأ تدريب الأفراد تدريبا مركزا فى ظروف تشابه تماما ظروف تنفيذ العملية كذا تجهيز المعدات والالغام اللازمه وارسالها بصحبه ثلاثه من افراد الضفادع البشرية على إحدى طائرات النقل المصريه إلى مطار (؟) بالعراق وذلك على زعم انهم أفراد من منظمه فتح وإن الصناديق التى معهم هى معدات خاصه بمنظمه فتح وعند وصولهم وجدوا فى استقبالهم بعض افراد من مجموعه ابو هانى الفلسطينيه وإنتقلوا جميعا بالسيارات الى بلدة الطفيله بالاردن حيث تجمعوا انتظاراً لوصول باقى أفراد الضفادع من القاهرة وكانوا يحملون جوازات سفر مدنيه لاغراض السياحه .

وفى الساعة الحادية عشر والنصف من مساء يوم ١٤ نوفمبر ١٩٦٩ تحركت المجموعه من عمان فى اتجاه العقبه على غير الطريق التقليدى لكنهم أثناء سيرهم صادفتهم من بعد داورية حدود إردنية فتوقفوا واختبئوا بين الجبال ثم استأنفوا السير حتى وصلوا الى

مكانهم حوالى الساعة الواحدة والنصف من مساء يوم ١٥ نوفمبر حيث كان المفروض أن يتم تنفيذ العملية الليلة التالية حتى ينال الافراد قسطا كافيا من الراحة لكن قائد العملية صمم على تنفيذها فى نفس الليله خشية ان تكون الداوريه الاردنيه قد اكتشفت وجودهم ومن ناحية أخرى فإنه عندما فتح جهاز الراديو على محطه صوت العرب فى الساعة الرابعة مساء ، سمع أغنيه بين شطين وميه لمحمد قنديل ، وكانت هذه الاغنــيه متفق علــى إذاعتــها لكى تعلم القوة أن هناك أهــدافا حــربية بميناء ايلات .

فى الساعة الرابعة والنصف. بدأ تحرك المجموعة فى اتجاه البحر ، وركبوا القارب المطاط متحركين فى اتجاه ايلات فى الساعة الخامسة والنصف وكان هذا التوقيت مناسباً ، حيث كانوا فى شهر رمضان المبارك وكانت هذه الفتره هى موعد افطار قوات حرس الحدود الاردنية ، وكانت حالة البحر سيئة والرياح شديدة وقطعوا المسافة إلى ميناء ايلات فى ثلاث ساعات حيث بدأت المجموعة الأولى فى النزول إلى الماء ثم المجموعه الثانية ثم المجموعة الثالثه وفى أقل من ثلاث دقائق كانت المجموعات الثلاث فى الماء على مسافه كيلو مترين من أرصفه ميناء إيلات تسبح فى اتجاه أهدافها المحددة وكان المخطط أن ينتظرهم القارب المطاط فى نفس المكان لالتقاطهم بعد انتهاء العمليه ما بين الساعة الثانية عشـرة والنصـف وحتـى الساعــة الواحــدة مـن صباح يوم ١٦ نوفمبر.

فى الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق وصلت المجموعات إلى مسافة مائة وخمسين مترا من الهدف ثم بدأت فى الغطس لتلغيم السفينتين هيدروما وداليا الراسيه فى الميـناء وتمـت العملية بنجاح ثم بـدأت رحلة العودة سـباحة إلى الشـاطىء الاردنى.

تبين لقائدالعملية أن أحد أبطال المجموعة الثالث قد استشهد فى العملية ومع ذلك فإن الضابط الشجاع رفض ترك زميله وان كان ميتاً لاعدائه وأخذ يسبح به حتى وصل إلى الشاطىء الاردنى وفى تمام الساعة الواحدة ، وثلاث عشر دقيقة سمع دوى هائل لانفجار فى ميناء إيلات ، ثم تلاه عدة انفجارات اخرى كان جملتها خمس انفجارات دمرت السفينتين الإسرائيليتين ، داليا وهيدروماً ،.

إيلات للمرة الثانية ٥ – ٦ فبراير ١٩٧٠

بعد الاغارة الناجحة التى قام به أفراد الضفادع البشرية على ميناء ايلات يومى ١٥ –١٦ نوفمبر ١٩٦٩ أصيب الاسرائيليون بفزع شديد وصدرت التعليمات للسفينتين بيت شيف وبات يام بعدم المبيت ليلا باى من الموانى الإسرائيليه حتى يتفادوا اغارات الضفادع البشرية

المصرية وكان على تلك السفن الابحار طوال فترة الليل مما لايعطى الفرصة لمهاجمتها وإغراقها لكن شاء القدر شيئا اخرا فاثناء تفريغ بعض المعدات والالغام التى قامت بنقلها السفينه بيت شيفع من شرم الشيخ إلى إيلات وأثناء إنزال احدى العربات المدرعة التى كانت محملة بكمية كبيرة من الذخائر حدث بها انفجار ادت الى مقتل حوالى ٦٠ فرد من القوات الإسرائيلية على رصيف إيلات الحربى وانبعاج شديد فى الباب الامامى للسفينه الذى يعمل هيدروليكيا وكان لابد من إصلاح هذا الباب حتى تتمكن السفينة من الابحار .

وصلت إلى قيادة القوات البحرية معلومات من الاستطلاع المصرى فى العقة بأن السفينة بيت شيفع راسيه على الرصيف الحربى ويجرى العمل فى إصلاحها ليلا ونهارا ، وأنه فى تقديرهم ان عمليه الاصلاح سوف تستغرق من ٥ –٧ أيام وبدأ على الفور التخطيط لعمليه اغارة جديده على ميناء ايلات الحربى بهدف تدمير سفينه الانزال بيت شيفع واى وحدات عسكريه اخرى بالميناء وتقرر هذه المره ان تكون نقطة الانطلاق منطقه الاستحمام بشاطىء العقبه بجوار فندق العقبه هوليداى – على أن يكون الذهاب إلى الأهداف بميناء ايلات ثم العوده سباحة لحوالى اربعه كيلو مترات وكان فى وسع أفراد الضفادع البشرية المصرية سباحتها ذهابا وعودة حاملين معهم الغامهم وصدرت التعليمات للرائد بحرى مصطفى طاهر بالتوجه إلى الاردن لدراسة تفاصيل العملية على الطبيعه بجواز سفر مدنى على انه مدرس مصرى ذاهب للاردن فى رحله سياحيه وبعد عودته اعطائهم التلقين النهائى طبقا لأخر معلومات عن ميناء إيلات ومكان إرساء كل من ناقلة الجنود بيت شيفع وكذلك السفينة المسلحة «بات يام» كما تم تحديد خط سيرالاقتراب وخط سير العودة.

بدأت المجموعة الاولى بقيادة الملازم أول عمرو البتانونى بالنزول إلى البحر من نقطة الإنطلاق وكان هدف هذه المجموعة ناقلة الجنود بيت شيفع وتلتها المجموعة الثانية بقياده الملازم أول رامى عبد العزيز وهدفها السفينة الإسرائيلية المسلحة « بات يام » وصلت المجموعتان الى مسافة حوالى مائه متر من الأهداف وانفصلت المجموعة الثانية واتجهت إلى الهدف وهى السفينة « بات يام » والتى كانت فى ذلك الوقت تقف على رصيف الميناء الحربى على مسافة عشرين متراً أمام السفينة بيت شيفع ووصل رامى عبد العزيز تحتها فى الساعة الحادية عشر وخمسة وخمسين دقيقة قبل منتصف الليل وقام بتثبيت الالغام وتلاحظ له وجود ثلاث كشافات قوية مضاءة ومصوبة نحو الماء كما لاحظ ايضا تحرك قارب مطاط بين السفينتين بات يام وبيت شيفع على شكل دورية حراسه للسفينتين وان العدو يقوم بالقاء عبوات مضادة للضفادع البشرية بكثرة وفى أوقات متقاربة ومع ذلك

تمكن من تنفيذ مهمته على أكمل وجه • بدأ بعدها فى الانسحاب خارج الميناء، اما المجموعة الثانية أخذت طريقها نحو بيت شيفع والتى كانت محاطة بسياج قوى من الحراسة وأكملا المسافة الى الهدف وصعد ا حتى سطح قاع السفينة بيت شيفع وتم تثبيت الالغام وضبط توقيت الانفجار بحيث تنفجر بعد ساعتين من نزع تيل الامان واتخذت المجموعه طريق العودة إلى نقطة الانطلاق وعندما وصلت المجموعه الأولى إلى خارج الميناء تقابلت مع الملازم أول رامى عبد العزيز واتخذوا جميعا طريق العودة الى نقطة الالتقاط حيث وصلوها فى تمام الساعة الثانية وخمسة وثلاثين دقيقة من صباح يوم ٦ فبراير ١٩٧٠.

فى حوالى الساعة الثانية من صباح يوم السادس من فبراير ١٩٧٠ انفجرت الالغام فى السفينة « بات يام » وغرقت على الفور أما السفينه بيت شيفع فنتيجة للانذار الذى حدث وكذلك نتيجة لانفجار وغرق السفينه بات يام قبل انفجار الالغام فى السفينة بيت شيفع فقد اعطاها فسحة من الوقت لكى تتحرك الى منطقة ضحلة بالميناء حيث شحطت وكان هذا هو السبب فى انها لم تغرق تماما ، غير أن قوة التدمير كانت شديدة والخسائر كانت فادحة.

عملية تدمير الحفار كينتنج فى أبيد جان عاصمة ساحل العاج ٨ مارس ١٩٧٠

بعد احتلال اسرائيل لسيناء بدأت العمل فى نهب ثرواتها الطبيعية وأهمها البترول ، ومن أجل ذلك قامت بشراء حفار بحرى من كندا لاستخدامه فى البحث والتنقيب عن البترول فى مياه خليج السويس وفى شهر فبراير ١٩٧٠ استدعى الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية اللواء بحرى محمود فهمى قائد القوات البحرية وأخبرة بتفاصيل المؤامرة الاسرائيليه وبأن الرئيس جمال عبد الناصر قد كلفه شخصيا بمهمة ومسئولية العمل على عدم وصول هذا الحفار إلى منطقة خليج السويس وبأنه يفضل تدميره قبل دخوله البحر الاحمر وبصفة سرية حتى لايتخذ الاسرائيليون ذلك ذريعه لتدمير حقل البترول المصرى « مرجان » فى خليج السويس •

شرعت القوات على الفور فى جمع المعلومات المتيسرة عن الحفار من خلال المخابرات العامة حيث اتضح أن الحفار يقوم بقطره قاطرة هولندية تحت حراسة افراد من البحرية الاسرائيلية وانه قد وصل فعلا الى ميناء داكار بالسنغال على الساحل الغربى لافريقيا وانه سوف يمكث هناك حوالى ثلاثة أسابيع لاجراء بعض الاصلاحات .

استدعى قائد القوات البحرية الرائد بحرى خليفة جودت وأخطرة بالمهمة المنتظرة ، بدأت الخطه بعمل رسم تفصيلى للحفار كما تم حساب كمية المفرقعات الازمة وعدد الالغام وأنسب الاماكن لوضعها بالحفار أما خطه النقل فكانت من مسئوليات المخابرات العامة وتلخصت الخطه فى تقسيم قوة الهجوم والتى كانت مكونه من سبعة افراد الى مجموعتين مجموعة مكونة من اربعة أفراد تتوجه إلى باريس ومجموعة ثانيه مكونة من أربعة افراد تتوجة الى زيوريخ ثم من باريس وزيورخ يحصل كل فرد على تأشيرة دخول إلى السنغال ثم يتوجهون بعد ذلك بطريقه فرديه إلى داكار .

تقرر ان تتم العملية فى الليلة التالية وعند الظهر فى اليوم التالى وبينما كان قائد المجموعه يعد الالغام والمعدات ويقوم بتلقين الأفراد علم بخروج الحفار من ميناء داكار مقطورا بواسطة لنش القاطرة الهولندى الى جهة غير معلومة فتأجلت العملية لحين الحصول على معلومات جديدة وتقرر عودة الافراد الى القاهرة عن طريق زيوريخ وكان أطرف ماحدث أثناء رحلة العوده الى القاهره هو ماحدث للمجموعة الثانيه فى مطار زيوريخ والطائره المتوجهة الى القاهره تستعد للاقلاع من مطار زيوريخ وكان ذلك فى اليوم التالى لاول عملية فدائية تمت ضد احدى طائرات العال الاسرائيلية فى مطار زيوريخ والتى اشتركت فى تنفيذها الفدائية الفلسطينيه ليلى خالد وبعد أن جلس افراد المجموعه وكانوا ثلاثة فى الطائرة كل فى مقعد بعيد عن الاخر وكأنه لايعرفه غير أن كلا منهم كان يحمل حقيبة فيها لغم ، فتح باب الطائره التى كادت ان تهم بالاقلاع ودخل من ينادى على الركاب بالنزول الى أرض المطار لان السلطات السويسريه قررت تفتيش الركاب وحقائبهم ونزل الأفراد الثلاثه يحمل كل منهم حقيبته ويتراجع الى الخلف من ذلك الطابور الطويل . وسارت عملية التفتيش بنشاط حتى قرب الطابور من نهايته وكل منهم يتخذ خطوة الى الخلف وعندما أوشك أن يصيبهم الدور فى التفتيش ، اذا بمجموعة المفتشين يصيحون فى الركاب .. حسنا اركبوا الطائره ليس هناك ما يعكر صفو الامن .

أين يذهب الحفار :

جلس قائد القوات البحرية وقائد المجموعة وبينهما خريطة بحرية يتدارسون عليها خط سير الحفار بعد أن غادر داكار حيث لم يكن فى وسع الحفار ولنش القاطرة الذى تقطره مواصلة السير إلى البحر الأحمر حول افريقيا دفعة واحدة فلا بد له أن يلجأ إلى ميناء اوميناءين على الأقل قبل أن يصل إلى بوغاز باب المندب .

فأين لجأ الحفار؟ ونشطت أجهزة المخابرات فى تجميع المعلومات عنه. وبعد عشر أيام جاء البشير بان الحفار قد لجأ إلى ميناء ابيدجان فى ساحل العاج وفى اليوم التالى كان الافراد بمعداتهم والغامهم فى القاهرة استعدادا للسفر إلى الميناء الجديد وبالاسلوب السابق وبعد وصول المجموعة إلى ابيديجان تقرر أن تتم العملية مساء يوم ٧ مارس وهو يوافق ليله الأحد والتى يحتفل بها الاهالى حتى الصباح وبعد الاستطلاع الدقيق للميناء وموقع الحفار به تم وضع الخطة التفصيلية لتنفيذ الهجوم على الحفار وفى منتصف الليل تماماً تم البدء فى تجهيز الالغام وتعميرها وضبطها على أن تنفجر بعد ثلاث ساعات من نزع تيلة الامان كما صار تجهيز المعدات وأجهزة الغطس وقام الافراد بلبس ملابس الغطس وفوقها الملابس المدنية. وإعطاء التلقين النهائى.

واستقل أفراد المجموعة سيارة أجرة حتى وصلت المجموعة الساعة الرابعة صباحاً إلى منطقة العملية ثم ابتعدت السيارة وغادر الافراد الشاطىء وأتخذو خط التنفيذ فى اتجاه الحفار حيث وصلوا إليه فى الساعة الخامسة وقاموا بتثبيت الالغام الأربعة ثم بدؤا فى اتخاذ طريق العوده الساعة الخامسه وعشر دقائق .

نهايه الحفار :

بعد فترة قصيرة من الراحة والتقاط الانفاس توجه قائد وأفراد مجموعة الضفادع إلى الفندق الذى ينزلون به فى مجموعتين بواسطة سيارات أجرة ، حيث قاموا بجمع ما كان لهم من متاع ثم توجهوا مباشرة إلى المطار حيث وصلوه فى الساعة الثامنة وهو نفس توقيت انفجار الالغام ، وأقلعت الطائرة إلى باريس فى الساعة العاشرة والنصف صباحا وقبل اقلاع الطائرة من ابيد جان حضر اليهم ان الالغام الأربعة قد انفجرت فى الحفار فيما بين الساعة السابعة والنصف والثامنة والنصف .

إيلات للمرة الثالثة ١٤ - ١٥ مايو ١٩٧٠

بعد عملية الاغارة الناجحة للمرة الثانية لرجال الضفادع البشرية المصرية على ميناء إيلات تم تغيير قيادة السلاح البحرى الإسرائيلى واتبعت القيادة الجديدة أسلوب إخلاء الميناء قبل الغروب بساعة وحتى صباح اليوم التالى وكان ذلك يكبد هم مصاريف باهظة فضلا عن الإرهاق لأطقم السفن والوحدات البحرية من هنا نشأت فكرة العمليه الثالثة وصلت معلومات من المخابرات الحربية تفيد بأن ناقلة الجنود بيت شيفع قد تم اصلاحها بعد التدمير الذى أصابها أثناء عملية الاغارة الثانية على ميناء إيلات غير أنها كبقية السفن تغادر الميناء كل

ليلة وتعود إليه فى صباح اليوم التالى وكان لابد من ايجاد وسيلة لتعطيل السفينة بيت شيفع عن الابحار وإرغامها على قضاء ليلتها فى ميناء أيلات ولو لمدة ليلة واحده حتى يمكن مهاجمتها واغراقها .

وتلخص **فكر القيادة** فى وضع لغمين كبيرين يحتوى كل منها على مائة وخمسين كيلو جراما من ماده الهيلوجين على القاع اسفل الرصيف الحربى الذى ترسو عليه ناقله الجنود بيت شيفع عند دخولها الى الميناء صباح كل يوم ، فيتم وضع اللغمين عند منتصف الليل ويضبط جهاز تأخير التفجير على ١٢ ساعه أى ان انفجار الالغام يحدث نحو الساعة الثانية عشرة ظهراً وطبقا للمعلومات المتيسرة عن تحركات السفن فى ميناء إيلات فانه فى هذا الوقت لابد وان تكون السفينه بيت شيفع راسية بجوار الرصيف الملغوم ، وحيث ان عمق المياه بجوار الرصيف حوالى ١٣ متراً فان انفجار ثلاث مائه كيلو جرام من ماده الهيلوجين لابد أن يؤدى الى غرقها أو على الاقل سوف يعطلها عن الخروج من الميناء فيقوم أفراد الضفادع المصريون بتلغيمها فى تلك الليله ، حيث لن يتخيل العدو الإسرائيلى أبداً أن الضفادع المصرية سوف تهاجمها للمرة الثانيه فى الليله التالية. وتحدد يوم السبت يوم السكون الإسرئيلى ١٤ مايو لتنفيذ العملية وهو ايضا ليله الاحتفال بذكرى اغتصاب فلسطين وفعلا تم وضع اللغمين كمرحلة أولى فى الاماكن السابق تحديدها. ولكن انفجر اللغم الاول فى الساعة السابعة وخمسة وثلاثين دقيقة من صباح يوم ١٥ مايو على غير انتظار وخلافا لما تم ضبطة على جهاز التفجير وفى نفس الوقت تأخر وصول الناقلة بيت شيفع حتى الساعة الثانية عشر إلاخمس دقائق أى أن الناقله هى الاخرى وصلت بعد الموعد المحدد لوصولها بحوالى ست ساعات. اما اللغم الثانى ... فقد انفجر فى الساعة التاسعة والنصف من صباح يوم ١٥ . وبالرغم من ان العمليه لم تحقق الهدف الرئيسى لها الا أنها حققت بعض الاهداف التى أثرت فى القوات الإسرائيلية تأثيراً كبيراً كما انها أحدثت الخسائر التى هزت روحهم المعنوية وزعزعت ثقتهم فى قيادتهم فقد شوهدت عملية انتشال جثث كثيرة من الماء لأفراد ضفادعهم البشريه الذين كانوا يعملون وقت حدوث الانفجار بتقطيع جسم السفينه بات يام التى أغرقها الضفادع المصريه خلال إغارتها الثانية على ميناء إيلات كما شوهدت أكثر من ست عربات إسعاف تنقل الجرحى والمصابين من مبنى الضباط المقام خلف الرصيف الحربى مباشرة .

القسم الثانى : عمليات القوات الجوية فى حرب الاستنزاف

كانت نتيجة حرب الأيام الستة أشد إيلاماً على القوات الجوية المصرية من أى أسلحة أخرى ، وقد اتجهت فور انتهاء الحرب إلى عملية إعادة البناء واستعواض خسائرها .. فى نفس الوقت الذى كان الجانب الاخر مستمراً فى الاختراقات الجوية بهدف الاستطلاع ، وقتل الروح المعنوية .. وقد أدى ذلك إلى أن تبذل القوات الجوية قصارى جهدها فيما بين إستعداد قتالى – بماتيسر لديها من إمكانيات للتصدى للعدو – علاوة على المهمة الرئيسية فى إعادة البناء .. وقد تصاعدت الاشتباكات الجوية فعلا فى أعقاب معركة رأس العش ، حيث تطورت هذه الاشتباكات مع تنفيذ مهام القصف الجوى يوم ١٤، ١٥ يوليو ١٩٦٧ بهدف حماية القوات البرية من تأثير أعمال العدو الجوية وقد أسفرت هذه المعارك عن إصابة ثلاث طائرات ميراج معادية فى مقابل ثلاث طائرات مصرية دون إصابات فى الطيارين مع تكبيد العدو شرق القناة خسائر كبيرة فى قواته **وقد توقف استخدام الطيران** مرحلى بعد هذا الاشتباك الكبير ، واقتصر على اشتبكات جوية فردية أو معارك جوية متباعدة كان أهمها معارك ٢٣ أكتوبر ، ٣ نوفمبر، ١٠ ديسمبر ١٩٦٨ التى أسفرت عن إسقاط طائرتى ميراج إسرائيلية، وخسارة لطائرتى ميج ١٧ . ولاشك أن القوات الجوية على مختلف مستوياتها التخصصية قد استفادت من هذه الفترة فى الاعداد والتنظيم والتدريب تمهيدا للمرحله الرئيسية التى بدأت اعتباراً من مارس ١٩٦٩ ، مع تحفظ القيادة العسكرية فى الزج بالقوات الجوية فى تلك الحرب ، حتى تضمن إستكمال استعدادها ، وخصوصا أن المرحلة الاولى من حرب الاستنزاف اقتصر نشاط العدو الجوى فيها على أعمال الاستطلاع ، والكمائن الجوية دون الدخول فى أعمال قتالية واسعة .

ولكنه اعتبارا من ٢٠ يوليو ٦٩ ، ومع بداية المرحلة الثانية لحرب الاستنزاف توسع فى استخدام قواته الجوية كعنصر تفوق للاستنزاف المضاد بهدف اجبار القيادة

السياسية على عدم الاسترسال فى حرب الاستنزاف وإيقافها،وقد أدى هذا التطور إلى القيام بمسئولياتها لمعاونة وحماية القوات البرية برغم عدم استكمال استعداداتها وخصوصا أن قوات الدفاع الجوى لم تكن قد استعدت بعد للقيام بها بصورة مناسبة وقد صدرت الاوامر للقوات الجويه يوم ٢٠ يوليو بالرد على القصف الجوى المعادى حيث شاركت ٥٠ طائرة مصرية فى قصف أهداف إسرائيليه شرق القناة منها موقع صواريخ هوك فى رمانه ، ومحطة رادار شرق الاسماعيلية ، علاوة على التجمعات الإسرائيلية وأوقعت بها خسائر كبيرة وقد تكرر هذا القصف يوم ٢٤ يوليو ، بقوة أربعة أسراب ثم يوم ١١ سبتمبر فى شكل ضربة جوية مصغرة ثم تكررت الهجمات خلال شهرى أكتوبر ونوفمبر ٦٩ حتى أن إجمالى الطلعات الجوية المصرية خلال الفترة من ٢٠يوليو إلى ٣١ ديسمبر ١٩٦٩ بلغ حوالى ٣٢٠٠ طلعة جوية لأغراض التأمين والقصف والاستطلاع ثم تطورالنشاط الجوى بصورة أكبر مع تصاعد تنفيذ العدو للخطة **بريما** التى يقوم فيها بغارات ضد العمق المصرى بطائرات الفانتوم ذات المدى والحمولات الكبيرة وقد كان الرد المصرى بصورة شبه يومية ضد أهداف العدو شرق القناة واشتركت طائرات الاليوشن – ٢٨ فى قصف جزيرة شدوان عند احتلالها بواسطة العدو ليلة ٢٣ / ٢٤ يناير ١٩٧٠ .

وقد أدى وصول وحدات الدعم السوفيتية التى تولت تأمين العمق المصرى إلى أن تم سحب الأسراب الجوية المصرية التى كانت مكلفة بهذه المهام لتدعم القوات على الجبهة حيث زادات كثافة القصف المصرى ضد العدو خلال شهرى ابريل ومايو ٧٠ وقد بلغ إجمالى الطلعات الجوية خلال المرحلة الاخيرة من حرب الاستنزاف حوالى ٤٠٠٠ طلعة جوية شملت التأمين والقصف والاستطلاع.. بذلك فأن اجمالى المجهود الجوى خلال مرحلة الاستنزاف بلغت حوالى ٧٢٠٠ طلعة جوية الا انه يمكن القول. ان معظم هذا المجهود كان لمواجهة القوات الجوية الإسرائيلية التى كانت تتمتع بتفوق جوى على كافة دول المواجهة (مصر وسوريا –الاردن – لبنان) ولتوضيح صورة الاعمال القتالية فى تلك المرحلة نوضح عدة حقائق :–

أنواع الطائرات :

فقد كانت الطائرات الإسرائيلية الامريكية والفرنسية الصنع أكثر تقدما عن الطائرات المصرية السوفيتية الصنع حيث كانت الطائرات الإسرائيلية متفوقة فى المدى وفى الحمولات وفى وسائل الملاحة والتنشين والانذار والمناورة .

وسائل التوجيه :

كانـت الطائـرات الأمريكية مزودة بوسائل الكترونية متقدمة ولاتعتمد على كفاءة المـوجـه.

الطيـــارون :

اعتمدت إسرائيل على أكفأ طياريها فى مرحلة حرب الاستنزاف فى نفس الوقت التى جندت الكثير من الطيـارين الأجانب والمتطوعين بحيث كانت نسبة الطيارين الى الطائرات ١,٥ – ١ بينمـا كـان الطيـارون المصـريون من الشبـاب المتـخـرج حـديثـا والجـارى إعـداده وتدريبه، والذى اكتسب خبرته القتـاليـة أسـاســا من الاشتباكات مع الطائرات الإسـرائيليـة اثـناء حرب الاستنزاف.

تنفيذ الخطط المضادة :

فى بداية حـرب الاسـتنزاف قـررت القيـادة الإسرائيلية – والتى كـانت على علم تام بالفارق بين القوات الجوية المصرية وقوتـها الجوية – إلى استـدراج المقاتلات المصرية الى معارك جوية مـدبرة حشدت لها أكفأ طياريها.. بحيث يتم تدمير هذه القوات مبكرا وتضمن السيادة الجوية بعد ذلك.. قد نجحت اسرائيل الى استدراج طائراتنا فى عدة مـعارك ، إلى ان تم اكتشاف الخطة الإسـرائـيلية وتنفيذ الخطط المضادة لها.

كان هناك فارق كبير بين أهداف استخدام القوات الجوية للطرفين :

فبينما كانت اسرائيل تهـدف إلى تحقيق السيطرة الجوية ، وإستخدام الطيران كأداه ردع لتحقيق أهداف استراتيجية لتدمير القدرة والارادة المصرية والضغط على القيادة السياسية المصرية كانت أهداف القوات الجوية المصرية تنحصر فى أهداف دفاعية مطلقة.. وقـد نبعت الأهـداف من القـدرات اساسا وقـد بلغ مـتـوسط المجهـود الجـوى الشـهرى الإسـرائيلى خـلال النصف الثانى عام ١٩٦٩ حوالى ٥٧٣ طائرة زادت خلال عــام ٧٠ إلى حوالى ٨٩٢ طائرة.

ويمكن تلخيص نتـائج تقـييم أعمـال القـوات الجـوية المصرية خـلال حـرب الاستنزاف فى الآتى :-

* المشاركة فـى تـوفير المعلومـات عـن قوات العدو فى سيناء والبحرين الأبيض والأحـمـر .

* المشاركة فى استنزاف قوات العدو فى سيناء .

* تأمين التجمعات الرئيسية للقوات البرية والأهداف الحيوية عن الدولة ٠

القسم الثالث : عمليات قوات الدفاع الجوى

عملية إعادة البناء

كانت عملية بناء الدفاع الجوى تحتاج الى جهود جبارة فى مجالات متعددة كما كانت تحتاج الى وقت والى تفرغ كامل . وهنا تكمن المشكلة الحقيقية لان قوات الدفاع الجوى يجب أن تكون دائما فى اوضاع استعداد سلما وحربا لصد أية هجمات جوية فى ظروف الحرب ، ومنع اى اختراق تقوم به الأطراف الاخرى لاغراض الاستطلاع او ماشابه ذلك فى زمن السلم .
وكان من البديهى بعد يونيو ١٩٦٧ أن تكون وحداتنا فى أوضاع استعداد متقدمة وهذا يعنى إيقاف أى انشطة اخرى وبقاء الأطقم والأسلحة والمعدات ومراكز العمليات جاهزة لمواجهة أية أعمال عدائية تقوم بها الطائرات الإسرائيلية، وهنا يجب أن نلاحظ ان مايفصل بين لحظة انطلاق الطائرة من قاعدتها ولحظة وصولها إلى الهدف وقصفه عبارة عن دقائق معدودة ، وان أول شرط لنجاح أى سلاح دفاع جوى فى معركته ضد هذه الطائرة هو استغلال كل ثانية من هذه الدقائق لتنفيذ كافة الاجراءات التى تسبق وتصاحب الاشتباك الناجح وكانت أوضاع الاستعداد هذه تعنى أيضا استحالة سحب أى وحدة من موقعها لإجراء تدريبات خارجية أما إخلاء كتيبة صواريخ أوجهاز رادارلاجراء بعض التعديلات الفنية به فإنه يؤدى إلى حدوث خلل فى الخطة الدفاعية ، خاصة مع النقص الواضح فى الامكانيات المتيسرة .

وبالرغم من ذلك استطعنا بوسيلة أو بأخرى أن نتغلب على هذه المشكلة ثم بدأت حرب الاستنزاف فى مارس ١٩٦٩ ، وانطلقت المدفعية المصرية تدك مواقع العدو فى سيناء عند ذلك قال عزرا وايزمان من يملك السماء يملك الارض ، وعلى الفور أقلعت الطائرات الإسرائيلية لتمطر قواتنا على طول الجبهة بآلاف القنابل والصواريخ . وهنا جاء دور الدفاع الجوى ليمنع هذه الطائرات من تحقيق مهامها **ولكن كيف ؟**

كان كل ما لدينا فى جبهة القناه ست كتائب صواريخ سام – ٢ وعدد من وحدات المدفعية المضادة للطائرات ، بينما كان لدى اسرائيل اكثر من (٣٠٠) طائرة قتال حديثة وسوف تزداد كما ونوعا بوصول صفقة الفانتوم خلال ذلك العام (١٩٦٩) وكان الطيارون الإسرائيليون يعرفون جيدا مواقع وحداتنا فى الجبهة وإمكانياتها القتالية ، ويعرفون أن الصواريخ سام – ٢ لايمكنها الاشتباك مع الطائرات التى تحلق على ارتفاعات منخفضة إذ لم تكن هذه الكتائب قد عدلت بعد ، ويعرفون انها لاتسطيع الاشتباك مع أكثر من هدف واحد فى نفس الوقت وكان الطيار الإسرائيلى يتقن أكثر من طريقة لمهاجمة هذه الصواريخ وتدميرها ولقد حاول مرات ومرات ولكنه لم يحقق هدف القيادة الاسرائيلية ، وهو اخلاء الجبهة من الصواريخ أرض / جو ، فقد استطعنا بما لدينا من امكانيات محدودة ان نوفر حدا أدنى من التكامل بين وحدات المدفعية م /ط التى يمكنها الاشتباك بالطائرات على ارتفاعات منخفضة ووحدات الصواريخ التى تعمل على ارتفاعات متوسطة .. ،كانت نيران المدفعية تجبر الطائرات الإسرائيلية على الارتفاع ، ومن ثم تدخل مناطق نيران الصواريخ ... وبهذا امكن التغلب جزئيا على مشكلة سام – ٢ إلا أن العدو كان يحشد اعدادا كبيرة من الطائرات فى كل هجمة ، مدعمة بكافة صور الحرب الالكترونية ، وكان ينجح فى إسكات بعض المواقع وتكبيدنا خسائر فى الارواح والمعدات .وفى أعقاب كل معركة ، كانت تندفع على الفور مجموعة من اكفأ ضباط الدفاع الجوى لاستعادة الموقف ، وتحليل الهجوم ومعرفة نقاط القوة والضعف ، ودراسة العدو وأسلحته واكتساب خبرات جديدة وإدخال التعديلات المناسبة على طرق الاشتباك ، وذلك كله بالتعاون والتشاور مع قادة وأطقم الوحدات التى خاضت المعركة .

واصبحت هذه الكتائب الست شوكة فى جنب العدو حقا إنها لم تمنع الطيران الاسرائيلى من قصف قواتنا ولم يكن فى مقدورها أن توفر حماية للقوات البرية فى عمليات العبور والهجوم عندما يحين اليوم المنشود .. ولكنها على اى حال كانت تحرم الطائرات المعادية من العمل بحرية ، وكانت تنجح أحيانا فى إسقاط إحدى طائراته ، ولكن الثمن الذى كنا ندفعه كان غاليا.

وفى عام ١٩٦٩ واجهنا جميع صور العدائيات الجوية . ففى البداية قامت الطائرات الإسرائيلية بإختراق مجالنا الجوى فى الجبهة وفى العمق بهدف استطلاع نشاط قواتنا المسلحة وتحديد أماكن بعض أهدافنا الجوية بدقة ، ومعرفة رد فعل دفاعنا الجوى ، وفى نفس الفترة نشط الاستطلاع الالكترونى بواسطة طائرات ذات تجهيز خاص تحلق شرق القناة والساحل الشرقى

لخليج السويس على مسافات بعيدة ، من ٥٠ – ٧٠ كم ، وطائرات أخرى تحلق أمام الساحل الشمالى من البردويل شرقا حتى السلوم غربا بأعماق تتراوح بين ٥٠ – ١٠٠كم أى خارج مجالنا الجوى .

أما أول عملية هجوم جوى فقد جرت يوم ٢٢ / ٤ / ١٩٦٩ عندما قامت مجموعة من الطائرات الاسرائيلية بمهاجمة موقعى الرادار المصرية بالاردن وكان هذان الموقعان قد نشرا هناك عقب حرب يونيو ١٩٦٧ لتوفير إنذار مبكر عن أى هجوم جوى إسرائيلى مفاجىء ونجحت الرشاشات التى كانت تدافع عن هذه المواقع فى تدمير طائرة فوتور إسرائيلية سقطت داخل الموقع . اما الهجمات الجوية المركزة فقد بدأت فى شهر يوليو واستمرت حتى آخر العام ، وكان الهدف منها إخلاء الجبهة من كتائب الصواريخ سام – ٢ وكان صراعا عنيفا استعرضت فيه إسرائيل قوتها بوضوح .

ففى يوم ٢٠ يوليو ١٩٦٩ قامت (٤٦) طائرة ميراج وسكاى هوك بمهاجمة كتيبة صواريخ واحدة كانت تتمركز فى بورسعيد بقيادة الرائد / رجب عباس الذى استشهد فى هذه المعركة وقامت الطائرات بقصف هذه الكتائب بالذخائر الآتية :

* ٤٦ قنبلة زنة ٥٠٠ . ١٠٠٠ رطل بإجمالى عشرين طنا من المواد شديدة الانفجار
* ٢٤ صاروخ جو / أرض .
* مجموعة من قنابل النابالم، ولكنها سقطت فى البحر .

ولم يكن هناك أى مبرر لهذا الحشد الهائل من الطائرات اللهم إلا الخوف ، أو ربما محاولة إرهاب الدفاع الجوى ، وإحباط المقاتلين واشعارهم بمدى تفوق عدوهم . ولكن لماذا سقطت قنابل النابالم فى البحر ؟ ... هل كان ذلك بسبب خوف الطيارين ؟ وفى نفس اليوم ، وبالتحديد فى الساعة السابعة والنصف مساءاً قامت تسع طائرات سكاى هوك بمهاجمة كتيبة صواريخ أخرى كانت تتمركز فى منطقة العين الساخنة ، وفشل الهجوم حيث ركزت الطائرات الإسرائيلية قصفاتها على الموقع الهيكلى .

واستمرت عمليات الهجوم الجوى الحاشد على كتائب صواريخ سام – ٢ فى الجبهة طوال الأشهر التالية ، وكان متوسط عدد الطلعات الجوية المعادية خلال هذه الفترة يقترب من (٦٠٠) طلعة شهريا ، وازدادت خلال شهر ديسمبر إلى حوالى (٨٠٠) طلعة طائرة . وكان الدفاع الجوى يقوم باستعادة موقف التجميع بعد كل هجمة

جـويــة الى أن كـان يـوم ٢٥ ديسمبـر ١٩٦٩ حيث شن العدو مجموعة من الهجمات الجوية المركزة المتوالية على هذه الكتائب الست بعدد ١٩٢ طائرة ، واستمر الهجوم ثمانى ساعات مدعما بكافة صور الاعاقة الالكترونية الايجابية والسلبية من مصادر أرضية ثابتة ، ومن أجهزة محمولة فى طائرات خاصة كانت تحلق فى سيناء ، ومن طائرات تحمل معدات إعاقة وتصاحب تشكيلات الهجوم ، ومن طائرات الهجوم نفسها . وبلغت كمية المتفجرات التى القتها الطائرات المعادية فوق كل موقع فى ذلك اليوم مـائتى طن وفى هذا الهجوم استخدمت طائرات الفانتوم لأول مرة . وبالطبع كانت نتيجة هذه المعركة دماء .. ودمار وأصبح من الواضح أن العائد من وجود هذا العدد القليل من كتائب سام – ٢ فى الجبهة أقل كثيرا من التضحيات التى نتجشمها كما أن هذا العدد لايوفر تغطية كاملة للقوات البرية ، وكثيرا ما تقوم الطائرات الاسرائيلية بمهاجمتها خارج نطاق هذه التغطية . ولهذا فقد قرر إخلاء الجبهة مؤقتا من الصواريخ المضادة للطائرات . وكان قرارا حكيما رغم قسوته (وهذه هى طبيعة الحرب على أى حال .. كّر ..وفر) ولكن متى يأتى يوم الكّر؟

مشاكل .. وحلول .. وخبرات

وانتهى عام ١٩٦٩بدمائه وشهدائه وجولاته مع الطيران الإسرائيلى . كان ميزان القوى الكمى يميل بوضوح الى جانب إسرائيل . مع ذلك كنا نقاتل ببسالة وشراسة ، ونحقق خسائر فى العدو ، حتى أن مجلة جويس اوبزرفر البريطانية نشرت يوم ٢٣ اغسطس ١٩٦٩ مانصه تؤكد العمليات الجوية التى بدأت فى شهر يوليو أن مصر تخوض غمار حرب استنزاف ضد السلاح الجوى الإسرائيلى ، وأن استمرار الغارات الجوية الإسرائيلية على الجبهة المصرية وتصدى الدفاع الجوى المصرى لها إنما يعنى انه من الممكن القضاء على التفوق الجوى الإسرائيلى فى المدى البعيد ، واذا لم تسطع إسرائيل تعويض خسائرها .

ولكن الأهم من ذلك هو حصيلة الخبرات التى تجمعت لدينا ، فالواقع انه لايعلم الحرب مثل الحرب . وليس من يقرأ ويسمع ويرى كمن يمارس القتال الفعلى. وقد قال الشاعر: السيف أصدق أنباءً من الكتب.إن رؤية دماء الشهيد الاخ والصديق والزميل تشحذ الهمم وتصعّد روح التحدى لدى المقاتل ، وتشحنه بقوة هائلة لايمكن أن يصفها كلمات أى لغة .

لقد تعلمنا الكثير خلال ذلك العام الدامى ، وسرت روح الابتكار كالشرارة لدى المقاتلين من أصغر جندى الى أكبر قائد ، لتبدع حلولا لمشاكل كانت تبدو مستعصية على الحل مثل مشكلة الحرب الالكترونية والارتفاع المنخفض ، وتوفير الوقت اللازم للتدريب ، والحصول على أقصى

عائد من الوقت والامكانيات المتاحة .... ونتيجة للقتال شبه الدامى مع الطائرات الإسرائيلية. أصبحنا على وعى تام بعميق تفكير عدونا ، مع قدرة على التنبؤ بخطواته القادمة ، والاستعداد لمواجهتها فى أغلب الاحيان .. واكتشفنا أنه على درجة عالية من الكفاءة ولديه أسلحة كثيرة متطورة ويجيد استخدامها تخطيطا وتنفيذا .. هذه حقيقة ولكنه مع ذلك ليس أسطورة ويمكن هزيمته،وكان نجاحنا فى إسقاط أول طائرة فانتوم فى عام ١٩٧٠ دليلا على ذلك .. وهذه قصة من حق القارئ أن يعرفها.

أغنية ســــام

كانت الطائرة الفانتوم أحدث طائرة قتال امريكية فى ذلك الوقت .. تتمتع بتسليح ممتاز ، وحمولة كبيرة من القنابل والصواريخ ، ذات سرعة عالية ومدى كبير وقدرة على المناورة غير مسبوقة . أما تجهيزاتها الالكترونية فكانت شيئا جديدا تماما فهى تشمل أجهزة إعاقة الكترونية متطورة ، ولم يكن ذلك هو المهم ولكن الأمر الخطير هو منظومة التحذير من الدفاع الجوى المعادى، وكانت هذه المنظومة تحتوى على أجهزة استقبال وحواسب الكترونية وبمجرد أن تدخل الطائرة الفانتوم فى مجال الكشف الرادارى المصرى يلتقط جهاز الاستقبال الطاقة التى تشعها اجهزة رادارنا ويخطر الطيار بذلك ، وعندما تطلق صاروخا يقوم جهاز الاستقبال بالتقاط الأوامر التى توجه هذا الصاروخ وينذر الطيار بذلك ، ويبدأ الكمبيوتر فى إجراء مجموعة من الحسابات تشمل مكان الصاروخ والطائرة وسرعة كل منهما وقدرتهما على المناورة ، ومجموعة أخرى من العوامل وفى اللحظة المناسبة يصدر أزيزا معينا ، أسموه اغنية سام كما تظهر على الشاشة الالكترونية امام الطيار التعليمات اللازمة لكى يقوم بالمناورة ويتفادى الصاروخ المصرى . وفى اثناء المعركة الكبرى التى جرت يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٩ ، كانت صواريخنا تنطلق فى الوقت المناسب وتوجه بدقة ، ومع ذلك لم تكن تصيب طائرات الفانتوم .. لماذا الفانتوم بالذات؟ .

عكفنا بعد المعركة مباشرة على دراسة تفاصيل التجهيزات الالكترونية لهذه الطائرة ، واكتشفنا وجود منظومة التحذير هذه ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى تجهز فيها الطائرات بمعدات تحذير .. واستطاع ضباطنا أن يبتكروا اسلوبا لخداع هذا الجهاز الجديد .. وفى اول اشتباك جرى بعد ذلك نجحنا فى إسقاط أول طائرة فانتوم .. وعند استجواب الطيار الاسير قال لقد سمعت أغنية سام ونفذت ما أمر به الكمبيوتر بدقة ولكنى فوجئت بالصاروخ يتجه نحو الطائرة مما اضطرنى إلى القفز بالمظلة .

لقد بدأنا نرى أول شعاع فجر الانتصار . الحقيقة أن عام ١٩٦٩ رغم قسوته كان القاعدة التى انطلق منها فكر مصرى خالص كان أساسا لمدرسة دفاع جوى حديثة ظهرت فى حرب أكتوبر ، وشهدت بكفاءتها معاهد الدراسات الاستراتيجية فى العالم أجمع . ولكن الجبهة كانت مازالت بلاغطاء .

خطـــة جـــــديدة

كانت وحدات المدفعية المضادة للطائرات الموجودة فى جبهة القناه بمداها وإمكانياتها المحدودة غير قادرة على توفير وقاية حقيقية للقوات المسلحة فى الجبهة . والواقع أنه فى نفس اللحظة التى صدر فيها قرار إخلاء الجبهة من الصواريخ مؤقتا ، بدأ التفكير فى خطة جديدة لبناء تشكيل دفاع جوى متكامل يكون ندا للعدو الذى عرفناه ، ويستطيع تحييده وتقديم حماية فعالة لقوات الجبهة . وكانت ملامح الخطة الجديدة قد نضجت تدريجيا فى أذهان ضباط القيادة

وتلخصت أهم الملامح فى الآتى :-

* **مد مظلة** الوقاية بالصواريخ الى أقصى مسافة ممكنة شرقا لحماية القوات التى سوف تعبر القناه وتقتحم مواقع العدو عندما يصدر قرارا لهجوم .
* **حشد أكبر عدد** ممكن من وحدات الصواريخ والمدفعية م / ط للدفاع عن الجبهة بحيث يشكل تجمعا متماسكا .
* **رفع العائد القتالى** للوحدات بمزيج من التدريب الواعى ، واستخدام تكتيكات جديدة ، بناءاً على خبرات القتال المكتسبة ، واستمرار الجهود والبرامج الجارية لإدخال تعديلات فنية على الأسلحة والمعدات لزيادة إمكانياتها القتالية
* **وضع خطة متكاملة** تحقق الإنذار المبكر عن اقتراب الطائرات المعادية مهما كان ارتفاعها .
* **بناء مواقع محصنة** بدرجة تمكنها من الصمود أمام لقنابل والصواريخ المعادية .
* **وضع تخطيط ذكى** لخداع العدو عما يجرى حتى يمكن نشر الوحدات فى مواقعها الجديدة دون تدخل من طائراته .

التخطيط ...والتنفيذ

كان وضع الخطة أمرا سهلا . ولكن التنفيذ كانت تعترضه مجموعة من المشاكل والعقبات التى لابد من تذليلها قبل البدء فى التنفيذ .

وكانت المشكلة الأولى – الدائمة – تتعلق بالامكانيات .. كيف نوفر العدد اللازم من وحدات الصواريخ والمدفعية م ط والانذار لبناء تجميع دفاع جوى متماسك وفعال ؟

واحتاجت الاجابة على هذا السؤال الى إجراء دراسة مشتركة مع القيادة العامة والوزارات المختلفة لحصر الاهداف الحيوية فى كل بقاع الجمهورية .. أوضحت هذه الدراسة ان لدنيا أعدادا كبيرة من الاهداف الحيوية العسكرية والمدنية التى لا يمكن تركها دون حماية .. ومن ثم فإن عدد الوحدات التى يمكن توفيره يكاد يكفى لتحقيق مجرد دفاع خطى عن الجبهة . ومعنى هذا أن التجميع سيكون هشا ، وتستطيع القوات الجوية الاسرائيلية بتركيز بعض جهودها أن تقوم فى البداية بخلخلته ، ثم تدميره والقضاء عليه بعد ذلك .. ورغم علمنا بهذه الحقيقة ، فقد كان هذا العدد هو أقصى مايمكن سحبه من الدفاعات القائمة .. إذن ماهو الحل ؟ تحاورنا فى ذلك مرات ومرات وقلبنا الامر على كافة وجوهه ، وطرحنا حلولا كثيرة ، وأخيرا استقر الرأى على ضرورة خداع القيادة الاسرائيلية عن المكونات الحقيقية للتشكيل المخطط إنشاءه ، وإيهامها بأن عدد وحداته يزيد كثيرا عن الواقع وذلك بالتوسع فى استخدام المعدات الهيكلية ، والقيام بالمناورة بين الحين والآخر وزرع الكمائن هنا وهناك ولكن هل هذا ممكن ؟ .. هل نسطيع حقا حجب الحقيقة عن وسائل الاستطلاع الاسرائيلية والامريكية ؟ فى ذلك الوقت كان هناك شك فى ذلك ، وكان الخوف من أن يلاقى التجمع الجديد نفس مصير التجمع السابق مما أثار القلق فى نفوس القيادة .

اما المشكلة الثانية فكانت تتعلق بضرورة بناء مجموعة كبيرة من المواقع المحصنة تحصينا قويا قادرا على تحمل القنابل والصواريخ الاسرائيلية بالطبع لن تكون الهوائيات الضخمة داخل التحصينات ولكن باقى المعدات سوف تتوفر لها الحماية على أى حال وكان عدد هذه المواقع يجب أن يكون كبيرا كى تتمكن الكتائب من إجراء المناورة بينها ، ويمكن شغل الخالى منها بمعدات هيكلية لخداع العدو وامتصاص بعض هجماته . ووضع المهندسون تخطيط هذه المواقع ومواصفاتها . وبدأت الشركات المصرية فى التنفيذ. ولكن ما موقف القيادة الاسرائيلية ؟

الموقف الاسرائيلى

بمجرد أن بدأ العمل فى بناء المواقع انهالت تصريحات قادة إسرائيل معبرة عن إصرارهم على منع مصر من إدخال صواريخها الى الجبهة أو السماح بإنشاء أى تجهيزات هندسية لاستقبال هذه الاسلحة .

ففى ٢٩ مارس ١٩٧٠ صرح حاييم بارليف لمجلة تايمز الامريكية بقوله إن صواريخ سام ليست دفاعية ، وإن مجرد إقامة هذه الصواريخ سيعطى مصر قوة هجومية ، وسيخلق لديها شعورا بالحرية لفعل ماتريد .

وفى اليوم التالى مباشرة قال ايجال آلون : إن اسرائيل تنوى القيام بأقصى مجهود للحيلولة دون إقامة شبكة الدفاع الجوى المصرية . وإن السيطرة الاسرائيلية فوق منطقة القناة ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها ، وإن خطتنا هى متابعة القصف الجوى لمنع إقامة شبكة دفاعية جديدة أو ترميم الشبكة القديمة وفى ١٠ مايو صرح موشى ديان فى ثقة وصلف بأن اسرائيل لن تسمح بإقامة شبكة صواريخ م ط فى منطقة القناة. وأصبحت الصورة واضحة كالشمس فى منتصف شهريوليو .. فالقادة فى كل من مصر واسرائيل يعلمون علم اليقين أن القوات المسلحة المصرية لايمكن أن تعبر القناه وتهاجم المواقع الاسرائيلية فى سيناء دون حماية من الصواريخ ولهذا فهو أمر حتمى بالنسبة لمصر ، وعلى العكس بالنسبة لاسرائيل .. وتحول الموضوع الى صراع سافر وعنيف بين إرادتين .. ياترى لمن تكتب الغلبة فى هذا الصراع ؟ .

فدائية الانسان المصرى

لم تكن تصريحات القادة الاسرائيليين كلاما فى الهواء ، فقد ترجمت عمليا على الفور الى مئات الطائرات التى أخذت تقصف المهندسين والعمال القائمين ببناء المواقع بالآف القنابل والصواريخ . ففى شهر مارس ١٩٧٠ وجهت اسرائيل ١١٦ هجمة جوية ضد العاملين فى إنشاء هذه المواقع ، وفى شهر ابريل تعرض هؤلاء الابطال إلى ١٠٣ هجمة جوية اسرائيلية .. ولم تكن المدفعية والرشاشات م ط وحدها قادرة على صد هذه الهجمات ، ونتيجة لهذا القصف الجوى مستمر استشهد كثيرون من المهندسين والعمال ، وبالإضافة إلى عدد كبير من ضباط وجنود مدفعية م ط .

وبالرغم من ذلك صمم العاملون فى البناء على إتمام عملهم ولما كان القصف الجوى يتم عادة أثناء النهار ، فقد قرروا العمل ليلاً وبإستخدام المصابيح اليدوية ، ومع ذلك فقد كانت الطائرات الاسرائيلية تقوم فى صباح اليوم التالى بقصف ما تم إنشاءه قبل أن يجف ولم تتوقف عملية البناء ولكننا فى الواقع كنا ندور فى حلقة مفرغة ، فما يبنية العمال أثناء الليل تهدمه الطائرات أثناء النهار .

عبد الناصر يجتمع بقادة الكتائب

وفى التاسع من ابريل ١٩٧٠قامت قيادة الدفاع الجوى باستدعاء أربعة من قادة كتائب الصواريخ المقرر دفعها الى الجبهة وحدد مكان الاجتماع فى القيادة العامة للقوات المسلحة ، وكان ذلك مثارا لتساؤل هؤلاء القادة ، وكلهم من رتبة رائد .

وفى الساعة السابعة مساء فوجئوا بدخول الرئيس جمال عبد الناصر الى قاعة المؤتمر ، ويصحبته الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية والفريق محمد صادق رئيس الأركان واللواء محمد على فهمى قائد الدفاع الجوى . وكانت هذه هى المرة الاولى التى يجلس فيها هؤلاء الرواد (قادة الكتائب) وجها لوجه مع رئيس الجمهورية .

وفى البداية قام اللواء محمد على فهمى بشرح الموقف على الجبهة وأوضح كيف يقوم الطيران الاسرائيلى بمهاجمة مواقع المدفعية م ط على ارتفاعات متوسطة ومن مسافات خارج مرماها المؤثر . وأضاف أن الهجمات الجوية مستمرة فى التركيز على مواقع الصواريخ الجارى إنشائها وبعدها بدأ الرئيس عبد الناصر حديثه باستعراض الموقف السياسى والعسكرى منذ يونيو ٦٧ . وقال إن مرور ثلاث سنوات يجعلنا نفكر فى سرعة تحرير الارض وأن العدو الجوى لابد أن يأخذ جزاؤه ، وهذا لن يتحقق الا بدخول كتائب الصواريخ الى الجبهة ، نظرا لأن قواتنا الجوية مازالت فى مرحلة التكوين والاعداد حتى يمكن أن تقوم بدورها بكفاءة فى اللحظة الحاسمة .

ثم وجه كلامه الى قادة الكتائب الاربعة قائلا لقد جئت للاجتماع بكم أنتم المنفذين للعملية ، لأعرف رأيكم الصريح فى هذا الموضوع ، حيث إن دخولكم الجبهة لن يكون لفترة محدودة ، ولكن للاستمرار ، حتى نتمكن من إعادة تجميع الجيوش والتشكيلات الميدانية ، فهل يمكنكم تنفيذ هذه المهمة ؟ ... أود ان استمع بالتفصيل الى كل واحد منكم ثم أخذ الرئيس يدير الحوار معهم .

وتحدث القادة الاصاغر بجرأة وصراحة ، وشرحوا للرئيس كافة التفاصيل المتعلقة بتنفيذ العملية ، وإمكانيات كتائب الصواريخ سام –٢ وأساليب وتكتيكات العدو الجوى ، والمصاعب والمشاكل التى تؤثر سلبيا على نجاح العملية واستمرارها . وناقشهم عبد الناصر فى كل ما قالوه ، واستوعبه تماما وكان قراره فى نهاية الاجتماع تأجيل دخول الصواريخ الى الجبهة إلى حين ، على أن يعقد مؤتمر تالى بعد اسبوع لاستكمال المناقشة (وكانت الساعة تقترب من الثالثة صباحا) وبعد اسبوع وفى الساعة السابعة مساء يوم ١٦ / ٤ / ٧٠ عقد المؤتمر التالى بحضور المجموعة السابقة ومعهم اثنان من قادة ألوية الصواريخ المقرردخولها الجبهة .

ويدأ الرئيس عبد الناصر الاجتماع بعرض المشكلة قائلا إنه لا يمكن السكوت على الاعتداءات المتكررة التى يمارسها الطيران الاسرائيلى ولابد من إيجاد وسيلة للرد عليه ثم تحدث عن خبرة القتال فى فيتنام ، وكيف واجهت الصواريخ سام – ٢ الطائرات الامريكية . ثم ادار حوارا مع قادة الكتائب حول إمكانية تنفيذ كمائن بكتائب الصواريخ لاصطياد الطائرات الاسرائيلية . وفى

هذا الحوار تمت مناقشة الاجراءات والضوابط الازمة لتنفيذ هذه الكمائن بنجاح وانتهى الاجتماع فى الثانية صباحا بعد إقرار موضوع الكمائن كحل مؤقت .

الكمـــائـن

كانت الكمائن فكرة جيدة بلا شك .. إذا نجحت .. غير أن هذا النجاح يتوقف على مجموعة من الشروط كان من الصعب تحقيقها لقد نجحت بالفعل فى فيتنام عندما توفرت هذه الشروط ، وخاصة وجود الغابات التى تساعد على اخفاء المعدات أما فى مصر فإن مسرح العمليات يختلف .. ويبدو ان قبول المجتمعين لهذا المقترح كان دافعه أمران هما الحماس ، وعدم وجود بديل آخر.

وكانت العقبة الرئيسية امام تنفيذ هذه الكمائن بنجاح هى حجم وعدد مكونات كتيبة الصواريخ سام – ٢ فقد صممت هذه النوعية للدفاع عن المدن والأهداف الحيوية الثابتة ، وتتكون من مجموعة ضخمة من الأجهزة والمقطورات والهوائيات كبيرة الحجم ثقيلة الوزن ، يصلها ببعض مجموعة كبيرة من الكوابل ، ويحتاج فك هذه المعدات والهوائيات وتجهيزها للتحرك الى ساعات وساعات ويلى عملية التحرك ثم تركيب الهوائيات ، ونشر المعدات ، وفرد الكوابل وتوصيلها واخيرا مئات الدوائر الكترونية التى لابد أنها قد اختلت بسبب التحرك على طرق وعرة ، والمشكلة ليست فى امكان تنفيذ هذه الاجراءات ... ولكن فى الوقت .. إذ كان من المحتم أن تتم العملية كلها فى الظلام وفى ليلة واحدة وبحساب الازمنة القياسية الموضوعة فى الكتب الخاصة بهذه الكتائب ، واضافة الوقت اللازم للتحرك ، اتضح ان ليلة واحدة لاتكفى . وهناك أيضا شروط يجب توافرها عند اختيار موقع الكمين من أهمها ان يكون فى الطريق المحتمل لاقتراب الطائرات المعادية وعدم توافر هذا الشرط يعنى فشل الكمين لان الكتيبة لن تظل فى هذا المكان الجديد فى العراء الا فترة بسيطة ، ثم عليها أن تنسحب ، والا فإنها سوف تنكشف بواسطة الطائرات المعادية .. فإذا لم تمرالطائرة فى منطقة النيران المؤثرة للكمين ، فإن العملية بالكامل تصبح بلا جدوى .

قد يكون من السهل ان ننفذ الكمين بوحدات صواريخ ذاتية الحركة ، ولكن بمثل وحدات سام – ٢ فالأمر مشكوك فى نجاحه .. ولكننا لم نكن نملك هذه الوحدات الخفيفة ومرة ثانية اقول انه لم يكن أمامنا بديل آخر .

إرادة التحدى :

اتخذ قرار الكمائن بعد منتصف ليلة ١٦ ابريل ، وخلال أقل من أسبوع تم الإعداد للكمين الاول وكان من المدهش حقا أن ينجح الضباط والصف والجنود فى تقليل زمن تجهيز الكتيبة

للتحرك والاشتباك الى أقل من نصف الزمن القياسى المحدد فى كتب التعليم والموضوع للأطقم ذات الكفاءة العالية ، وكان هذا يعنى انهم استطاعوا ان يحولوا الصواريخ سام – ٢ الثابتة الى صواريخ خفيفة الحركة ، خلال أيام قليلة . وكان التدريب يتم ليلاً فقط . ونتيجة للاهتمام بكفاءة الحملة العربات والجرارات والسائقين– وجميع التفاصيل الخاصة بالتحرك أصبح من الممكن إتمام العملية بالكامل فى ليلة واحدة وخلال هذه الايام تم اختيار الموقع ، واتخذت كافة الاجراءات اللازمة وتم كل ذلك فى سرية مطلقة .

هل ينجح الكمين الأول ؟

وبعد آخر ضوء يوم ٢٣ ابريل بدأت كتيبتان فى التجهيز للتحرك .. ثم بدأ التحرك .. ثم وصلتا الى مواقعهما الجديدة ، ثم قامتا بالتجهيز للاشتباك .. وعند الخيوط الأولى من الفجر كان قد تم ضبط كل المعدات بنجاح . وتركزت عيون المقاتلين على الشاشات فى انتظار رؤية تلك النقطة المضيئة الصغيرة التى تدل على وجود الطائرة المعادية ، وبعد فترة انتظار لم تستمر طويلا ، ظهرت طائرة إسرائيلية شرق القناة ، وأطلقت كل كتيبة صاروخا ضدها .. ودمرت الطائرة الإسرائيلية بواسطة الصاروخ الأول .

على الفور تم تجهيز الكتائب للتحرك ، وعندما بدأت فى اخلاء الموقع كانت النيران مازالت مشتعلة فى حطام الطائرة فوق رمال سيناء ونجح الكمين الاول وبعد فترة وجيزة تم تنفيذ الكمين الثانى ، ونجح فى إسقاط طائرة أخرى ثم الكمين الثالث ، ولكنه لم ينجح فى تدمير اى طائرة . واستمر تنفيذ الكمائن بنجاح وصلت نسبته إلى ٧٢ ٪ ونتيجة لذلك أصبحت الطائرات الإسرائيلية أكثر حذرا ولهذا كانت قذائفها أقل تأثيراً ، وكثيراً منها كان يسقط بعيداً عن أهدافه .

والخلاصة أن أسلوب الكمائن نجح بالفعل فى اصطياد بعض الطائرات الإسرائيلية ولكنه على أى حال لم يكن بديلا لتجميع الدفاع الجوى المتماسك المفروض إنشائه فى الجبهة .

الصواريخ تدخل الجبهة

كانت المشكلة تتلخص فى الاتى :

* **لا يمكن مركزة** كتائب الصواريخ فى الجبهة فى مواقع غير محصنة .

* **لا يمكن إنشاء** مواقع محصنة دون حماية من كتائب الصواريخ .

إنها معادلة صعبة .. ولكننا وجدنا لها حلا وكان الحل يتلخص فى تنفيذ العملية بوثبات متتالية ، بحيث يتقدم النسق الاول فى اتجاه القناة ويحتل مواقعا ميدانية تدخل فى نطاق الدفاع

بالصواريخ عن مدينة القاهرة ويتعاون معه بالنيران ، ثم يندفع النسق الثانى ويحتل مواقعه أمام المجموعة السابقة وفى نطاق حمايتها ويتعاون معها بالنيران ويصبح نسقا أولا ويكون النسقان معا تجميعا متماسكا . قادرا على انشاء مظلة حماية للعاملين فى إنشاء التحصينات فى الجبهة . ولم يكن الامر سهلا فقد كانت هناك مشاكل عديدة تواجه التنفيذ من إنشاء تجهيزات ميدانية لعدد ٢٤ كتيبة صواريخ حقيقية وهيكلية ، وتجهيز مراكز القيادة والسيطرة ومواقع النيران والانذار بوسائل الاتصال اللازمة ، وتمهيد الطرق والمدقات والعديد من الاجراءات الضرورية لاحتلال النطاقات الجديدة وكان من المحتم أن يتم ذلك فى آخر وقت قبل الاحتلال وفى أقل زمن فى تنفيذ هذه الاعمال فى ليلة واحدة وهى الليلة السابقة لاحتلال النطاق الأول .

وبعد آخر ضوء يوم ٢٨ يونيو ١٩٧٠ بدأ تجهيز النسق الاول من وحدات الخطة أمل وهذا هو الاسم الكودى لعملية دخول الصواريخ أرض / جو المصرية إلى جبهة القناه ... وجهزت الوحدات للتحرك .. ثم بدأ التحرك .. ثم وصلت الصواريخ والمدفعية م ط المصاحبة لها الى مواقعها .. واخيرا بدأ التجهيز للاشتباك . ومن الصعب على الانسان الذى لم يشارك فى هذه العملية ان يصدق أن كل ذلك تم فى الظلام ، وأن تركيب الهوائيات الضخمة على ضوء المصابيح الميدانية .. انه بالفعل أمر لايصدق .. ولكنه حدث وفى أول ضوء كانت كتائب الصواريخ والمدفعية م ط جاهزة فى مواقعها الجديدة .

لم يشعر العدو بهذه القفزة الخطيرة ولم يقم بأى رد فعل خلال نهار ٢٩ / ٦ وبعد آخر ضوء من نفس اليوم قامت المجموعة الثانية من الوحدات باحتلال مواقعها الجديدة شرق المجموعة الأولى وفى صباح يوم ٣٠ يونيو كانت الصواريخ المصرية تحتل مواقعا يمكنها توفير الوقاية على مسافة ٣٠ كم غرب القناة ، ومن هذا الموقع يمكنها توفير الوقاية للقوات البرية المتمركزة غرب القناه وقد سارت خطة الخداع جنبا إلى جنب مع خطة احتلال المواقع ونجحت فى خداع العدو عن المكونات الحقيقية للتشكيل وذلك بالتوسع فى استخدام المعدات الهيكلية التى كان لها الفضل فى امتصاص نسبة كبيرة من الضربات الجوية فى الجبهة وفى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم ٣٠ يونيو رصدت أجهزة الردار طائرة استطلاع تحلق على ارتفاع ١٢ كم ، وعندما دخلت فى مدى النيران ، أطلقت عليها إحدى كتائب صواريخ التجميع نيرانها ولكن الطائرة استطاعت الافلات وعاد الطيار إلى قاعدته وقامت القيادة الإسرائيلية بتحليل الصور الجوية التى حصلت عليها الطائرة . وتوقعنا أن نواجه رد الفعل بعد وقت قليل وكان سيناريو الأحداث المنتظرة معروفا لدى الجميع حشد من طائرات الفانتوم وسكاى هوك والميراج مدعما بجميع وسائل الاعاقة الالكترونية الايجابية والسلبية وتحميه مجموعة أخرى من المقاتلات الاعتراضية ، وسوف يقوم هذا

الحشد بمهاجمة التجميع من جميع الاتجاهات ويقصفه بوابل من الصواريخ والقنابل زنة ٥٠٠ – ٢٠٠٠ رطل وسوف تبدأ المعركة فى خلال ساعة على الاقل .

ولم نعلم آنذاك لماذا استغرقت القيادة الإسرائيلية وقتا طويلا فى الاعداد للعملية الهجومية .. ولكننا اليوم نستطيع ان نقول انه الخوف فقد أوضحت الصور التى التقطتها طائرة الاستطلاع ان هناك عددا كبيرا من مواقع الصواريخ فى الجبهة ، ولم تسطع القيادة أن تدرك أن اكثر من نصفها كان هيكليا ، ومما يؤكد ذلك الرأى أن جولدا ماءيير (رئيسة الوزراء) قالت فيمابعد لقد زرع المصريون كل اراضيهم بالصواريخ ولاندرى أين يجدون الارض التى يزرعونها قمحا ومرت ساعة .. ونحن نترقب .. وساعة أخرى وثالثة ورابعة .... وبالتحديد فى الساعة السادسة و٣٦ دقيقة مساء ، أى بعد ستة ساعات ونصف جاءت الطائرات الإسرائيلية .. لم يكن عددها كبيرا ٢٤ طائرة فقط .

أسبوع إسقاط الفانتوم

كانت خطة العدو – كما اتضح بعد ذلك هى مهاجمة تجميع الصواريخ الجديدة فى أضعف نقاطه ، وهى الأطراف ، وبعد القضاء عليها يتحول الى كتائب الوسط ولهذا ركزت هذه الطائرات الاربع والعشرون قصفها ضد الكتيبتين الشمالية والجنوبية ، ولما كان التجميع الجديد متماسكا ومتعاونا مع بعضه بالنيران فقد اشترك اكثر من موقع فى صد هذا الهجوم ونجح قادة الالوية فى توزيع الاهداف المعادية على وحدات النيران بدقة ، واداروا المعركة بمهارة . ونجحت الوحدات فى إسقاط طائرتين فانتوم وطائراتين سكاى هوك ، كما أسرت ثلاثة طيارين اسرائيلين ... وانتهى الهجوم .. وانتهى اليوم .. وكانت هذه هى أول مرة تسقط فيها طائرة فانتوم .

وفى الساعة الحادية عشر و٤٨ دقيقة قبل ظهر اليوم التالى (١ / ٧) دفع العدو بطائرة استطلاع تحت غطاء من الاعاقة الالكترونية المركزة ، وفى حماية مجموعة من طائرات المشاغلة التى تحلق على ارتفاعات متوسطة وتقترب من مناطق نيران وحدات الصواريخ ولكنها لاتدخل فى مداها المؤثر وإنما تقفل عائدة .. والهدف من طائرات المشاغلة هذه جذب انتباه ونيران وحدات الصواريخ بعيدا عن طائرات الاستطلاع . ولم تشتبك وحداتنا بهذه الطائرات . وبينما قامت احدى الكتائب بإطلاق صاروخ على طائرة الاستطلاع ولم تصبها ولم يحدث فى ذلك اليوم أى نشاط جوى إسرائيلى بخلاف ذلك .. وكان ذلكأمرا غير متوقع وفى صباح اليوم التالى اقتربت الطائرات الاسرائيلية على ارتفاعات منخفضة جدا . وعاودت مهاجمة كتيبتى الاطراف ولم تحدث خسائر فى الطرفين ، وإن كانت أطقم المدفعية م ط قد أبلغت عن إصابة طائرة وتصاعد الدخان

فيـــها ، ولكنهم لم يروهــا تسقـط ومر يـوم ٣ / ٧ / ٧٠ دون قتال . وفى الســاعة العـاشــــرة يوم ٤ / ٧ اقترب تشكيل جوى معادى لمهاجمة كتائب الاطراف وعلى الفور تم الاشتباك معه ، وقبل أن تبدأ الطائرات فى الهجوم كنا قد أسقطنا طائرة فانتوم وبمجرد سقوطها فرت باقى الطائرات فى اتجاه الشرق . وفى اليوم التالى (٥ / ٧) حاولت ولا نقول قامت – الطائرات الاسرائيلية مهاجمة التجميع فى الساعة الثالثة وعشر دقائق عصرا وأسقطنا طائرتين احداهما فانتوم والاخرى سكاى هوك واسرنا طيارين إسرائيليين آخرين . ونتيجة لهذه الخســائر التى لم يتعودها العدو فى احدث طائراته وهى الفانتوم وسكاى هوك ، وفى أكفأ طياريه ، فقد توقف عن مهاجمة تجميع الصواريخ واكتفى بهجمات متفرقة ضد القوات البرية وكان من الطبيعى ان تتابع وسائل الاعلام العالمية مايحدث فى جبهة القناة ، ولهذا اطلق الغرب على تلك الأيام

أسبوع تساقط الفانتوم ـ الحائــط والدمـــوع

تجنبت الطائرات الاسرائيلية التجميع الجديد ، وقررت قيادتهم الابتعاد عنه تماما .. ربما مؤقتا .. واسموه حائط الصواريخ ولم يعجبنا هذا القرار .. كانت لذة الانتصار التى ذاقها لمقاتلون فى الايام الماضية أقوى من ان تقاوم ، وكانت رؤية اللقاء الصاخب بين الطائرة والصاروخ فى نظرهم أجمل من ان توصف وكان منظر الطيار الإسرائيلى الاسير وهو يسير مطاطىء الرأس بالمقارنة بصورته على شـــاشات التليفزيون العـالمية بعد يونيو ١٩٦٧ وهو يتحدث فى صلف وغرور تحمل الكثير من المعانى .

ودعمت الجبهة بصواريخ أخرى من العمق ، ونشطت أعمال الكمائن مرة أخرى وخلال هذه الفترة وحتـى وقـف إطلاق الــنيران أعلنت مصر أن دفاعها الجوى اسـقط ١٦ طائرة خلال ٣٨ يوم ، وكان هذا رقما متواضعا فى الحقيقة . اذ كان وزير الحربية يصر على أن يرى الطيار الاسرائيلى وحطام الطائرة قبل أن يصدق على اذاعة الخبر ، ولكن المستر برجس المشرف على المصالح الامريكية آنذاك تساءل فى لقائه مع أحد كبار المسئولين فى مصر عن السبب الذى يدعونا الى إذاعة اعداد أقل من الواقع ، فأجابة المسئول ضاحكا حتى نوقع بينكم وبين الاسرائيلين عندما يطلبون استعواض خسائرهم وفى ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ نشرت مجلة افييشن ديك الامريكية حصر لخســائر إسرائيل خلال الفـترة من ٣٠ يونيو حتى ٧ أغسطس ١٩٧٠ قالت فيه ان عدد الطائرات الاسرائيلية التى أسقطها الدفاع الجوى المصرى بلغ (١٧) طائرة تم تدميرها ، بينما اصيبت (٣٤) طائرة اخرى . وفى تلك الايام أعلن آباايبان وزير خارجية إسرائيل امام الكينست

ان سلاح الطيران الإسرائيلى يتآكل . وكانت هذه حقيقة ، فقد بدأ ميزان القوى يتحول بالفعل الى جانب الدفاع الجوى المصرى ، فقد قالوا فى العام السابق (١٩٦٩) إن الدفاع الجوى المصرى يرقص علىٍ أنغام الطائرات الإسرائيلية ، اما الان وبعد مرور أقل من عام اصبحت القوات الجوية الإسرائيلية تحاول الرقص على أنغام الدفاع الجوى المصرى •• ولكنها حتى الآن لم تستطع أن تجيد الرقص .

ولكن يجب الا ننسى ان شريطا من قواتنا البرية عرضه عشرة كيلومترات غرب القناة مازال خارج مظلة الصواريخ والمفروض أن تمتد هذه المظلة الى أقصى مدى ممكن شرق القناة .. **فهل هذا ممكن ؟** إنــه أمـــر حتمى وســـوف يحدث بلا شك فى الوقت المناسب .

القفـــــزة الكبـــرى

فى ذلك الوقت كان الحديث يدور حول مبادرة روجرز .. وكانت المبادرة تنص على تسكين الموقف فى جبهة القناة ، ومنع ادخال المزيـــد من قواعد الصواريخ اليها ، أو تقريب التجميع الحالى من القناة .

وقبل سريان الاتفاق بساعات قليلة قامت قيادة الدفاع الجوى بالقفز بتجميع الصواريخ الى مواقع متقدمة غرب القناة دفعة واحدة ، وتدعيمه بكتائب إضافية من العمق ، وامتدت مظلة الدفاع الجوى الى مسافة (٢٠) كم شرق القناة انتظارا ليوم الهجوم المرتقب ، وفى يوم ٨ أغسطس توقف القتال وانتهت حرب الاستنزاف التى قال عنها عزرا وايزمان الرئيس الحالى لإسرائيل فى كتابه فوق أجنحة النسور لقد كانت أول حرب تخسرها إسرائيل

الموقف بنهاية حرب الاستنزاف

إن نظرة سريعة على الدفاع الجوى المصرى بنهاية حرب الاستنزاف سوف توضح لنا أنه قد اصبح هناك تجميع دفاع جوى قوى متعدد الانساق على الجبهة يتمركز نسقه الأول على مسافة ١٠ كم من القناة وتمتد تغطيته الى مسافة ١٥ – ٢٠كم فوق سيناء وجاهز للانتقال الى مواقع متقدمة على مسافة ١– ٣ كم ، ليمد مظلته على القوات التى سوف تقوم بالعبور واقتحام خط بارليف والاســتيلاء على رءوس الكبارى . ويتكون هذا التجميع من الصــواريخ سام – ٢ ، وسام – ٣ وسام – ٧ ونوعيات متطورة من المدفعية م ط وان شبكة من المواقع المحصنة لاتؤثر فيها أسلحة العدو قد انشئت ، وأن القوات قد احترفت عمليات القيام بالمناورة ، وأصبحت قادرة على الانتقال من موقع إلى آخر فى أقل من نصف الأزمنة القياسية المحددة فى المراجع التعليمية وأن القوات قد أجادت عمليات الخداع وتنفيذ المواقع الهيكلية ، والمناورة بها وتغير شكل التجميع ، وقد امتصت

هذه المواقع نسبة كبيرة من الهجمات الجوية المعادية . وأن الدفاعات قد نظمت على أساس التكامل المدروس بين الاسلحة المختلفة بحيث تغطى نقاط القوة فى كل سلاح نقاط الضعف فى السلاح الاخر . إن اجراءات تكتيكية وفنية وتدريبية قد نفذت لمقاومة الحرب الالكترونية المعادية والتغلب عليها . كما وضعت أساليب مبتكرة لتضليل الصواريخ جو/ أرض الذكية المضادة للاشعاع وأن الدفاع الجوى المصرى قد أجبر القيادة الإسرائيلية على تعبئة قواتها الجوية بنسبة ١٠٠ ٪ طوال حرب الاستنزاف وأنه قد تجمعت لدى الدفاع الجوى المصرى خبرات لاحد لها كانت هى أساس النجاح فى حرب أكتوبر ، فضلا عن الروح المعنوية العالية والثقة بالنفس . إن الدفاع الجوى المصرى خلال الشهر السابق لوقف إطلاق النيران قد نجح فى تدمير ١٦ طائرة فانتوم وسكاى هوك وميراج على الاقل واعلنت إسرائيل أن سلاحها الجوى يتآكل وأنه بنهاية حرب الاستنزاف كانت جميع التشكيلات والوحدات والوحدات الفرعية تحت قيادة قاده على درجة عالية جدا من الخبرة والكفاءة ، وكان ذلك أهم أسباب النجاح فى حرب أكتوبر .

عقد الرئيس عبدالناصر أحد مؤتمرات المتابعة للقادة العسكريين يومى ٦ ، ٧ يناير ١٩٧٠ ، وكان الموضوعان الرئيسيان للبحث هما الإغارة الإسرائيلية لخطف رادار رأس غارب يوم ٢٤ / ١٢ / ٦٩ ، وبحث نتائج والاحتمالات خطة الاستنزاف المصرية وخطط الاستنزاف المضادة الإسرائيلية وكان يبدو على الرئيس وقتها التأثر الشديد من عمليات خطف الرادار وشدد على موضوعات التأمين والحراسة ومسئولية القادة نحوها ثم انتقل الى خطط الاستنزاف واستمع الى تقرير القادة المصريين ، ثم تقرير المستشارين السوفيت فى اليوم التالى – وكان قراره استمرار حرب الاستنزاف مهما تصاعدت أعمال الاستنزاف المضادة والمح لكبير المستشارين السوفيت على أن نجاح بعض الاعمال الإسرائيلية هو نتيجة لقصور الاتحاد السوفيتى فى الإمداد بمتطلبات مصر من الأسلحة والمعدات التى تتوازن مع مثيلتها الإسرائيلية وكان واضحا أن فكر الرئيس عبدالناصر يتحدد فى احتمال تصعيد المواجهة فى صيف عام ١٩٧٠ لذلك لابد أن نكون مستعدين لذلك ونستفيد من خبرات الحرب ونضيف اليها خبرات التخطيط والتنظم والادارة للعمليات المشتركة وكان القادة مقتنعين تماماً بتوجيهات الرئيس ، ومصرين على تنفيذها بحذافيرها ٠

لذلك فعندما بدأت العملية بريما فى أعقاب هذا المؤتمر كان القادة عند عهدهم فى مواجهتها بأقصى عنف ممكن ومع تصاعد القصف الجوى الإسرائيلى كانت هناك ضرورة لإعادة تقدير الموقف لأنه من الصعب على أى مسئول أن يرى سماء بلاده عرضه للانتهاك بالصورة التى تمت عليها الغارات الإسرائيليه – وخصوصاً أن القيادة المصرية كانت تنبه دائماً المسئولين السوفيت عن ضرورة إحداث توازن فى التسليح وضرورة إمدادنا بطائرات حديثة ودفاع جوى حديث وكان يقابل ذلك باستمرار بالتسويف أو الوعود التى لا تنفذ وقد وجد الرئيس عبدالناصر أن من واجبه كمسئول أن يضع النقاط على الحروف ويواجه القادة السوفيتى بحقائق

الموقف ويصحح لهم المقارنات التى وضعوها هم – من التسليح السوفيت والأمريكى لذلك قرر أن يقوم بزيارته السريه إلى موسكو(٢٢ – ٢٥ يناير ١٩٧٠) حيث وضع كل الحقائق على مائدة المفاوضات.. بل وصل فى قوله إلى إنه إن لم يصحح الاتحاد السوفيتى مساره فى إمداد مصر بالسلاح فإنه سيواجه الشعب المصرى بالحقائق كلها ويعلن إستقالته.

وهنا بدأ الموقف السوفيتى بتغير وإجتمعت اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعى لتقرر الاستجابه لبعض مطالب مصر فى الامداد بأنواع محددة من صواريخ الدفاع الجوى والطائرات ومعدات الحرب الالكترونيه وأن ترسل لأول مرة فى دولة ليست عضوا فى حلف وارسو – قوات سوفيتيه لتؤمن عمقها لحين استكمال قواتها لتدريبها والإحلال محلها – وكان شرط السوفيت أن لاتعمل هذه القوات على الجبهه واستجاب الرئيس لهذا المطلب – وقد شملت العناصر التى سمح الاتحاد السوفيتى بإرسالها الى مصر – والتى أعلنها الرئيس بريجيف فى مشهد تمثيلى فى بداية الاجتماع الأحد يوم ٢٥ يناير على : –

* **الامداد بفرقة دفاع جوى** صواريخ سام– ٣ بأفرادها ومعداتها وأجهزتها وأسلحتها المعاونة وتصل إلى مصر خلال شهر وتعمل تحت القيادة المصرية (الفرقه ٣ لواء دفاع جوى) ٠
* **إمداد مصر** بعدد من الطائرات الميج ٢١ معدل بالقادة والطيارين والموجهين والفنيين السوفيت وبالمعدات السوفيتيه المساعدة كاملة على أن تصل خلال شهر.
* **تقوم مصر** بتجهيز الدفاعات والتحصينات والمرافق الانشائية لهذه المعدات بحيث تكون جاهزه قبل وصول المعدات .
* **يعتبر تواجد** الجنود السوفيت مؤقتا لحين استكمال تدريب اللواءات المصرية فى مراكز تدريب الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة عندئذ يعود الجنود السوفيت لوطنهم .
* **تعمل الوحدات** السوفيتية فى عمق مصر٠

وقد اعتبرت استجابة الاتحاد السوفيتى لمطالب مصر نقطة تحول رئيسية فى حرب الاستنزاف ووصول الاهتمام المصرى لنجاحها بأن تمت الاتصالات من موسكو لعدم **ضياع الوقت** للبدأ فى التجهيز الهندسى لهذه القوات بحيث تستكمل الإنشاءات قبل وصولها – وقد تكلفت هذه الانشاءات أكثر من ١٠٠ مليون جنيه واشتركت فيها جميع الشركات الهندسية المصرية بروح عالية تنم على الانتماء المطلق لمصرنا الحبيبه وتم استخدام كل ما تواجد على أرض مصر من مواد بناء ٠

لمصالح هذه العملية التى استكملت فى التوقيت المحدد ،ووصلت الوحدات السوفيتيه لتجد تحصيناتها جاهزة واحتلتها لتخلى الوحـــدات المصــريـــة التى اندفعت بدورها الى الجبهة لتكثف حوائط الصد.

وبرغم الحجم الكبير لهذه العملية الا أنها تمت فى سرية شبه كاملة، ولم تشعرأوتتأكد منها إسرائيل الا فى النصف الثانى من شهر مارس عندما التقطت إشارات الطيارين الروس وهم يحلقون فى الجو عندها بدأت أصوات السياسيين تعلو فى إسرائيل وتتهم الصقور بأنهم دعموا الوجود السوفيتى فى المنطقة ، وبدأت حسابات الادارة الأمريكية تتغير وتتهم إسرائيل بأنها تسببت فى تغير موازين القوة العالمية فى المنطقة ، وأعطت الاتحاد السوفيتى فرصة عمره وتكثيف تواجده فى الشرق الأوسط بل تعدى الأمر أكثر من ذلك بتصريح الرئيس نيكسون الذى نشر فى مجلة النيوزويك بأن الولايات المتحدة منوطة بالدفاع عن بقاء إسرائيل .

المواجهة السوفيتية الإسرائيلية :

والحقيقة أن كل من إسرائيل والقوات السوفيتية كان يتحاشى الدخول فى مواجهة مباشره حتى لايتصاعد الموقف وتدخل أطراف جديدة فى الصراع ، وكانت أول مواجهة (غير مباشرة) يوم ١٨ ابريل فوق خليج السويس وقد تجنب الطرفان التصدى لبعضهما وانسحب كل الى قواعده ٠ أما المواجهة الثانية فكانت بعد إعلان مبادرة روجرز وفى وقت قريب من إيقاف النيران حيث أرادت إسرائيل أن تستعرض قواتها وتثبت تفوق الســلاح الامريكي على السلاح الروسى – حيث أدارت معركة جوية يوم ٣٠يوليو ١٩٧٠ فى صورة الكمين الذى نفذته ضد طائراتنا فى بداية الاستنزاف وعرفه طيارونا جيدا ولم يقعوا فيه بعد ذلك – وكانت نتيجة المعركة سقوط خمسة طائرات سوفيتيه وطائره إسرائيلية – ولم يتم الاعلان عنها حتى لايتصعد الموقف ويكفى أن هذا الاشتباك الجوى قد برأ ساحة طيارينا ، وأثبت الفارق التقنى بين الطائرات الامريكية والطائرات السوفيتيه ٠

الفصل العاشر

الاستنزاف المضاد

بعد أن هدأت نيران حرب يونيو ٦٧ ،معلنة انتصار إسرائيل على كل جيرانها العرب، فإن الية الاعلام الغربى ، متحالفة مع الدعاية الاسرائيلية اعلنت أن هذه هى آخر الحروب ، وان العرب لن تقوم لهم قائمة قبل عدة عقود زمنية ، وأن إسرائيل حصلت لاول مرة على الحدود الامنة باستيلائها على أرض عريقة تعادل ٣ – ٤ مرات لمساحة إسرئيل نفسها وأن هذه الأرض هى أراضى نورانية ، وبذلك فقد حققت نبؤات أنبياء بنى اسرائيل بعد اكثر من ثلاثين قرنا من الزمان ففى الشمال سيطرت القوات الاسرائيلية على مرتفعات الجولان فى مساحة تمتد لعمق ٢٠ ميل وقضت بذلك ، على تهديد المدفعية السورية للقرى الإسرائيلية ، كما ازدادت سيطرة اسرائيل على واحد من المصادر الرئيسية لنهر الاردن وفى الشرق سيطرت إسرائيل على الضفة الغربية لنهر الاردن بالكامل بما فيها القدس ، وبذلك يمكنها منع أى متسللين من الاردن إلى إسرائيل . وفى الاتجاه الجنوبى سيطرت إسرائيل على سيناء التى تحتوى فى طرفها الجنوبى على مضايق تيران التى تشكل أهمية استراتيجية للملاحة فى خليج العقبة .. كما تضم منطقة حقول البترول فى خليج السويس التى تمكن اسرائيل الحصول على نسبة عالية من احتياجاتها البترولية ، وأهم من هذا كله توفير حائط مثالى للدفاع بما يحقق أمن اسرائيل من أى تهديد يأتيها من جهة مصر وظهرت أهمية سيناء كمنطقة عازلة بين التجمعات الرئيسية فى مصر وإسرائيل .

وقد أدت نشوة النصر – الذى لم تكن تحلم به إسرائيل – إلى أن يتصرف قادتها كيفما يحلو لهم ، وذلك بتأييد من القوة العظمى الاولى فى العالم وهى الولايات المتحدة الامريكية . . وكانت مظاهر هذه النشوة تتكرر بصفة دورية ، وتأتى أحيانا من وزير الدفاع الإسرائيلى ، والذى يعلن مرارا وتكرارا أرقام تليفوناته انتظارا لان يتصل به القادة العرب حتى يمن عليهم بالسلام .

وطبقا لكل الحسابات المادية ، فإن إسرائيل كانت مطمئنة إلى استحالة اشتعال موقف عسكرى قريب فى المنطقة ، وقد انعكس ذلك الافتراض على أفرادها العسكريين الذين كانت تصرفاتهم تدل على منتهى الاستهتار والاستهانه بالموقف على الضفة الشرقية للقناه ولم يكن فى تقدير أحد منهم يوم العاشر من يونيو ٦٧ أى احتمال لحرب أخرى وشيكة الوقوع٠٠ أيضاً كانت القيادة الإسرائيلية شديدة الحرص على أن يسود أكبر قدر من الهدوء والاسترخاء على الجبهة حتى تنعم بنصرها واستثمارها لمكاسبها فى الأرض المحتلة وفرض الأمر الواقع عليها ، وتغيير معالمها وتهديدها طبقا لخطة محكمة تهدف فى النهاية إلى ضمها لرقعة الدولة اليهودية ، تؤكد من خلالها على استمرار تدمير معنويات العرب ، وعدم إعطائهم فرصة تنشيط القتال على الجبهة مرة أخرى ، حتى لايتجاوزوا المحنة أو يكتسبوا خبرات متتالية تمكنهم من استعادة الارض مع الاستمرار فى تنمية آثار الصدمة النفسية حتى تصل بهم الى حالة يأس تامة من نتائج حرب ١٩٦٧ وفى نفس الوقت العمل على استتباب الأمن الداخلى فى الأراضى المحتلة ومنع السكان العرب من إظهار أى مقاومة لسلطات الاحتلال .

أما على المستوى الدولى فكانت إسرائيل تركز على إقناع الغرب والولايات المتحدة بعدم جدوى المساعى السلمية وأن الزمن كفيل بفرض الامر الواقع الذى تنشده إسرائيل ، وهو الذى سيوفر لها كل ما تصبو اليه من أمان وتحقيق الاهداف فى المنطقة .

وفى أعقاب معركة رأس العش وافقت مصر وإسرائيل على وضع نقاط مراقبة تابعة للأمم المتحدة على جانبى قناة السويس ووصلت القوات فعلا يوم ١١ يوليو ١٩٦٧ ٠٠ وعند تحديد النقاط أصرت اسرائيل على أن يكون خط وقف إطلاق النيران فى منتصف المجرى المائى لقناة السويس ورفضت مصر ذلك تماما، وفى محاولة لتنفيذ وجهة نظرها بالقوة ، أنزلت قوات إسرائيلية بقوارب مطاطية إلى القناة فى منطقة جنوب القنطرة يوم ١٤ يوليو لاختبار رد الفعل المصرى ومدى قبولهم للتصور الإسرائيلى عن تحديد خط وقف إطلاق النيران ٠٠ ولكن القوات المسلحة المصرية أعلنت قرارها فورا برفض المنطق وفتحت النيران على هذه القوات ، ونشبت يوم ١٤ ، ١٥ يوليو ١٩٦٧ معارك عنيفة بالطيران والمدفعية ، وبعدها لم تتكرر أى محاولات اسرائيلية من هذا القبيل فى قناة السويس وسادت الجبهة بعدها فترة هدوء متقطعة (استمرت قرابة الخمسين يوما) استغلها الجانبان فى تجهيز المسرح على كلا الضفتين ، بينما تصاعد خلالها النشاط السياسى والذى كان أبرزه تحديد الاستراتيجية العربية للمواجهة فى مؤتمر الخرطوم (٣١ اغسطس – ١ سبتمبر ١٩٦٧)

والجهود لإصدار قرار عادل من مجلس الأمن (قرار ٢٤٢ فيما بعد ذلك) ... الى أن كانت المحاولة الثانية لاسرائيل فى إعطاء نفسها حق المرور فى خليج السويس ، حيث ردت القوات المصرية بعنف على الزوارق الإسرائيلية فى شمال خليج السويس يوم ٤ سبتمبر وكبدتها خسائر كبيرة واشتعل الموقف وقتها بالجبهة ومع تصاعد النشاط القتالى المصرى على الجبهة لم يكن أمام اسرائيل إلا أن تقوم بنشاط اخر مضاد لمواجهة هدف مصر السياسى الذى دار حول اقناع العالم بأن ازمة الشرق الاوسط لازالت ساخنة وأن خطوط وقف إطلاق النار الحالية لايمكن أن تكون خطوط هدنة جديدة على جبهة القناة. لذلك سرعان ماطورت إسرائيل أهدافها فى إطار سياسى عسكرى جديد يتحدد فى ثلاث نقاط هى التشبث بالارض المحتلة ، ومنع المصريين من استعادة أى أجزاء من سيناء والتأثير على الشعب المصرى فى الداخل بأكبر قدر ، حتى يثور على قيادته السياسية ويسقط النظام من الداخل . أو أن تقوم هذه القيادة بتهدئة الموقف الذى يؤدى إلى تحقيق أهداف إسرائيل فى المنطقة •

ويدا فى جميع الاحوال أن إسرائيل تحاول فرض حط هدنة جديدة والسيطرة على الموقف العسكرى على الجبهة حتى لايحدث صدام شديد بين القوتين المتضاتين يصل الى مرتبة الحرب الكاملة ، وتتغيرمعه المواقف فى المنطقة والعالم.

مع الاستعداد بشن استنزاف مضاد لو استمرالمصريون فى نشاطهم القتالى والاستنزاف المضاد طبقاً للاسلوب العلمى ، يعتبر حالة خاصة من الحروب المحلية المحدودة التى تقتصر على تخطيط وإدارة رودود الافعال المناسبة لما يوجه اليها من أنشطة قتالية من الخصم بغرض استنزافها على أن تنحصر تلك الردود داخل سلم تصعيد لا يترك القتال ينطلق الى آفاق الحرب الكاملة ، بل يقتصر داخل هدفه ووسائل صراعه. ومدى جغرافى وعدد محدد من الأطراف ، ومدة زمنية لا تضر بالوضع القائم أو تدخل عليه من المتغيرات ما يفسده كحق يقبله القانون مع تقادم الزمن. ويطلق المحللون الإسرائيليون ، مسمى حرب الاستنزاف على مجموع الاعمال القتالية التى دارت عقاب حرب ١٩٦٧ ، وحتى إيقاف إطلاق النيران فى اغسطس ٧٠ كما يحلوا لبعضهم تسميتها بحرب الالف يوم أى أنهم يعتبرونها قد بدأت تجاوزا مع نهاية حرب ١٩٦٧ يميم أو حسابيا مع إغراق المدمرة إيلات فى ٢١ اكتوبر ١٩٦٧ والذى شكلت أولى العمليات القتالية التى تأثر بها الشعب الإسرائيلى فى الداخل وقد وضعت هذه الحرب فى إطار دفاعى بوجه عام وإن اعتمدت على بعض الأعمال التعريضية التى شابتها التجاوزات فى اكثر من موقف ، ولم تهدف اسرائيل فى إدارتها لهذه الحرب الى

احتلال مزيد من الأراضى بل هدفت الى ترسيخ الوضع القائم بكل مكاسبه التى حققتها حرب ٦٧ .

وينقسم الاستنزاف المضاد من وجهة النظر الإسرائيلية وطبقا لما ذكره المحللون الإسرائيليون إلى ثلاثة مراحل رئيسية ، احتوت كل منها على مرحلة زمنية لها خصائصها على المستوى السياسى والعسكرى ، وأطلقوا على كل مرحلة منها اسماً يتمشى مع الصلف الاسرائيلى الذى كان سائدا خلال هذه الفترة الزمنية ، وسوف نوجز هذه المراحل بأسمائها الاسرائيلية حتى يتعرف القارىء على الفكر الإسرائيلى فى توصيفه للأمور – ثم نقوم بتقييمها طبقا للحقائق العلمية المجردة مع هذه المراحل هى :-

مرحلة الردع فيما بين يونيو ٦٧ – وحتى سبتمبر ٦٨

مرحلة الترويع فيما بين اكتوبر ٦٨ – وحتى ديسمبر ٦٩

مرحلة السحق فيما بين يناير – ٨ اغسطس ٧٠

مرحلة الردع :-

والاسم العلمى المتبقى لهذه المرحلة هو ردود الفعل – حيث كانت القيادة الإسرائيلية تحاول قدر الامكان تهدئة الموقف لتحقيق الأهداف السياسية بفرض الأمر الواقع وإقناع دول الغرب بأن الموقف فى الشرق الاوسط مستتب ولا داعى للقيام بأى جهود سلمية وأن الجيوش العربية أصبحت جثة هامدة وخسرت خسائر فادحة بسبب حرب ١٩٦٧ تقنعها بعدم تكرار المواجهة وقد واكبت هذه المرحلة ٠

مرحلة الصمود على الجانب المصرى ، لذلك فإن محصلة التصعيد والتهدئة مرت خلال فترات زمنية متباعدة نوعا ما وقد انقسمت هذه المرحلة من وجهة نظر الاستعداد القتالى ، وردود الفعل إلى مرحلتين فرعيتين :-

المرحلة الأولى :-

من يونيو ١٩٦٧ ، وحتى ١٤ مارس ٠٠٦٨ وكانت القوات الإسرائيلية خلالها مكشوفة تماما ، وتعتمد على حشد أسلحتها دون إنشاء تجهيزات هندسية مناسبة لمسرح العمليات.. كما كانت الظاهرة الرئيسية التى تسود القوات على الضفة الشرقية للقناة ، وهى الغرور ، والصلف ، وعدم اتباع أى قواعد أخلاقية تتمشى مع التقاليد المصرية ، وذلك كانت القوات الاسرائيلية هدفا سهلا لاى اشتباك مفاجىء ، وقد اقتصرت هذه المرحلة على

اشتباكات متباعدة ، ولكنها عنيفة واستخدمت فيها المدفعية كسلاح رئيسى ، علاوة على المعارك البحرية والجوية.. وكانت مصر توجه نيرانها الى أهداف عسكرية بغرض تأكيد السيادة ، وبينما وجهت اسرائيل جميع نيرانها ضد المدنيين فى التجمعات السكانية ، وضد أهداف صناعية فى منطقة القناه.

المرحلة الثانية :-

من ١٥ مارس ١٩٦٨ - وحتى نهاية المرحلة فى سبتمبر ١٩٦٨ وهى التى ركزت إسرائيل خلالها على إنشاء خط بارليف الأول مستغلة الامكانيات المحلية المتاحة بقدر الامكان.... وبدأت بعده القوات الإسرائيلية فى التحصن داخل دفاعات ثابته على طول الضفة الشرقية للقناه بهدف تأمين هذه القوات ضد الاشتباكات المتصاعدة. وقد حشدت اسرائيل فى هذه المراحل العديد من الصواريخ أرض نم أرض الثقيلة من عيار ٢٤٠مم ، وكذلك المدفعية الثقيلة من عيار ١٧٥مم بهدف إحداث التأثير المناسب على مدن القناه ، والأهداف الاقتصادية المصرية لإجبار القيادة المصرية على الحد من توجيه نيرانها ضد القوات الاسرائيلية. كما تكبدت اسرائيل فى هذه الاشتباكات خسائر كبيرة ، لم تكن تعلنها فى وقتها وكان البيان العسكرى دائما يزيل بإصابة أحد الجنود ٠٠ وذلك بإمعان خفض الروح المعنوية للقوات المصرية.. فى نفس الوقت كانت تهجير سكان مدن القناه الى داخل الوادى لتأمينهم ضد القصف الاسرائيلى ، والذى كان يوجه اليهم بإستمرار لاجبار القوات المصرية على ايقاف نيرانها.. كذلك كان نقل المنشآت الصناعية الرئيسية الى مناطق أكثر أمنا ، وهى الوسيلة الرئيسية التى افقدت العدو ميزة ضرب السكان المدنيين للتأثير على القيادتين السياسية والعسكرية المصرية فى سبيل تهدئة الموقف على خط القناه ، وأصبحت القوات المصرية اعتبارا من يناير ٦٨ ، لاتعطى أهمية كبيرة لضرب مدن القناه الخالية من السكان لذلك كان على اسرائيل البحث عن وسيلة أخرى للتأثير على القيادة السياسية المصرية. ولذلك تقرر أن الردع الذى ربما يقصده المحللون الاسرائيليون فى تسميتهم لهذه المرحلة هو ضرب سكان مدن القناه ، والذى تمنعه كل القوانين والأعراف الدولية.

المرحلة الثالثة :- الترويع اكتوبر ٦٨ - ديسمبر ٦٩

والاسم الحقيقى لهذه المرحلة يجب أن يكون محاولة احتواء الرد المصرى الايجابى وقد واكبت هذه المرحلة على الجبهة المصرية ٠٠مرحلة الدفاع النشط ، وجزء من مرحلة الاستنزاف.. وتكلفت اسرائيل خلالها العديد من الضربات المؤلمة فأدخلت سلاح طيرانها الى

المعركة اعتبارا من ٢٠ يوليو ٦٩ فى محاولة للحد من الاعمال القتالية الايجابية المصرية التى أحدثت خسائر هائلة فى قواتها • وقد بدأت هذه المرحلة بتلقى اسرائيل قصفة مدفعية عنيفة يومى ٨سبتمبر نم ٢٦ اكتوبر ٦٨ استهدفت جميع مواقع الصواريخ ٢١٦ و٢٤٠ مم التى كانت تؤثر على مدن القناه علاوة على جميع المناطق الادارية ومراكز القيادة على الضفة الشرقية للقناة •

ومن الخسائر الكبيرة التى حدثت فى صفوف الاسرائيلين ، نظرا لخلو مدن القناه من السكان ، فكان لابد من البحث عن هدف آخر فاتجهت إسرائيل مباشرة إلى صعيد مصر حيث الكثافة السكانية العالية ، والأهداف الكثيرة التى يمكن التعامل معها بالاضافة الى ضعف الحراسات عليها ، وعدم وجود قوات مسلحة ذات تأثير فى هذه المنطقة.. وأيضا لإثبات أن لإسرائيل يد طويلة يمكنها الوصول الى أى مكان فى مصر للرد على الاعمال القتالية المصرية.

ويبدء مرحلة الاستنزاف يوم ٨ مارس ٦٩ يم يم تلقت القوات الاسرائيلية على الجبهة ضربات شديدة ، وأصبح التفوق المدفعى المصرى مطلقا من حشد يناهز الالف مدفع ، وهاون أمطرت القوات الاسرائيلية بحوالى ٤٠ الف قذيفة خلال الاربعة شهور الأولى ، كما فوجيء الجنود الاسرائيليون المتحصنون فى دشم خط بارليف يوم ١٧ ابريل ٦٩ بدانات الدبابات من الأعيرة الثقيلة تخترق هذه الحصون من خلال المزاغل ، وتنفجر داخلها لتحول هذه الدشم الى قبور لكل من تواجد فيها وقد تسبب ذلك فى إزعاج هائل للقيادة الاسرائيلية ، واضطرت الى تغيير القوات فى الجبهة بآخرين من المظليين الاحتياط ذوى الخبرة فى الحروب السابقة.. وكذلك كان الرد الاسرائيلى موجها فى اتجاه الصعيد أيضا أما التحول الجذرى فى الاستراتيجية الاسرائيلية للإستنزاف المضاد وكان استخدامها قواتها الجوية لتوسيع مسارح العمليات اعتبارا من ٢٠يوليو ٦٩ •

مرحلة السحق :

وهى التى أطلق عليها الحرب القذرة والتى بدأت اعتبارا من أول يناير عام ١٩٧٠ حيث استهدف الطيران الإسرائيلى أهدافا مدنية قتل فيها أطفال بحر البقر وعمال مصنع حديد أبو زعبل بينما لم ينل شيئا من الارادة المصرية ولم يحقق أهدافه فى إيقاف الاستنزاف أو إحراج القيادة المصرية ، وكان هذا سببا رئيسيا فى مبادرة روجرز وتصاعد الخلافات الحادة بين القادة الاسرائيلين أنفسهم.

مبادرة روجرز وإيقاف إطلاق النار:

ومع توالى وتصاعد الأحداث زاد الإحساس لدى القيادة الإسرائيلية والشعب الإسرائيلى بأن حرب الاستنزاف المضاد ما هى إلا استنزاف آخر لإسرائيل وبدأت تتصاعد موجات السخط مع الإعلان عن خسائر إسرائيل التى تتزايد يوماً بعد يوم حتى أن الفايننشيال تايمز الأمريكية نقلت عن متحدث عسكرى إسرائيلى يوم ٦ / ٧ / ١٩٧٠ أن إسرائيل فقدت فى شهر مايو ١٩٧٠ وحدة ٣٢ قتيلا ، ٢٨ جريحا ، وأن خسائرها فى يونيو بلغت ١٩ قتيلا ، ٥٧ جريحا (وقطعا فإن الخسائر أضعاف هذه الأرقام لأن إسرائيل لايمكن أن تذكر حقائق خسائرها) .

وفى ظل القيادة الإسرائيلية نفسها بدأت الصراعات بين الحمائم والصقور تكيل الاتهامات لبعضها حيث أن الخطة **بريما** لم تحقق أى شيء سوى الدعم السوفيتى سواء بالسلاح أو بالتواجد على مسرح القتال ، ولم ينتج عنها إلا تآكل الجيش والطيران الإسرائيلى ومردودها الوحيد هى تصاعد العمليات العسكرية المصرية وتلاحم الجيش والشعب المصرى ضد عدو واحد هو إسرائيل . . ولم يأتى النقد الضعيف من داخل إسرائيل وحدها بل الولايات المتحدة أيضاً التى صدقت من زيادة التواجد السوفيتى فى مسرح الشرق الأوسط . . وشعرت أوروبا أن تأثيرات الحرب انعكست عليها وخصوصا بعد أن انتقلت حرب الاستنزاف الى ابعاد جديدة لتدميرالحفار **كيتبج** فى ميناء أبيدجان ، ويحتمل أن يمتد ذلك إلى مناطق بترولية للتأثير على المصالح الغربية . . وهنا وجدت الولايات المتحدة أن استمرار الحرب لايحقق مصالحها أو مصالح إسرائيل لذلك سعت إلى تقديم مبادرة روجرز . . والتى تقدم بها فعلا وزير الخارجية الأمريكية التى تحمل المبادرة اسمه يوم ١٩ يونيو ١٩٧٠ إلى كل من مصر وإسرائيل وتحمل نصها الآتى : –

تعلن أطراف النزاع فى الشرق الأوسط ، وتنفذ وقفا محدودا لإطلاق النار مدته تسعون يوما ، وفى هذه الفترة ينشط السفير جونار يارينج لينفذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وبالتحديد فيما يتعلق بالتواصل إلى إنقاذ سلام عادل ودائم يقوم على الاعتراف المتبادل والسيادة ووحدة الأراضى والاستقلال السياسى . وتقوم إسرائيل بسحب قواتها من أراض احتلتها فى معركة ١٩٦٧ وكانت المبادرة بهذه الصيغة المتوازنه تنبع من روح القرار ٢٤٢, .. ووجد الرئيس جمال عبدالناصر أن قبولها أمر ممكن لإعطاء فرصة للقوات المسلحة لاستعادة كفاءتها القتالية بعد حرب متصلة إستمرت قرابة الخمسمائة يوم ، ووجدت فيها

إسرائيل فرصة للخروج من أزمتها وإيقاف نزيف الخسائر التى تتعرض له . . وقبلت الأطراف المبادرة وأعلن وقف إطلاق النيران اعتبارا من يوم ٨ أغسطس ١٩٧٠ حيث انتهت حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية ولكن لم تنته مرحلة الاعداد والاستعداد لجولة لابد لها أن تأتى حتى تحقق الإرادة المصرية أهدافها بتحرير أرضها واستعادت كرامتها وعزها .

البـــاب الرابــع

تحليل وتقييم حرب الاستنزاف

تعددت الآراء واختلفت حول تقييم حرب الاستنزاف ، وطرح المحللون العديد من الأطروحات والفرائض .. التى لاتخلو من تساؤلات [بعضها يندرج تحت مسمى الاجتهاد العلمى من خلال تحليلهم لبعض الحقائق ، خاصة وأن الوثائق الرسمية لم يتيسر الحصول عليها بعد.. والبعض الاخر يدخل فى نطاق تصفية الحسابات أو النقد الضعيف مردودا لشىء يشعر به هؤلاء المحللون فى داخلهم.] وأهم التساؤلات ذات المغزى العلمى ، والتى تستحق البحث والتمحيص.

ملخصها فى الآتى :

* **مدى ضرورة هذه الحرب** الباهظة التكاليف ، والتى تدخل فى نطاق الحرب الثابتة فى وقت كنا نستعد فيه لحرب شاملة ، وسريعة الحركة ، ومتسعة الأعماق تحقق استعادة الأرض المحتلة ..
* **هل أدت هذه الحرب** الى تعطيل أو تأخير حرب أكتوبر ؟
* **هل الدخول فى حرب** الاستنزاف يعتبر خطأ سياسيا ؟
* **وما هو تأثير** نتائجها على حرب أكتوبر ؟

وبداية وقبل الإجابة على هذه الاسئلة ، نقول إن حرب الاستنزاف ليست بدعة استخدمت فى تلك المرحلة الحساسة لإدارة الصراع فى الشرق الاوسط ولكنها تكررت كثيرا قبلها وأديرت فى العديد من المسارح بعدها ، لأنها أحد صور الصراع العسكرى التى تدار لتحقيق توازن فى مجال ما ففى مسارح الحرب العالمية الثانية كان لهذه الحرب شأنها فى مسرح أوروبا الشرقية كذلك استمرت طويلا عبر بحر المانش بين المانيا وانجلترا.. وأيضا كان لها تأثيرها فى مسرح شمال افريقيا وحصد منها المارشال مونتجمرى العديد من الخبرات فى

إدارة صراعه مع المارشال روميل.. وفى الثمانينات من هذا القرن اشتعلت هذه الحرب واستمرت عدة سنوات على الجبهة العراقية / الايرانية وحرب الاستنزاف التى كانت أطول الحروب بين العرب واسرائيل والتى استمرت لأكثر من الف يوم. بدأتها مصر تعبيرا عن رفض الهزيمة ، وإيقاظ ضمير العالم بأن قضية الشرق الاوسط لاتزال حية ، وأن العرب لم ولن يكونوا جثة هامدة. وتعددت حلبات الصراع وتنوعت أشكال المواجهة ، وامتد مسرح العمليات ليشمل البر والبحر والجو واستخدمت فيها جميع آلات الحرب.. حتى لتكاد ان تكون مسرحا لتجارب الأسلحة الامريكية ضد السوفيتيه ، واختبارا لاستراتيجيات الدفاع من حلفى وارسو والاطلنطى بفارق واحد أن الولايات المتحدة كانت تضع أحدث أسلحتها محل هذه التجارب بينما كان الاتحاد السوفيتى يختبر سلاحه القديم.

وكانت حرب الاستنزاف كذلك هى أول صراع مسلح تضطر اسرائيل فيه الى الاحتفاظ بنسبة تعبئة عالية ، لمدة طويلة وهو ماترك آثاره السلبية على معنويات الشعب الاسرائيلى واقتصاد الدولة بدرجة لم يسبق لها مثيل فى الجولات السابقة ، وخصوصا وأن قادة اسرائيل كانو قد أعلنوا لشعبهم أن جولة ١٩٦٧ هى آخر الحروب فاذا الاستنزاف يتصاعد ويحطم مصداقية القادة فى نظر الشعب. واضطرت اسرائيل الى الاحتفاظ بنحو ٢٠ لواء فى ذروة احتدام الاستنزاف أى ما يعادل ٥٠ ٪ من جملة وعاء التعبئة البرية ، علاوة على تعبئة كل سلاحها الجوى.

وقد نشرت المجلة العسكرية لجيش الدفاع الإسرائيلى أن القوات الإسرائيلية فقدت خلال حرب الاستنزاف وبسببها أربعين طيارا ، وأن خسائرها فى القوات البرية بلغت ٨٢٧ قتيلا ، ٣١٤١ جريحا واسيرا (وهى أرقام تقل كثيرا) عما ورد بكتاب ريفى شيف المحلل العسكرى الاسرائيلى وكتاب شلدمو جازيت سكرتير رئيسة الوزراء للشئون العسكرية وقتها عن نفس الموضوع. ولكننا نسوق الخسائر من خلال وثيقة رسمية إسرائيلية. توضع تحت المراقبة – وهى المجلة العسكرية وفى نفس المقال ذكرت المجلة ان خسائر الطائرات بلغت ٢٧ طائرة أنواع (تدمير كامل) كذلك فإن البحرية فقدت المدمرة إيلات ومعها سبعة زوارق وسفن متنوعة ، وخسرت القوات البرية ٧٢ دبابة ، ١١٩ مجنزرة ، ٨١ مدفع هاون.

أما فى المجال الاقتصادى فقد بلغ مقدار ما تحمله كل مواطن اسرائيلى من أعباء الإنفاق العسكرى على الاستنزاف حوالى ٤١٧ دولار خلال عام ٧٠ بينما لم يكن الانفاق العسكرى يتجاوز ١٣٨ دولار للفرد عام ١٩٦٦ وبما يعنى أن عبء الاستنزاف على الاقتصاد الاسرائيلى زاد بنسبة ٣٠٠ ٪ وقد أشار الجنرال موشى ديان وزير الدفاع فى محاضرة ألقاها

على طلبه كلية الأركان الاسرائيلية يوم ١٧ اغسطس ٧٢ بقوله أن تكاليف الإنفاق العسكرى فى الاراضى العربية المحتلة بعد نهاية جولة يونيو ٦٧ ، وحتى تنفيذ مبادرة روجرز يوم ٨ اغسطس ٧٠ بلغت ١٣٦٢ مليون ليرة اسرائيلية إنفاق عسكرى بخلاف ثمن السلاح والذخائر والانشاءات وقد انعكس الانفاق على حرب الاستنزاف على الاقتصاد الاسرائيلى.. حيث زادت الواردات الاسرائيلية العسكرية بمقدار ثلاثة أمثال ما كانت عليه عام ١٩٦٧ لتصل عام ٧٠ الى ٧٧٨ مليون دولار من احتياطيها النقدى لشراء معدات حديثة تم تسجليها فى ميزان المدفوعات وفى فترة حرب الاستنزاف (مارس ٦٩ – اغسطس١٩٧٠) اضطرت اسرائيل الى تعبئة ٥٠ ٪ من وعاء التعبئة ، وبالتالى انخفض النمو الاقتصادى من ١١ ٪ سنة ١٩٦٩ الى ٨,٥ ٪ سنة ١٩٧٠ •

أما على الجانب المصرى فلم تكن التكلفة أقل كثيرا.. اذ اضطرت الحكومة الى تهجير ثلاثة ارباع المليون مواطن من مدن القناة ونقل معظم المصانع من القناه الى الوادى وقد تحمل الاقتصاد نتيجة لذلك حوالى ٦٣٥ مليون دولار ، منها ٥٣٠ مليون دولار خسائر مباشرة نتيجة لايقاف الملاحة فى قناة السويس ، ٥٠ مليون نتيجة توقف عوائد السياحة كل ذلك بالإضافة الى تكلفة حرب الاستنزاف نفسها •

وهنا نأتى للتقييم العلمى لهذه الحرب •

وبداية ومع التأكيد أن حرب الاستنزاف فى جميع مراحل إدارتها روعى ان يتحقق منها التوازن بين الأرباح والخسائر.. الا ان الدراسة الدقيقة ، والتحليل المتأنى اكدت أن أرباح هذه الحرب على الجانب المصرى فاقت خسائرها برغم أنها لم تحقق استعادة ولو شبر واحد من الارض المحتلة كما كان يأمل البعض كذلك كان لها – كأى حرب أو إحداث هامة – بعض الأخطاء سواء فى التقدير العام للموقف – والذى تأسس على اقتصار حرب الاستنزاف على نطاق الجبهة فقط وباستخدام القوات البرية كعامل رئيسى فإذا بالعدو يدفع بقواته الجوية والبحرية ويمتد مسرح العمليات ليشمل حدود مصر الشرقية بالكامل الى عمق الوادى مما اضطر القيادة الى تعديل جذرى فى الخطة لمواجهة المواقف المختلفة والرد عليه بالمثل وكذلك كانت هناك بعض أخطاء كاد الجانب الآخر أن يمتلك فيها المبادأة وخصوصا بعد توسعه فى استخدام قواته الجوية وكانت هناك أخطاء فى التصعيد والتهدئة تعمد العدو خلالها إحراج القيادتين السياسية والعسكرية – ضمن خطة لزعزعة أركان النظام ، ودفع القوى الشعبية لفقد الثقة فى قيادتها السياسية.. وفى مقابل ذلك كانت الحملة الاعلانية أقل من الحدث نفسه مما أدى الى ارتفاع صوت الاستنزاف المضاد نتيجة لحملة الدعاية الإسرائيلية الشاملة.. والاخطر من ذلك هو القصور فى إمكانية إحداث التوازن بين امكانياتنا وامكانيات

العدو برغم كل الجهود المبذولة وقتها لتحقيق التوازن المطلوب.. ويرجع هذا الخلل اساسا كنتيجة لقرار القيادة السوفيتية غير المعلن بامداد مصر بالاسلحة التى تحقق التوازن الدفاعى فقط ، والذى كان يقوم الخبراء السوفيت بتبريره من خلال مقارنات حسابية خاطئة تعتمد على الكم فقط دون النظر الى النوع أو مدى التقدم فى أنواع الاسلحة التى تحصل عليها إسرائيل من الولايات المتحدة وقد كانت هناك معارضة شديدة من جانب القادة المصريين لأسلوب الاتحاد السوفيتى فى تحديد أنواع الأسلحة المرسلة الى مصر وحاولوا من جانبهم إقناع الخبراء السوفيت بخطأ هذه الحسابات دون جدوى •

تلك كانت أخطاء رئيسية سواء منا أو مفروضة علينا كان لها انعكاساتها على مجريات الحرب نفسها لأن هذه الاخطاء لم يكن من الممكن إصلاحها الا من خلال مواجهة حقيقية – نحمد الله أنها لم تكن صراعا شاملا – ولكنها كانت حرب استنزاف ثابته تطبيقا لمبدأ الممكن الوحيد خلال هذه المرحلة وحققت نتائج كان من الصعب أن تتحقق بغيرها بل إنها كانت ضرورة حيوية لقواتنا المسلحة ونؤكد بداية أن الدراسة الموضوعية لحرب الاستنزاف على المستوى الاستراتيجي والتعبوى يجب ألا تقتصر على وقائعها وأحداثها فقط ولكن اهميتها تكمن فى الأثار البعيدة التى تركتها هذه الحرب •

الأثر الأول

تجارب ودروس حرب الاستنزاف هى أنها أدت الى تعديل مسار القوات المسلحة لترتقى بتنظيمها وتسليحها وأساليب تدريبها حتى تتمكن من إحداث التوازن المطلوب مع الطرف الآخر الذى ستواجهه فى المعركة الفاصلة وكانت القيادة المصرية تدرك الفاصل التقنى الهائل بين ماتمتلكه إسرائيل ، وبين السلاح الذى يزود به السوفيت مصر طبقا لخططهم فى الامداد بالاسلحة – كما ونوعا – لتحقق استراتيجية دفاعية فقط وقد ثبت فشل هذه الاستراتيجية خلال حرب الاستنزاف مما أدى بالرئيس عبد الناصر الى القيام بزيارته السرية الى موسكو (٢٢ – ٢٥ يناير ١٩٧٠) ليضع الحقائق والمقارنات الصحيحة ، أمام القادة السوفيت والذين لم يجدوا بدا من اتخاذ قرار هو الأول من نوعه منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية بنشر قوات لهم خارج دول حلف وارسو ، وتزويد مصر بأسلحة أحدث (ولو انها لاتحقق التوازن الكامل ، مع ما كانت تمتلكه إسرائيل) .. ومنذ هذا الوقت استمر الضغط المصرى فى سبيل الحصول على أسلحة اكثر تقدما من أى مكان فى العالم •

الأثر الثانى :-

هو بدء بناء عقيدة القتال المصرية .. من خلال تجربة عقائد وأساليب قتال تمكن من مجابهة الفكر الاسرائيلى فى جميع المجالات .. وكان الصراع بين الطائرة والطائرة أثناء

حرب الاستنزاف هو الذى ادى الى تحديث السلاح الجوى المصرى.. والوسائل الارضية المساعدة.. والارتقاء بمستوى الموجهين والطيارين بصفة عامة وكان الصراع بين وسائل الدفاع الجوى والطائره ، هو الذى أدى الى التعرف على الامكانيات الحقيقية لقدرات الصواريخ والتوصل الى أساليب متعددة فى استخدامها والمناورة بها.. وكان الصراع بين القوات البرية والجوية الإسرائيلية وبين الجيوش الميدانية على طول المواجهة هو الذى أدى الى الارتقاء بأساليب تجهيز المسرح وتحصينه وكانت التراشقات المحدودة بين الدبابات عبر القناة هى التى مكنت من التعرف على مدى الإصابة أو التدمير لكل من الدبابة المصرية والإسرائيلية وأدى بدوره الى التركيز على طول سلاح المدرعات المصرى والتأكيد على الحصول على أسلحة مضادة للدبابات ذات مدى أكبر من الدبابات منها ، كما أن إدارة نيران المدفعية أثناء هذه الحرب هى التى أدت الى تطوير أساليب الادارة ، واستحدثت وسائل متطورة لإدارة النيران انطلقت لأول مرة فى السادس من اكتوبر ١٩٧٣ يميم ولولا الخبرات الناتجة من مهاجمة النقط القوية للعدو شرق القناة ، وتوصلنا الى استراتيجية قتال الرجل للدبابة التى طبقت بنجاح فى السادس من أكتوبر ولولا العدد الكبير من عمليات العبور أثناء حرب الاستنزاف ما توصلنا الى الوسائل المساعدة التى أدت الى نجاح العبور العظيم.. فضلا عن الحرب الالكترونية التى كتب ميلادها خلال حرب الاستنزاف ، وتدربت عمليا خلاله ونضجت حتى أصبحت مؤثرة فى حرب اكتوبر ومن كل ما تقدم نقرر انه لولا هذه الحرب لاستمر الحال على ما هو عليه فى الاعتماد على العقيدة الشرقية كأسلوب للقتال ، والاعتماد على السلاح القديم الذى يسمح الاتحاد السوفيتى بتقديمه الينا .. ولا نجد من جانبنا الا التعبير الدارج وقتها من أن هذا هو اقصى ما يمكن أن نحصل عليه من الصديق الوحيد وبالتالى يتبقى الفاصل التقنى والكمى الهائل بيننا وبين إسرائيل ثم تتكرر النكسات التى عانينا منها فى السابق.

الأثـــر الثـــالـــث :-

وهو أن حرب الاستنزاف هى التى فتحت عيوننا على مايجب أن يكون عليه الهيكل التنظيمى للقوات المسلحة المصرية وما يجب أن تتطور اليه عقيدتها القتالية وأفرز الاجتهاد والفكر المصرى الوسائل لتعظيم الممكن فى مواجهة سلبيات المستحيل حتى وصل الى أقرب درجات التوازن المنشود صباح السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .

ومن المفارقات العجيبة أن إسرائيل وحتى آخر لحظة كانت تضع الفاصل التقنى بينها وبين مصر كأحد العوامل الرئيسية التى تجبر مصر على عدم شن هجوم شامل ضدها وهذا ماذكره الجنرال إيلى زاعيرا مدير الاستخبارات الإسرائيلية أثناء حرب أكتوبر فى كتابه

حرب يوم الغفران أكذوبة فى مواجهة الواقع حيث كانت إسرائيل تؤمن ، وتضع كل تقديراتها بأن مصر لن تقرر الحرب إلا إذا تحقق لها شرطان أساسيان هما :-

الشرط الأول :- إحداث تغير جوهرى فى ميزان القوى الجوى ، والذى كانت تتمتع فيه إسرائيل بتفوق مطلق

الشرط الثانى :- أن تملك مصر سلاح ردع ، يتمثل فى صواريخ سكود - ب حتى توقف أى نوايا لإسرائيل فى مواجهة العمق المصرى ومن هذا المنطلق فإن مفاجأة حرب أكتوبر على المستوى الاستراتيجى قد تحققت نتيجة عدم اكتمال هذان الشرطان من وجهة النظر الإسرائيلية .

التأثير الرابع

هو أن حرب الاستنزاف يرجع إليها الفضل فى تحطيم الحاجز النفسى بين العرب وإسرائيل على كل المستويات سياسيا وعسكريا ولا يجب أن ننسى أن هزيمتنا فى ثلاثة حروب متوالية شكل عبئا ثقيلا كان من الصعب معه على أى قائد اتخاذ قرار الحرب الشاملة قبل أن يتعرف على حقيقة الطرف الذى سيواجهه.. كذلك كان هناك حاجزا نفسيا رهيبا يواجهه المقاتلون وكان لهذه الحرب.. الفضل فى تحطيمه نتيجة المعايشة مع العدو خلال فترات طويلة والتعرف عليه من خلال المراقبة الدقيقة ومن خلال مواجهته فى معارك فعلية أثبتت تفوق المقاتل المصرى وأعادت ثقته بنفسه وكان للجنرال موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى قولا مأثورا أعلنه فى إحدى لمناورات بأنه لا يميل الى استخدام وسائل تمثيل الواقعية فى تدريب القوات على المعارك حيث إن القوات العربية التى تخوض معها إسرائيل القتال بين الآونه الأخرى تعتبر أفضل أنواع الواقعية فى التطعيم للمعركة.. وقد كنا نحن أحوج مايكون لتطبيق هذا المبدأ لكسر الحاجز النفسى واختبار كفاءة التدريب ، وكفاءة المعدات بعد مرحلة إعادة التنظيم ثم العمل على صقل خبرات القادة والقيادات وتعويدها على العمل فى ظروف الحرب المستمرة واكتشاف مدى قوة النظام الدفاعى شرق القناة وأسلوب التغلب عليه .

لقد تعرفنا من خلال هذه الحرب على أبعاد تنظيم وقدرات الجيش الإسرائيلى بأفرعه وقياداته وتعرفنا على دقائق نظام دفاعاته وأسبقيات استخدام أسلحته ، وتوقيتات استعداده القتالى ، وتم تدريب حوالى ١٥ ٪ من قوات النسق الأول على عمليات عبور خفيفة وأصبحوا القدوة لـ ٨٥ ٪ الباقية من التشكيلات وتعرفنا على أساليب التعامل مع طيران العدو وزالت الرهبة من نفوس مقاتلينا الذين شاهدوا سيلا جارفا من المقاتلات الإسرائيلية تتعاقب عليهم دون إن تحدث تأثيرا يذكر وعلى سبيل المثال فإن عدد الطلعات الإسرائيلية خلال الاربعة

شهور الأولى من عام ١٩٧٠ بلغ ٣٨٣٨ طلعة استغرقت ١٦٨ ساعة ، ٢٠دقيقة على طول الجبهة ألقت حوالى ١٠٠٠ قنبلة يوميا كما صرحت السيدة جولدا مائير للفاينتشيال تايمز يوم ٦/ ١١/ ١٩٧٠ ، وحولت الصحراء ما يشبه سطح القمر كما ذكر الاستاذ هيكل فى إحدى مقالاته ٠٠ ومع ذلك فقد قارن المقاتلون بين شدة القصف ، وندرة الخسائر وبالتالى لم يصبح الطيران هو الشيء المخيف لهم.. كذلك تمكنت وحدات الدفاع الجوى من كسب صراعها مع الطيران المعادى وأعلنته عالميا فى أسبوع تساقط الطائرات الإسرائيلية والذى بدأ اعتبارمن ٣٠يونيو ١٩٧٠ ، وتعرف من خلالها قادة الدفاع الجوى على الأسلوب الأمثل لبناء استراتيجية السد المنيع المتمثل فى حائط الصواريخ ، والذى تقدم بكل جرأة الى أقصى المواقع غرب القناة قبل لحظات من إيقاف إطلاق النيران يوم الثامن من اغسطس ١٩٧٠ ليشكل بذلك مصاعب هائلة أمام قائد القوات الجوية الإسرائيلية (الذى طلب فى السادس من أكتوبر مهلة ٤٨ ساعة للتغلبْ على هذا الحائط قبل أن يحقق السيطرة الجوية على جبهة القتال) . لكنه فشل فى ذلك تماما وكان نتيجة هذا الفشل إصداره أوامره بعدم اقتراب الطيارين الإسرائيليين من خط الجبهة لمدى ١٥ كم محطما نظرية الامن الإسرائيلى التى تعتمد على قوتها الجوية بصفة أساسية) .

التـأثيـر الخامـس :

هو روح أكتوبر والتى كانت حرب الاستنزاف بمثابة الشرارة التى أشعلتها وحقق خلالها المقاتلون مالايقل عن ٦٠ ٪ من مبادىء هذه الروح ، وعرفوا حدود مسئوليتهم ، ولمسوا بأنفسهم النتائج الحقيقية لدقة التخطيط وحرصها على سلامتهم وعلى كفاءتهم فى تحقيق مهامهم كما شاهدوا بأنفسهم حقيقة الايمان بالله وانعكاساته على الجرأة فى تنفيذ أقل هذه المبادىء وغيرها والتى تبلورت بصورة أفضل بعد حرب الاستنزاف لتصل إلى قمتها صباح السادس من أكتوبر ١٩٧٣ يميم والتى عرفت فيما بعد بروح أكتوبر.

التـأثـير السـادس :

هو المحصلة من كل التأثيرات السابقة وهى مجموعة الخبرات من تأثير النجاح والفشل وهو الدرس الذى وضع أمام القيادة التى استلمت زمام الأمور والإعداد لحرب اكتوبر حيث كان أمامهم حصيلة هائلة من الخبرات يمكنها أن تستند اليها فى تعظيم الامكانيات وتلافى السلبيات ٠٠ وهذه الحصيلة من الخبرات هى التى أدت الى بناء إطار حرب أكتوبر من ناحية :-

* توقيت بدء الحرب
* حجم القوات المشتركة
* أعماق المهام وأسبقيات تحقيقها
* اتجاهات التعاون والتنسيق

أما على المستوى السياسى :-

فقد كانت هناك الأساليب اللازمة للتأثير على الرأى العام العالمى ٠٠ وكانت هناك دروسا مستفادة بكيفية إدارة الصراع على المستوى الاقليمى والعالمى ، وأسس تحريك الموقف الدولى وحشده لصالح القضية.. ولقد تحققت أهداف الحرب فى أن تبقى مشكلة الشرق الأوسط حية ، وأن تأخذ أولوية فى اهتمامات القوتين الأعظم. وأن لا يعتبر العالم أن الخطوط التى تقف عليها إسرائيل بمثابة خطوط هدنة جديدة [وهذا هو الذى أدى إلى إعلان الدكتور هنرى كسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة يوم ٩/ ١٠/ ١٩٧٣ بأن مصر حققت نصرا استراتيجيا فى الشرق الأوسط وأن وضعا جديدا قد قام فى المنطقة وأنه لاعودة الى الوراء] ٠

وعلى المستوى الداخلى :-

فقد عاد التلاحم بين الشعب والجيش فى أبهى صوره ، وكان لذلك تأثيره الكبير على الإعداد لحرب أكتوبر ، وفى سهولة تأمين الجبهة من الداخل ٠٠حتى أن الشعب المصرى كان يمكن أن يطلق عليه شعب المدينة الفاضلة يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ بمظهره فى قمة الانضباط والتفانى وعزة النفس والاستعداد للتضحية والإصرارعلى المشاركة فى الحرب بزيادة جهده فى عمله حتى يساهم بشىء ما فى النصر ٠

التأثير السابع :-

كان فى داخل إسرائيل فإنهم لم يستوعبوا الدرس برغم خسائرهم الكبيرة فى الافراد والقيادة وكان الشغل الشاغل للقيادة الإسرائيلية هو ادعاء الانتصار فى حرب الاستنزاف بهدف رفع الروح المعنوية عند الشعب الإسرائيلى وعدم إهدار نصرها الذى حققته فى حرب ١٩٦٧ وقد أعماها ذلك عن الجهود المصرية التى تبذل حتى تضيق الفجوة التكنولوجيه ٠٠ ويحقق التوازن بين القوى فى المنطقة فى نفس الوقت ٠

كان همها الأكبر هو ترميم ما دمرته تلك الحرب ٠٠ وبناء خط دفاعى قوى يستند على مانع فريد بحيث يحبط آمال المصريين لمجرد التفكير فى عبور القناة أو تحرير الأرض واهتمت إسرائيل بوضع خطة دفاعية محكمة تحقق السيطرة المستديمة على سيناء وصار جدل هائل بين القادة الإسرائيليين فيما بين الرغبة فى تحقيق الدفاع الثابت الممتزج بالدفاع المتحرك وبين الإصرار على التمسك بمبادىء نظرية الأمن الإسرائيلى التى تؤكد على الحركة كعقيدة رئيسية للجيش الإسرائيلى وفى خضم هذا الجدل ضاعت الحقائق ، ومن الدروس المستفادة من حرب الاستنزاف أنه تعالت صيحات الصلف والغرور الإسرائيلى بالنصر الكاذب وكانت هناك حرب خفية فى دهاليز السياسة بين أمريكا وإسرائيل عن مستقبل مواقع الدفاع الجوى المصرى وكان عدم استيعابهم للدرس ذو فائدة هامة للقوات المسلحة المصرية التى خططت من جانبها بجهد هائل وبعلم متقدم لتحرير الأرض فاجأت به العالم فى حرب ١٩٧٣ وأبلغ تعبير عن الصلف والغرور الإسرائيلى وعدم استيعاب الدرس وبناء الحسابات من خلال فرضيات خاطئة هو ما يعبر عنه الجنرال عيزرا وايزمان رئيس إسرائيل الحالى فى كتابه « على أجنحة النسور » من خلال أربعة نقاط وهى كالآتى :-

* **عندما وافق المصريون** على إيقاف النيران فى اغسطس ١٩٧٠ فسرنا ذلك بأنه اعتراف منهم بأنهم لم يتحملوا القصف الكثير من جانبنا ، ومع عدم التقليل من الخسائر التى تحملوها نتيجة لهجمات سلاحنا الجوى فقد تحققت مخاوفى من أن حرب الاستنزاف التى اريقت فيها دماء أفضل جنودنا انتهت بأن أصبح للمصريين حرية العمل لمدة ثلاث سنوات للتحضير لحرب أكتوبر ٠ وعلى ذلك فمن الجنون أن نقول إننا كسبنا حرب الاستنزاف وبالعكس فإن المصريين وبرغم خسائرهم ، هم الذين استفادوا منها أكبر فائدة .

* **فى الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٧٣** أخذ قادتنا (قادة إسرائيل) يرددون أننا كسبنا حرب الاستنزاف فأثروا على عقولنا بدلا من القول إننا فشلنا فى تدمير شبكة صواريخ الدفاع الجوى المصرى ، وعلينا أن نستعد للتغلب عليها لانها ستلعب دوراً حاسماً فى الحرب القادمة ، ولابد من إيجاد وسيلة لإسكاتها وهكذا عشنا فى الأوهام بدلا من مواجهة الحقائق ٠٠ قد نكون نجحنا فى رفع الروح المعنوية للشعب ولكننا دفعنا الثمن غاليا ٠

* **بينما كانت** حرب الاستنزاف مستمرة دون أن يتمكن جيشنا من إيقافها ، أصبحت تدريجيا ، وليس كالآخرين - مقتنعا بأنها المرة الاولى التى لم ننتصر فيها لقد قلت مرارا أننا فشلنا فى هذه الحرب.

* **وسنظل نذكر** أن حرب الاستنزاف هي الحرب الاولى التى لم تنتصر فيها إسرائيل وهى حقيقة عبدت الطريق أمام المصريين لشن حرب يوم كيبور فى أكتوبر١٩٧٣ ٠

وعودة الى الأسئلة التى طرحناها من قبل ، وبإيجاز شديد نقول :-

أولا : إنه كانت هناك ضرورة ملحة لهذه الحرب قبل البدء فى حرب تحرير شاملة والبديل الوحيد لهذه الحرب فى تلك المرحلة بالذات هو أن نترك العنان للسياسة والقوى الدولية المختلفة لحل المشكلة بالطرق الدبلوماسية وهو لم يكن ليتحقق لهما مهما طال الزمن والدليل هو تجربة صدور قرار إيقاف إطلاق النيران يوم ٩ يونيو ٦٧ ، والذى رفضت معه الولايات المتحدة أن يقترن بانسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء ، وخرج القرار باهتا ثم أعقبه بعد ستة شهور كاملة وبعدجهد دبلوماسى عنيف القرار ٢٤٢ وصاحبت توقيت إصداره تأويلات عديدة وتفسيرات مختلفة مازلنا نعانى منها حتى الآن. ومعنى ذلك إما أن نستسلم لشروط المنتصر الذى اعتبر أن الحدود التى وصل اليها هى أنسب خطوط تحقق أمن إسرائيل وتحاول فرض الأمر الواقع وإحباط كل المبادرات. أو أن تقوم بعد انتظار طويل بمحاولة تحرير الارض بالقوة المسلحة حيث يكون هذا القرار متأخرا جدا عن توقيته وتكون قد حدثت تغيرات هائلة فى الموقف وفقدنا الكثير من العناصر الايجابية أبرازتها حرب الاستنزاف واستفدنا منها الكثير فى إعداد القوات المسلحة ٠

ثانيا : أن حرب الاستنزاف لم تؤدى إلى تعطيل حرب أكتوبر بل كانت هى حلقة الوصل بين النكسة والانتصار ، وهى الجولة التى حصدت منها القوات المسلحة الخبرات والدروس الهائلة.. كما سبق ذكره ـ فلو قامت حرب تحرير شاملة بالإمكانيات المتاحة وقتها ودون الإعداد الكافى لحدثت نكسة اخرى ٠٠ ولا ننس أن إسرائيل والقوى الكبرى كانت تضع فى حساباتها أن مصر لن تقوم لها قائمة إلا بعد عقدين من النكسة بينما حرب أكتوبر تم شنها بعد ثلاث سنوات من حرب الاستنزاف وستة سنوات من النكسة وهذا يدل أن حرب الاستنزاف أسرعت بعجلة الحرب ٠

ثالثا : عن الخطأ السياسى فى قرار الحرب ٠٠ ولا نعتقد وجود خطأ سياسى وربما تكون هناك أخطاء فى الادارة والتصعيد والتهدئة فقط أما القرار السياسى فقد وضع على أساس تحريك الموقف ورفض الامر الواقع وقد نجحت حرب الاستنزاف فى إثبات ذلك

رابعا : عن تأثير نتائجها على حرب أكتوبر وباختصار فإن دروس حرب الإستنزاف هى اللغة الرئيسية التى اعتمد عليها المخططون فى الاعداد للجولة الرابعة بمبادأة منا ـ إعدادا

مبنيا على الحقائق والقدرات والكفاءات وتخطيطا متدرجا بتدرج وتزايد الكفاءات والإعداد – وكان لزاما التطبيق العملى لتدريب القوات على مهامها فى العمليات ومن هنا كانت حرب الاستنزاف هى المجال الذى أتاح للقوات اختبار نفسها والبوتقة التى انصهرت فيها الارادة والعزم والتصميم والاعداد حتى أتت اللحظة الحاسمة والكل مستعد عسكريا وبدنيا ومعنويا بل وعلى مستوى الدولة سياسيا واقتصاديا ومعنويا لبدء الجولة الرابعة بإيمان كامل بالله وبالوطن وبالقيادة وبالقوات وبالنفس وبالأهداف حتى تحقق النصر فى المعركة الخالدة معركة أكتوبر ١٩٧٣ •

لقد كانت حرب الاستنزاف ضرورة لا غنى عنها لمصر العرب ظهرت جدواها عصر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ وما تلاه من أيام بينت الفارق الكبير بين مقاتل صيف ١٩٦٧ ومقاتل خريف ١٩٧٣ وكذلك بين قياداتهما وأجهزة أركانها والذى يعود أغلب أسبابه إلى الخبرة المكتسبة الدروس المستفادة من حرب الاستنزاف التى مهدت لمصر طريق النصر.

كما شهدت حرب الاستنزاف صراعا محتدما بين الطائرة والصاروخ وضع حداً للتفوق الجوى الذى انفردت به إسرائيل فى الجولات السابقة ، كما شهدت أيضا مولد الحرب الالكترونية المصرية التى يعد الفضل فى نشأتها إلى الفريق أول / عبدالمنعم رياض شهيد حرب الاستنزاف الغالى والنخبة من العلماء المدنيين والعسكريين الذين تعاونوا معه •

وإذا عبر خروج الإسرائيلين إلى الطرقات يوم ٨ أغسطس لاظهار فرحتهم بوقف نيران الاستنزاف وانتهاء كابوس خسائره الذى ضاعف من أعداد الجنازات اليومية التى كانت تخترق شوارع المدن والقرى ، فقد جاء خطاب الجنرال حاييم بارليف لمرؤسيه ، الذى القاه بمناسبة إحالته إلى التقاعد تعبيراً عن هذا الواقع بقوله إذا ما أستؤنف إطلاق النيران مرة أخرى فعليكم أن تختاروا مجالات عمل وأساليب قتال أكثر تطوراً وابتكاراً عما أتخذناه نحن فى حرب الاستنزاف التى خضنا خلالها قتالاً مريراً طويل الامد ملطخ بالدماء ، وذلك لان ظروفا كثيرة قد طرأت على المسرح نتيجة ما اكتسبه المقاتل المصرى من خبرات قتالية واسعة وفى هذا القول ما يغنى عن كل قول فى شأن حرب الاستنزاف التى كثر فيها القول وتضاربت الآراء .

الخاتمة

لقد كانت حرب الاستنزاف هى حجر الأساس الذى قام عليه بناء قواتنا المسلحة على أسس سليمة بعد نكسة ١٩٦٧ وقد كانت بداية التدريب العملى لقواتنا حيث واجهت أعنف وأشرس المعارك واكتسبت منها خبرات غالية الثمن بذلت فيها النفس والنفيس وكانت للقيادة السياسية والعسكرية جهودا مضنية لرفع مستوى الكفاءة لقواتنا المسلحة خلال فترة تلك الحرب•

لقد كانت حرب الاستنزاف بحق حربا ضروسا والبوتقة التى انصهرت فيها قواتنا وتشكلت لتصبح على النحو الذى حقق لها النصر العظيم فى حرب اكتوبر المجيدة •

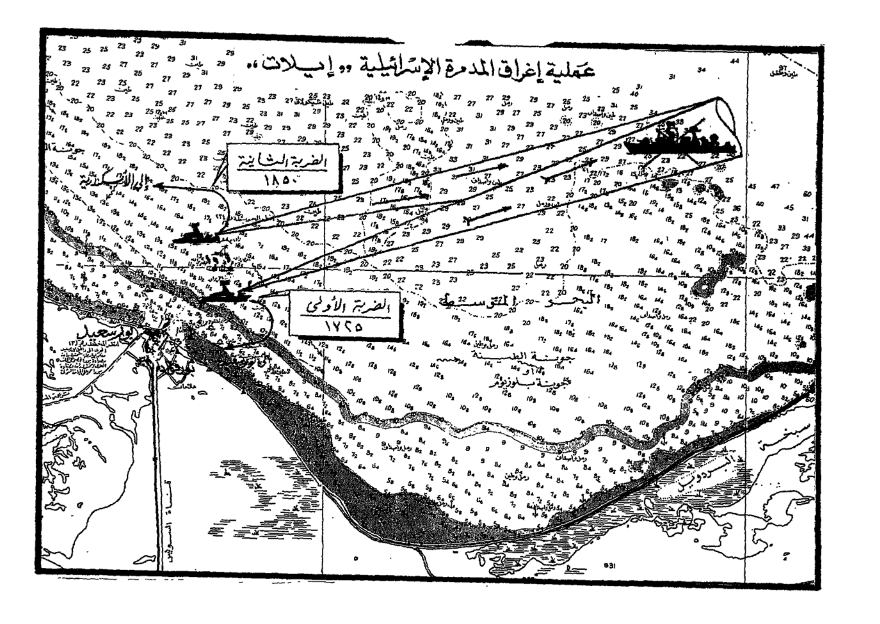
بسم الله الرحمن الرحيم

" إن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم"

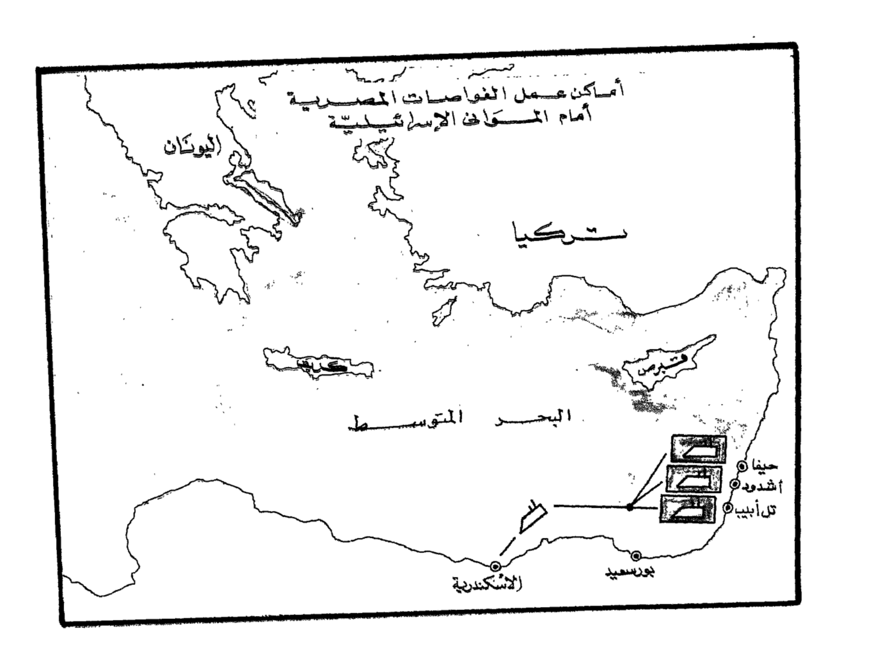
صدق الله العظيم

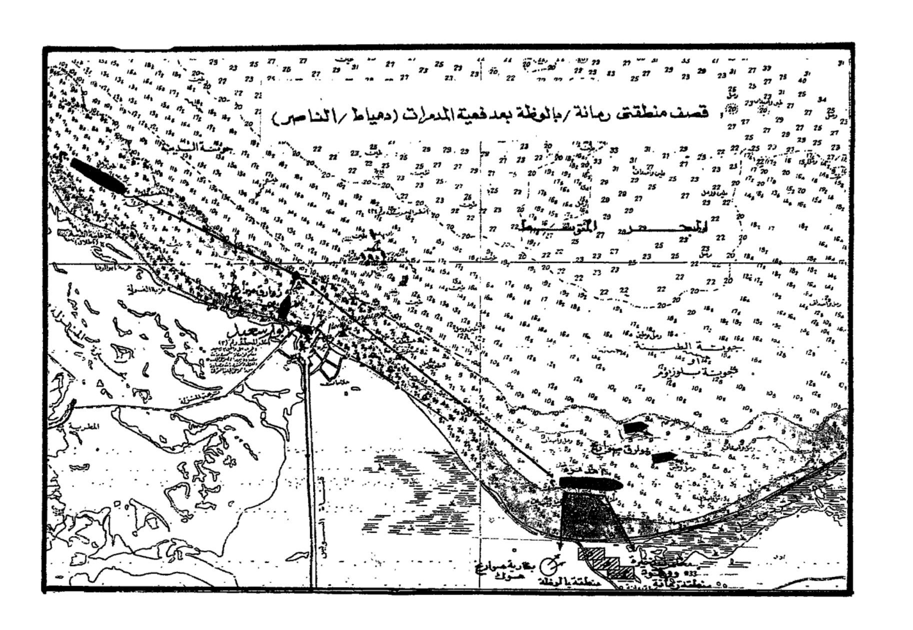
ملاحـــق

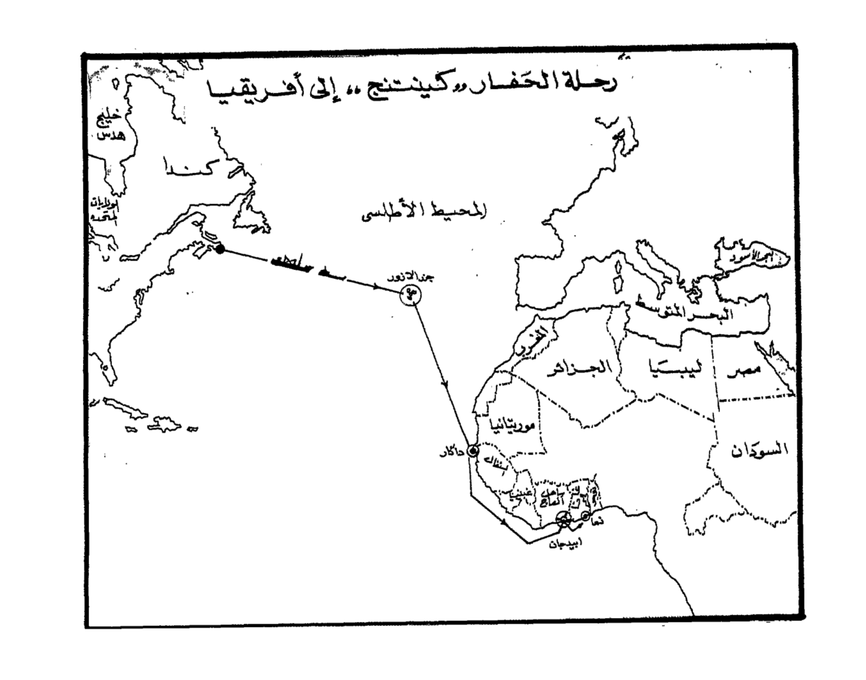
خرائط توضح مواقع القوات أثناء العمليات

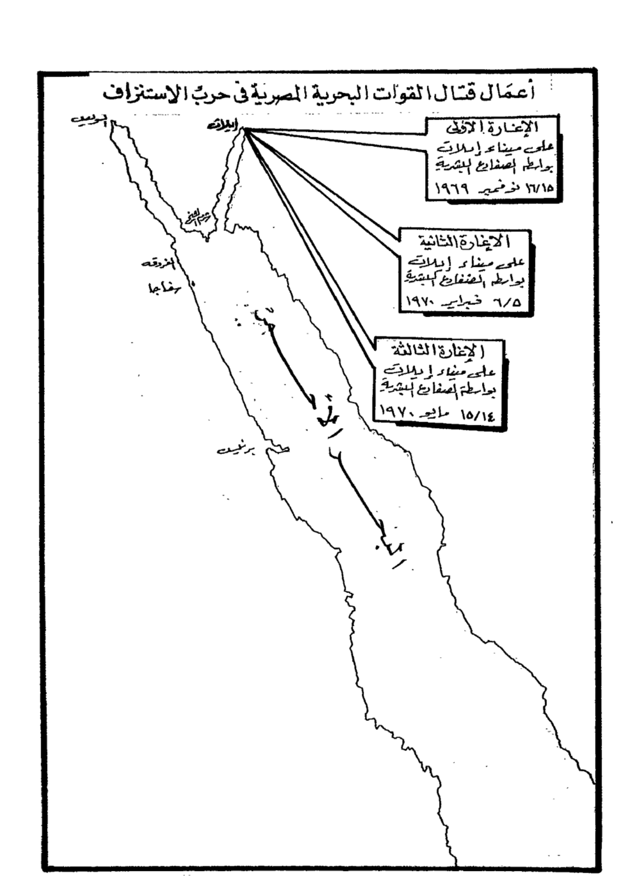


عملية إغراق المدمرة الإسرائيلية «إيلات»
الضربة الثانية
١٨٥٠
الضربة الأولى
١٧٢٥
البحر المتوسط
بور سعيد
إلى الإسكندرية
جونة الطينة
جونة بالوظوم
البردويل

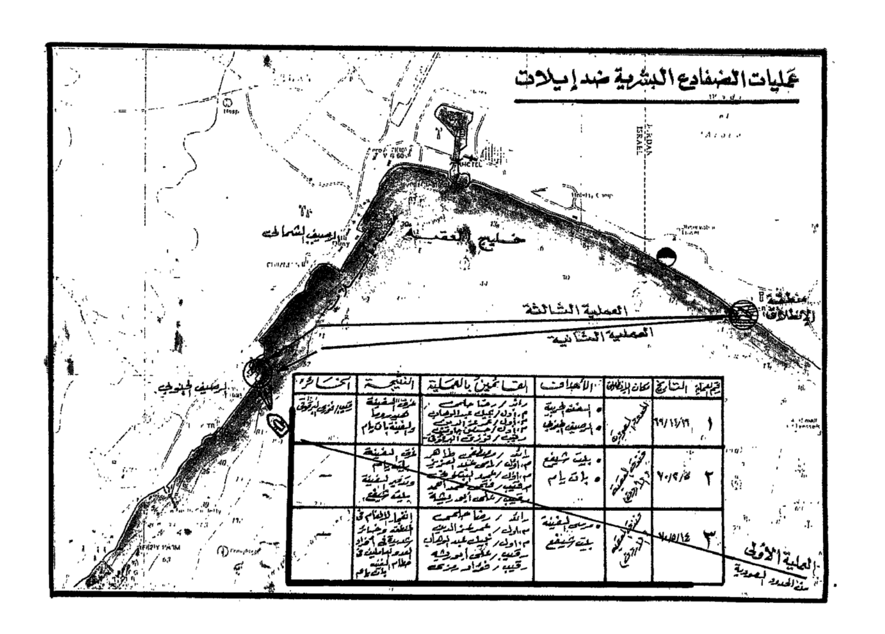

أماكن عمل الغواصات المصرية
أمام المواني الإسرائيلية
اليونان
تركيا
كريت
قبرص
البحر المتوسط
حيفا
أشدود
تل أبيب
بورسعيد
الاسكندرية


قصف منطقتى رمانة / بالوظة بمدفعية المدمرات (دمياط / الناصر)
البحر المتوسط
بورسعيد
جونة الطينة
منطقة بالوظة
منطقة رمانة
بطارية صواريخ هوك

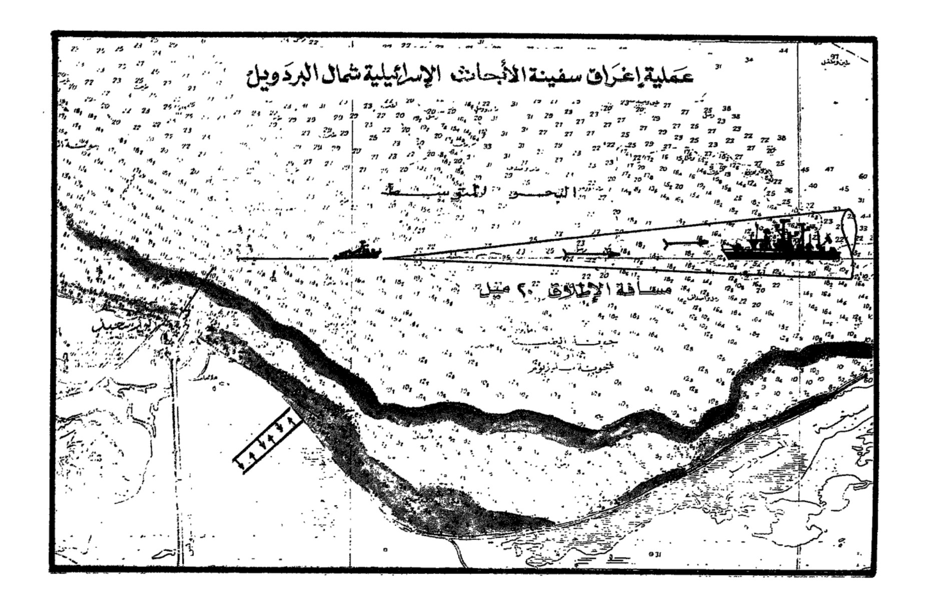

رحلة الحفار «كينتنج» إلى أفريقيا
خليج هدس
كندا
الولايات المتحدة
المحيط الأطلسي
جزر الآزور
البحر الأسود
البحر المتوسط
المغرب
الجزائر
ليبيا
مصر
موريتانيا
السودان
داكار
السنغال
غينيا
ساحل العاج
غانا
أبيدجان

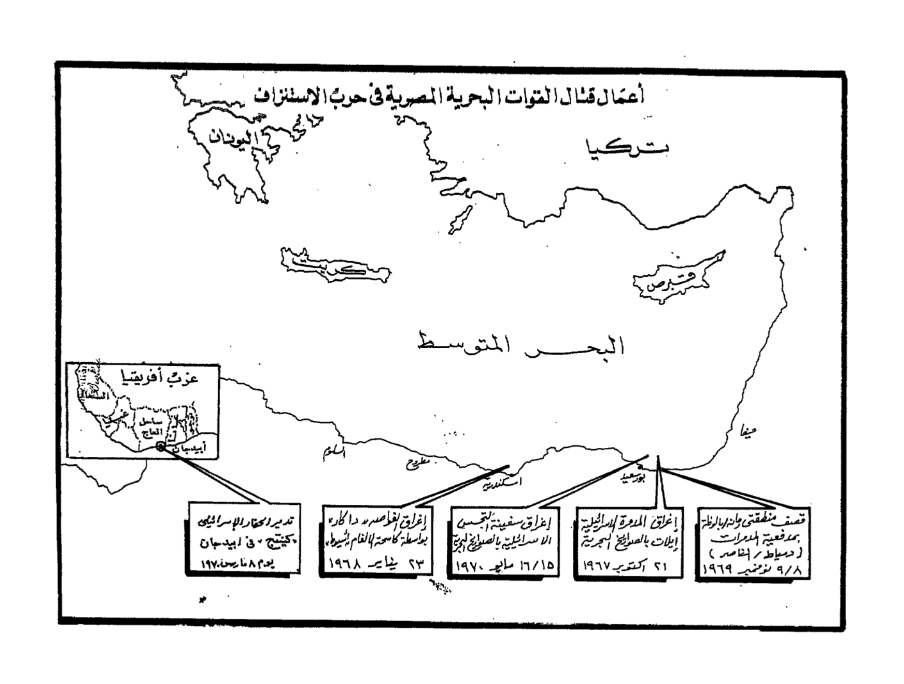

أعمال قتال القوات البحرية المصرية فى حرب الاستنزاف
السويس
إيلات
شرم الشيخ
الغردقة
سفاجا
برنيس
الإغارة الأولى
على ميناء إيلات
بواسطة الضفادع البشرية
١٦/١٥ نوفمبر ١٩٦٩
الإغارة الثانية
على ميناء إيلات
بواسطة الضفادع البشرية
٦/٥ فبراير ١٩٧٠
الإغارة الثالثة
على ميناء إيلات
بواسطة الضفادع البشرية
١٥/١٤ مايو ١٩٧٠

عمليات الضفادع البشرية ضد إيلات



رقم العملية	التاريخ	مكان الانطلاق	الأهداف	القائمين بالعملية	النتيجة	الخسائر
١	٦٩/١٦/١٦	الحدود السعودية / الأردنية	• السفينة حربية • الرصيف الجنوبي	رائد / رضا حلمي م. أول / نبيل عبد الوهاب م. أول / عمر عز الدين م. أول / حسنين جاويش رقيب / فوزي البرقوقي	غرق السفينة هيدروما والسفينة بات يام	شهيد / فوزي البرقوقي
٢	٧٠/٢/٥	خليج العقبة / الأردن	• بيت شيفع • بات يام	رائد / مصطفى طاهر م. أول / رامي عبد العزيز م. أول / وحيد الشابوري رقيب / فتحي محمد أحمد رقيب / علي أبو ريشة	غرق السفينة بات يام وتدمير السفينة بيت شيفع	—
٣	٧١/٥/١٤	خليج العقبة / الأردن	• مرسى السفينة بيت شيفع	رائد / رضا حلمي م. أول / عمرو عز الدين م. أول / نبيل عبد الوهاب رقيب / علي أبو ريشة رقيب / فؤاد [illegible]	انفجار الألغام في المنطقة وخسائر جسيمة في أفراد العدو العاملين في حطام السفينة بات يام	—


عملية إغراق سفينة الأبحاث الإسرائيلية شمال البردويل
البحر المتوسط
مسافة الإطلاق ٢٠ ميل
بور سعيد


أعمال قتال القوات البحرية المصرية فى حرب الاستنزاف
اليونان
تركيا
كريت
قبرص
البحر المتوسط
غرب أفريقيا
ساحل العاج
أبيدجان
السلوم
مطروح
اسكندرية
بورسعيد
حيفا
تدمير الحفار الإسرائيلي «كينتنج» فى ابيدجان يوم ٨ مارس ١٩٧٠
إغراق الغواصة «داكار» بواسطة كاسحة الألغام «أسيوط» ٢٣ يناير ١٩٦٨
إغراق سفينة التجسس الاسرائيلية بالصواريخ البحرية ١٥/١٦ مايو ١٩٧٠
إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات بالصواريخ البحرية ٢١ أكتوبر ١٩٦٧
قصف منطقتى رمانة وبالوظة بمدفعية المدمرات (دمياط / الناصر) ٨/٩ نوفمبر ١٩٦٩

صدر هذا الكتاب ليلقى ضوءاً ساطعاً على مرحلة هامة من مراحل الصراع المصرى الإسرائيلى فى فترة من أصعب وأشق فترات الصراع بين الطرفين أتت مباشرة بعد نكسة يونيو٦٧ لتوضح بجلاء وحق أنه مع كل ما أصاب القوات المسلحة المصرية والشعب المصرى من ألم وحسرة وانكسار لما انتهت إليه حرب يونيو ٦٧ .. إلا أن الروح المصرية الصميمة رفضت الهزيمة وتشبثت بالصمود وآمنت بضرورة إعادة البناء والإعداد لجولة قادمة لابد لها أن تأتى ولكن بعد أن تكون القوات المسلحة قد أعدت واستعدت لها بعزم وتصميم من رجالها وقادتها وبمؤازرة كاملة من الشعب المصرى العظيم.